ترجمة المؤلف

هو ابو عثمان عمرو بن محبوب الكناني الليثي المعروف بالجاحظ البصري العالم المشهور صاحب التصانيف في كل فن له مقالة جليلة في أصول الدين واليه تنسب الفرقه المعروفة بالجاحظيه من المعتزله وهو تلميذ أبي اسحاق ابراهيم بن سيار المعروف بالنظام المتكلم المشهور وكان قد أوتي بسطه في لسانه وبيانا عذبا في خطابه ومجالا واسعا في فنونه وتصانيفه كثيره جداً (ومن) أحسنها وأمتعها كتاب الحيوان فلقد جمع فيه كل غريبه * ومن أبدعها وأجمعها كتاب البيان والتبيين الذي جمع فيه من صنوف البيان وغرر الاحاديث وعيون الخطب وبدائع الفقر وكلام النساك ومواعظ الزهاد وغير ذلك مالا يستغني عنه شاعر أو كاتب او خطيب في سلاسه ألفاظ وحسن تنسيق ورشاقه معان وبداعه تبيين * ومن غرر مؤلفاته كتاب سلوة الحريف بمناظرات الربيع والخريف وهو كتاب جليل مفيد في بابه * و من أمتعها وأحسنها أيضا مجموعه رسائل غزيره الفوائد وبديعه الفرائد في مواضيع شتى كلها نتف و لمع وحكم طبع بعضها في مدينه ليدن بالبلاد الاوروبيه وقد وفق الآن لاعادة طبعه تاما وطبع متمم تطبع منها عظيمه المقدم الغراء احدي المطابع المصريه حضره الهمام الامثل الحاج محمد افندي الساسي المغربي صاحب الايادي البيضاء في طبع الكتب النافعه المفيده * وله غير ذلك مما يحول دون استقصائه قصد الاختصار (وكان) الجاحظ مع كثره فضائله وغزاره مادته مشوّه الخلق جداً فلذا

لما أحضره المتوكل لتعليم أولاده استبشع منظره فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه * وإنما لقب بالجاحظ لأن عينيه كانتا جاحظتين من جحظت عينه كمنع خرجت مقلته أو عظمت وكان يقال له أيضا الحدقي لذلك * ومن غريب أخباره ما حكي عن بعض البرامكة أنه قال كنت تقلدت السند فأقمت بها ما شاء الله ثم اتصل بي أني صرفت عنها وكنت قد كسبت بها ثلاثين ألف دينار فخشيت أن يفجأني الصارف فيسمع بمكان المال فيطمع فيه فصغته عشرة آلاف إهليلجة في كل إهليلجة ثلاثة مثاقيل ولم يمكث الصارف أن أتى فركبت البحر وانحدرت الى البصرة فخبرت أن الجاحظ بها وأنه عليل بالفالج فأحببت أن أراه قبل وفاته فصرت اليه فأفضيت الى باب دار لطيف فقرعته فخرجت إليّ خادم صفراء فقالت من أنت فقلت رجل غريب وأحببت أن أسر بالنظر الى الشيخ فبلغته الخادم ما قلت فسمعته يقول قولي له وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل فقلت للجارية لا بد من الوصول اليه فلما بلغته قال هذا رجل قد اجتاز بالبصرة وسمع بعلتي فقال أحب أن أراه قبل موتي فأقول قد رأيت الجاحظ ثم أذن لي فدخلت وسلمت عليه فردّ ردا جميلا وقال من تكون أعزك الله فانتسبت له فقال رحم الله تعالى أسلافك وآباءك السمحاء الأجواد فلقد كانت أيامهم رياض الأزمنة ولقد انجبر بهم خلق كثير فسقيا لهم ورعيا فدعوت له وقلت أنا أسألك أن تنشدني شيئا من شعرك فأنشدني

لئن قدّمت قبلي رجال فطالما * مشيت على رسلي فكنت المقدما

ولكن هذا الدهر تأتي صروفه * فتبرم منقوضا وتنقض مبرما

ثم نهضت فلما فارقت الدهليز قال يا فتى أرأيت مملوكا يشتريه الاهليلج
قلت لا قال فإن الاهليلج الذي معك يشتريني فابعث لي منه فقلت ثم
وخرجت متعجبا ... ووقعه على حذري مع كتماني له وبعثت له مائة
إهليلجة * وقال أبو الحسن البرمكي وقد أنشدني الجاحظ

وكان لنا أصدقاء مضوا * تفانوا جميعا وما خلدوا
تساقوا جميعا كؤس المنون * فمات الصديق ومات العدو

(وكان) الجاحظ في أواخر عمره قد أصابه الفالج فكان يطلي نصفه
الايمن بالصندل والكافور لشدة حرارته والنصف الايسر لو قرض بالمقاريض
لما أحس به من خدره وشدة برده وكان يقول في مرضه اصطلحت على
جسدي الاضداد ان اكلت باردا أخذ برجلي وإن اكلت حارا أخذ برأسي
وكان يقول أيضا انا من جانبي الايسر مفلوج فلو قرض بالمقاريض ماعلمت به
ومن جانبي الايمن مرس فلو مر به الذباب لألمت

(وكانت) وفاته في شهر المحرم سنة خمس وخمسين ومائتين بالبصرة
بسبب وقوع مجلدات العلم عليه وهو ضعيف وقد نيف على تسعين سنة
رحمه الله تعالى (وبحر) بفتح الباء الموحدة وسكون الحاء وبعدها راء
(ومحبوب) بفتح الميم وسكون الحاء المهملة وضم الباء الموحدة (والكناني)
بكسر الكاف (والليثي) بفتح اللام وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها ثاء
مثلثة نسبة الى ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة اه ملخصا من
ابن خلكان مع بعض زيادة من مواضع أخرى

١٨٤٤٠٧

مجموعة رسائل

((لمؤلفها))

العلامه الشهير والفهامه الكبير الاستاذ

ابي عثمان عمرو بن بحر المعروف

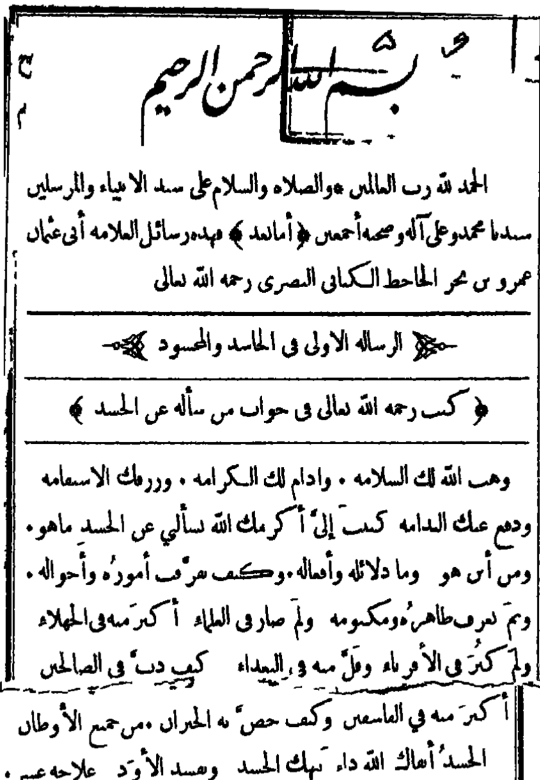
بالجاحظ رحمه الله تعالى

الرساله الاولى في الحاسد والمحسود

الطبعة الاولى

« على همه الحاج محمد افندي ساسي المغربي التاجر بالصنادقية بمصر »

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الانبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿ أما بعد ﴾ فهذه رسائل العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ الكناني البصري رحمه الله تعالى

﴿ الرسالة الاولى في الحاسد والمحسود ﴾

﴿ كتب رحمه الله تعالى في جواب من سأله عن الحسد ﴾

وهب الله لك السلامه . وادام لك الكرامه . ورزقك الاستقامه ودفع عنك الندامه كتبتَ إليّ أكرمك الله تسألني عن الحسد ماهو . ومن أين هو وما دلائله وأفعاله . وكيف تعرّف أمورُه وأحواله . وبمَ تعرف ظاهرُه ومكتومه ولمَ صار في العلماء أكثرَ منه في الجهلاء ولِمَ كثُرَ في الأقرباء وقلّ منه في البعداء وكيف دبّ في الصالحين أكثرَ منه في الفاسقين وكيف خصّ به الجيران . من جميع الأوطان

الحسدُ أبقاك الله داء ينهك الجسد ويفسد الأوَد علاجه عسر . وصاحبه ضجر وهو باب غامض وأمر متعذر فما ظهر منه فلا يداوَى وما بطنَ منه فمداويه في عناء . ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم الحسدُ والبغضاء (وقال) بعض الناس لجلسائه أي الناس أقلّ غفلةً فقال بعضهم صاحب ليل إنما همه أن يصبح

فقال انه لكذا وليس كذاك وقال بعضهم المسافر إنما همه أن يقطع سفره فقال انه لكذا وليس كذاك . فقالوا له فأخبرنا بأقل الناس عقله فقال الحاسدُ إنما همه أن ينزع الله منك النعمة التي أعطاكها فلا يعمل أبداً ﴿وروى﴾ عن الحسن أنه قال الحسد أسرع في الدين من النار في الحطب اليابس * وما أتى المحسود من حاسد إلا من قبل فضل الله تعالى اليه ونعمه عليه قال الله تبارك وتعالى (أم يحسُدُون الناس على ما آتاهمُ اللهُ من فضله فقد آتينا آل ابراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم ملكاً عظيما) والحسد عقيد الكفر وحليف الباطل وضدُّ الحقّ وحرب البيان وقد ذمّ الله تعالى أهلَ الكتاب فقال (ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب لو يَرُدُّونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحقُّ) منه يتولد العداوة وهو سبب كل قطيعة ومنتج كل وحشة ومفرّق كل جماعة وقاطع كلّ رَحم بين الأقرباء ومحدث التفرق بين القرباء وملقح الشرّ بين الخلطاء يكمن في الصدر كمون النار في الحجر ولو لم يدخل رحمك الله على الحاسد بعد تراكم الهموم على قلبه واستمكان الحزن في جوفه وكثرة مضضه ووسواس ضميره وتنغيص عمره وكدر نفسه ونكد لذاذة معاشه إلا استصغاره لنعمة الله تعالى عنده وسخطه على سيده بما أفاده الله عبده وتمنيه عليه أن يرجع في هبته إياه وأن لا يرزق أحداً سواه لكان عند ذوي العقول مرحوما وكان عندهم في القياس مظلوما وقد قال بعض الأعراب ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحاسد نفسٌ دائم وقلبٌ هائم وحزنٌ لازم والحاسد مخذولٌ ومأزور والمحسود محبوب

ومصور . والحاسد مهموم ومهجور والمحسود ممشي ومرور * والحسد رحمك الله أول خطيئة ظهرت في السموات وأول معصية حدثت في الأرض خص به أفضل الملائكة (1) فعصى ربه وقايسه بخلقه واستكبر عليه وقال خلقتني من نار وخلقته من طين فلعنه وجعله ابليساً وأنزله من جواره وشوه خلقه تشويهاً فنوه على أنبيائه تنويهاً نسي عزم ربه فواقع الخطيئة فأربح المحسود فتاب عليه وهدى ومضى الحاسد اللعين على حسده فشقي وغوى * وأما في الأرض فابنا آدم حيث قتل أحدهما أخاه . فعصى ربه وأثكل أباه وبالحسد طوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين لقد حمله الحسد على غاية القسوة وبلغ به أقصى حدود العقوق وإذ ألقى عليه الحجر شادخاً . فأصبح عليه نادماً صارخاً * فمن شأن الحاسد ان كان المحسود غنياً بوبخه على المال وقال جمعه حراما ومنعه أيتاماً وألب عليه (2) حاويج أقاربه وبركهم له خصماء وأغراهم في الباطن وحمل المحسود على قطعهم في الظاهر وقال له كفروا معروفك وأظهروا في الناس ذمك فليس أمثالهم يوصلون فانهم لا يشكرون وإن وجد له خصماء أعانه عليه ظلما فان كان ممن يباشره فاستشاره غشه أو يفضل عليه بمعروف كفره أو دعاه الى نصره خذله أو حضر مدحه ذمه وإن سئل عنه همزه أو كان عنده

---

(١) (قوله افضل الملائكة) هذا مبني على ان ابليس منهم وليس كذلك بل هو جني كان معروراً بين اظهر الالوف من الملائكة فلذا استثني منهم في قوله تعالى فسجدوا الا ابليس استثناء متصلا كما في الكشاف اه مصححه (٢) الب كمنع وضرب المشهر يعود على الحاسد ومعناه جمعهم على المحسود الباغي بالظلم والعداوة اه

شهادة كتمها وان كانت منه اليه زلة عظمها وقال انه يحب أن يعاد ولا يعود ويرى عليه العمود * وان كان المحسود عالما قال مبتدع ولرأيه متبع حاطب ليل . ومبتغ نيل . ما يدرى ما حمل قد ترك العمل وأقبل على الحيل . وقد أقبل بوجوه الناس اليه وما أحمقهم إذا مالوا عليه فقبحه الله من عالم ما أعظم بليته وأقل رعيته وأسوأ طعمته[1] وان كان المحسود ذا دين قال متصنع يغزو ويضحى الليل ويحج ليثني عليه ويقرأ في المسجد لتروجه جارة ابنته ويحضر الجنائز ليعرف شهرته * وما لقيت حاسداً قط الا تبين لك مكنونه بتغير لونه وتخوص عينه[2] واخفاء سلامه والاعراض عنك والاقبال على غيرك والاستثقال لحديثك والخلاف لرأيك ولذلك قال القائل

طال على الحاسد أحزانه * فاصفر من كثرة أحزانه
دعه فقد أشعلت في جوفه * ما هاج منه حرّ نيرانه
الصبر أشهى عنده لذّة * من لذة المال لخزانه
فارم على غاربه حبله * تسلم من كثرة بهتانه

(وكان) عبد الله بن ابى قبل نفاقه تسبح وحده لجودة رأيه وبعد همته وبل شيمته . وانقياد العشيرة له بالسيادة والسعادة وادعائهم له بالرياسة وما استوجب ذلك الا بعدما اجتمع له لبه وبان لهم عقله وافتقدوا منه جهله ورأوه لذلك أهلاً لما أطاق له حملاً فلما بعث الله نبيه صلى الله

(١) الطعمة بكسر الطاء السر في الأكل والمراد هنا الأعم (٢) التخوص الغض من البصر مع تحديق العين كأنه تقوم فدحا اه

عليه وسلم وقدم المدينة ورأى هو عز رسول الله صلى الله عليه وسلم شمخ بأنفه
لحسده فهدم إسلامه وأظهر نفاقه وما صار منافقاً حتى صار حسوداً
فحمق بعد الأنس وجهل بعد العقل وسوّأ النار بعد الجنة ولقد خطب
النبيّ صلى الله عليه وسلم بالمدينة فشكاه الى الأنصار فقالوا يا رسول الله لا تلمه
فقد كنا عقدنا له الخرز[1] قبل قدومك ليتوجه * ولو سلم المخذول قلبه من
الحسد لكان من الاسلام بمكان ومن السودد في ارتفاع فوضعه الله
بحسده واظهار نفاقه * ولما قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في
اثنين رجل آتاه الله مالاً فهو ينفق منه ورجل آتاه الله قرآناً فهو يقوم به
في آناء الليل والنهار كان ما سواهما مذموماً وصاحبه عليه مليماً * وربما سبح
الحسد الكبر فبلغ صاحبه في المقت غايته وفي البغض من جميع الخلق
نهايته . فلا عز علا الا مضغوه ولا يذكر في مجلس الا شنئوه .وأشهد
أنه في ملكوت السماء أشد مقتاً لأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال أنتم
شهداء الله في الارض فما رأى المسلمون حسناً كان عند الله حسنا وما رآه
المسلمون قبيحاً سيئاً فهو عند الله سيّئ (وقال) بعضهم الى أسيري اللهم
فأحببه من حيراني مخافة أن يحسدوني وذلك أن الجيران رحمك الله طلائع
عليك وعيونهم نواظر اليك فمتى كنت بينهم معدماً فأسرت
فبذلت وأعطيت وكسوت وأطعمت وكانوا في مثل حالك فانصبوا
فسلبوا النعمة وألبسها أب فعظمت عليهم بليته الحسد وصاروا منه في

---

(١) جمع خرز وهي الجوهر وكان من عادة الملوك انهم يضعونها في تيجانهم اذا ملكوا وكلما مضى عام زادوا خرزة ليعلم سنو ملكهم

سعيض آخر الأبد * ولولا أنّ المحسود سصر الله اناه مســور ونعمه محجوب لم ىأب عليه يومٌ الا كان مهموراً • ولا ىاب ليلةً الا كان عن منافعه مقصوراً ولم عس الا وماله مسلوب ودمه مصبوبٌ مهراق مسفوك وعرضه بالضرب منهوك (وقال) مالك بن دينار نقبل شهادة القراء في كل شيء الا بعضهم على بعض فاني وجدتهم أشدّ تحاسداً من التيوس تشد الصحيفة فيهبُّ عليها هذا التيس مرة وهذا التيس مرّة * وضرر الحسود الى صديقه أكثر منه الى عدوّه والى خليطه أظهر منه الى معارفه والى قريبه أسرع منه الى بعيده ﴿ وذكر ﴾ حميدٌ الطويل أنه سأل الحسن البصرى رضي الله تعالى عنه فقال يا أبا سعيد هل يحسد المؤمن فقال أنسيت لا أبا لك إخوة يوسف المؤمنُ يحسد ولكن مالم يظهر بلسانه ويده ﴿ وأقول ﴾ ماخالط الحسد قلباً الا لم تمكنه ضبطه ولا قدر على تشجيعه وكتمانه حتى يمرّد عليه في ظهوره واعلانه فيستعبده ويستعمله ويستغطه لقهره عليه ولهو أغلب على صاحبه من السيد على عبده ومن السلطان على رعيته ومن الرجل على زوجته ومن الآسر على أسيره (وكان) ابن الزبير بالصبر موصوفا وبالدهاء معروفا وبالعقل وسوما وبالمداراة مفهوما[1] فأظهر بلسانه حسداً كان أضبّ عليه[2] لما طال في قلبه طائلته حتى أظهروا عليه مع صبره على المكاره وحمله نفسه على حسمها وقلة اكترانه والتفاته الى أخطار المخاسر التي كانت تمر عليه فذهبت بطائفة من قومه ما لمصف اليها (حدثنا) عن علي بن مسهر عن الأعمش عن طلحة بن حباب عن سعيد

(١) اي مولعا بها (٢) في القاموس واضب فلانا لزمه فلم يفارقه وعليه امسكه اهـ

ابن جبير أنه قال قدت ابن عباس حتى أدخلته على ابن الزبير فقال له ابن الزبير أنت الذي تؤنبني قال نعم لأني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس بمؤمن من بات شبعان وجاره طاوٍ فقال له ابن الزبير قلب ذلك وأسمعه قول يدل على حسد كان ابن عباس من نثره مغصوصاً وكان ذلك بما في قلبه لبني هاشم مهروماً وكانت وخزه نبله فلم يبدها له وفروع بني هاشم حول الحرم باسقة وغروس دوحاتهم من أطنابها راسخة ومجالس بني هاشم من أعاليها عامرة ونحورها بأزراق الصاد زاخرة وأنجمها بالهدى زاهرة فلما نخلت البطحاء من صناديدها استقله بما أكن في نفسه والحاسد لا يغفل عن فرصة إلى أن يأتي الموت على رمته وما استقل ابن عباس بذلك الا لما رأى عمر قدمه على أهل القدم ونظر اليه وقد أطاف به الحرم فأوسعهم حكماً ونقصوا منه رأياً وفهماً وأسبغهم علما وحلما (وروى) عن ابن سيرين انه قال ما رأيت أكثر علما وحلما من مجلس ابن عباس ﴿ وأما ﴾ أنا فحقاً أقول لو ملكت عقوبة الحاسد لم أعاقبه بأكثر مما عاقبه الله به بالزامه الهموم فانه وتسليطها عليه فزاده الله حسداً . وأقامه عليه أبداً وكيف تصبر من استكن الحسد في قلبه على أمانيه ولقد كان إخوة يوسف علما حلماء ولديهم الأنباء فلم يغفلوا عما قدح في قلوبهم من الحسد ليوسف صلى الله عليه وسلم حتى أعطوا أباهم المواثيق المؤكدة والعهود المقلدة والايمان المغلظة أنهم له حافظون وهو يشفقهم ونصحه منهم فخانوا العهود ووثبوا عليه بالظلم فالقوه في غيابة الجب وجاؤا على قميصه بدم كذب فظلمهم يوسف طلبوا أباهم طمعا أن يخلو لهم وجه أبيهم وسيردوا نحوه وطوا

أنّ الانام بسلبه، وحبه لهم من بعده عنه اليه فأسالوا عبرته، وأحرموا عليه . وكيف لا تمرّ عيون المحسودين بعد يوسف وقد ملكه الله حزائن الارض نصيره على أذى حساده ومقاصة اياهم بالعفو والمكافاة وحسن البشر والمؤاخاة وبعد امكانه منهم لما أتوه ممارين ووفدوا عليه خائفين وهم له منكرون فأحسن رفدهم وأكرم قراهم فأقروا له لما عرفوا بالادعان وسألوه بعد ذلك الغفران وخروا له سجداً لما قدموا عليه وفداً ، فاذا أحسست رحمك الله من صديقك بالحسد فأقلل ما استطعت من مخالطته فانه أعون الاشياء لك على مسالمته وحصن سرك منه تسلم من شدى شره[1] وعوائق ضره وإياك والرغبة في مشاورته فمكن تمسك من سهام مساورته ولا تغررك خدع لمه[2] وبيان دلفه فان ذلك من حبائل نفه[3] فان أحببت أن تعرف آنه مصداقه فدس له من يمحك عنده ويذمك بحضرته فانه سيظهر لك من نشاطه[4] لك ما أنت به جاهل ومن خلاف المودة ما أنت عنه غافل ولهو ألح في حسده لك من الذباب وأسرع في عرضك من السيل الى الحدور . ولا أحب أن تكون عن حاسدك عمياً ولا عن فهمك بما في ضميره نسيا الا أن تكون للذلّ محتملاً وعلى الدناءة مستملاً ولأخلاق الكرام مجانبا وعن محمود شيمهم ذاهبا أو تكون بك الى حاجة قد صيرتك لسهام الرماة هدفا وعرضك لمن أرادك عرضا ولو بلت بذلك كنوز قارون لم تكن ذلك مما يدلب

(١) الشذى كالاذى وزنا ومعنى (٢) الملق محركا ان يعطى بلسانه ما ليس في قلبه
(٣) النفف محركات الحذق والفطانة ٤) اى تربصه لك بالمحنة

عوصا * وهد فيل على وحه الدهر الحرة تجوع ولا تأكل تديها وربما كان الحاسد المصطنع اليه المعروف أكمرله وأشد احهادا وأكبر تصمرا لداك من أعدائه (وكان) الحسن بن هاني يربع على مائده اسماعيل الهاسمى وكان من المطعمين للطعام المسرفين فعارض الحسن بن هانئ يوما بعص أصحابه فقال له من أين فقال من عند اسماعيل فقال له ما أطعمكم فقال أطعمنا دماغ كلب فى محف حرير فلم يكن منه هدا القول الا على وجه الحسد ولم يسلم منه مع كبره أنسه به وكبره سده اليه حى احدشد واحمل فى الدم له والبهحين اطما به (ولولا) شده ورع ابن سيرين وصدق لهجته لم يكن قوله فيما قال وأخبر عن نفسه من اطراح الحسد عن قلبه مرويا عنه وعند دوي العقول مقحما حيث قال ما حسدت أحداً على شيء ان كان من أهل الجنه فما حسدي لرجل من أهل الجنه وان كان من أهل النار فما حسدي لمن يصير الى النار * ومتى رأيت حاسداً يصوب لك رأيا وان كنت مصيبا أو يرشدك الى صواب وان كنت مخطئا أو يصح لك في عيبه عنك أو يقصر من عيبه لك هو الكلب الكلب والنمر الحرب (1) والسم القشب والفحل القطم (2) والسيل العرم ان ملك قتل وسبى وان ملك عصى وبغى حياتك موته وموته وموتك عرسه وسروره يصدق عليك كل شاهد زور ويكذب فيك كل عدل مرضي لا يحب من الناس الا من يبغضك ولا يبغض من الناس الا من يحبك عدوك بطانه وصديقك

---

(١) الحرب من حرب كفرح كلب واسد غضبه (٢) القطم وزان كتف السكير الغض

علاوته[1] وانك وبما غلطت في أمره لما تطير ث من ره * ولو كنت تعرف الخلل من الرأى والدمو من المعى وكنت في مذاهبك وطنا تمانا ولم نكن في عب من أوصح لك عنه مرنانا . لاستعيب بالرمز عن الاشاره . وبالاسارة عن الكلام وبالسر عن الجهر وبالحمص عن الرفع وبالاحتصار عن الطويل وبالحمل عن المفصل وأرحنا من طلب التحصيل ولكن أخاف أن قلبك لصدئك غير مستقيم كما ان ضمير ماك غير سليم انك غير سالم منه وان رهف الفدى عن حسه وسوس عليه بويه هوى مسكنه ولبس ثوب الاسكانه عند رؤسه واعمرت له الزّله بعد را ه واستحسن كل ما صح من سمه وصدقه على كذبه وأعنه على خبره * فيا هذا الماء و يا هذا الداء العياء كأنك لم نقرأ المعوذه ولم تسمع مخاطبه الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في التقديه اليه بالاستعاذه من شر حاسد اذا حسد أتطلب ويحك اثراً بعد عين أو عطراً بعد عروس أو تريد أن تحيى غسا من شوك او تلمس حلب لبن من حائل إنك إذاً لاغيا من نامل وأحمق من الصبع إن كنت تجهل بعد ما أعلماك وتعوّج بعد ما قوّمناك وتبلد بعد ما فهمناك وتصل إذ هديناك وتنسى لما ذكرناك وتعمى عما فهمناك وأنت كمن أضله الله على علم فبطلت عنده المواعظ وعمى عن المنافع وختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوه فنعوذ بالله من الخذلان * انه لا ناسك ولكنه ساد لك ولا يحاككك ولكنه يواربك * أحسن ما يكون عنده حالا أقل ما نراك مالا وأكثر

(١) العلاوة بالكسر من كل شيء ما زاد عليه اى انه يزداد اعمالهم ويصابه اه

ما يكون عالا وأعظم ما يكون ضلالا . وأفرح ما يكون بك أقرب ما يكون بالمصيبة عهداً وأبعد ما يكون من الناس حمداً . فاذا كان الامر على هذا فمجاورة الاموات ومخالطة الزَّمنى والا كتنان بالجدران . ومص المصران وأ كل الفردان أهون من معاشرة مثله والاتصال بحبله (والغل) نتاج الحسد وهو رضيعه وغصن من أغصانه وعون من أعوانه وشعبة من شعبه وفعل من أفعاله وحدث من أحداثه كما أنه ليس فرع إلا له أصل ولا وولد إلا من مولد ولا نبات إلا بأرض ولا رضيع إلا له مرضع وان تغير اسمه فانه صفة من صفاته ونبت من نباته ونعت من نعوته * ورأيت الله جل ثناؤه ذكر الجنة في كتابه فحلاها بأحسن حليه وزينها بأحسن زينة وجعلها دار أوليائه ومحل انبيائه ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فذكر في كتابه ما من به عليهم من السرور والكرامة عند ما دخلوها وتبوأها لهم فقال (ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصبٌ وماهم منها بمخرجين) فما أنزلهم دار كرامته إلا بعد أن نزع الغلَّ من صدورهم فانقياد الغل والحسد نعموا بالجنة وقابلوا إخوانهم على السرر وتلذذوا بالنظر في مقابلة الوجوه لسلامة صدورهم ونزع الحسد والغل من قلوبهم ولو لم ينزع ذلك من صدورهم ويخرجه من قلوبهم لافسدوا لذاذة الجنة ولتدابروا وتقاطعوا وتحاسدوا وأوقعوا الخطيئة ولمسهم فيها النصب وأُخرجوا منها الخروج لانه عزَّ وجل فاضل بينهم في المنازل ورفع درجات بعضهم فوق بعض في الكرامات

وسنيّ العطيات. فلما نزع الحسد والغل من قلوبهم طن أدناهم منزلة فيها وآخرهم بدخول الجنة عهداً أنه أفضلهم منزلا وأكرمهم درجة وأوسعهم داراً لسلامة قلبه ونزع الغل من صدره فقرت عينه وطاب أكله ولو كان ذلك لصاروا الى التنغص في النظر بالعيون والاهتمام بالقلوب ولحدث فيهم العيوب والذنوب وما أرى السلامة إلا في قطع الحاسد ولا السرور إلا في افتقاد وجهه. ولا الراحة إلا في صرم مداراته ولا الربح الا في ترك مصافاته فاذا فعلت ذلك فكل هنيئا واشرب مريئا ونم رخياً وعش في السرور مليا ونحن نسأل الله الجليل ان ينفي كدر قلوبنا ويجنبنا وإياك دناءة الاخلاق ونزرها وإياك حسن الالفة والاتفاق فأحسن الله توفيقك والسلام (تمت) الرسالة والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وعترته الطاهرين وسلم تسليما كثيرا

اهـ

(تمت الرسالة الأولى وتليها الرسالة الثانية وهي رسالة المؤلف الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك)

الرسالة التاسعة

(الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك وعامة جند الخلافة)

(لمؤلفها)

العلامة الشهير والفهامة الكبير الاستاذ ابي عثمان

عمرو بن محبوب المعروف بالجاحظ

رحمه الله تعالى

(الطبعة الأولى)

(على نفقة الحاج محمد افندي ساسي المغربي التاجر بالفحامين في مصر)

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

رسالة الى الفتح بن خاقان في مناقب الترك وعامة جند الخلافة



(الله ولي كل نعمة)

وفقك الله لرشدك وأعان على شكرك . وأصلحك وأصلح على يديك وجعلنا واياك ممن يقول بالحق ويعمل به ويؤثره ويحتمل ما فيه مما قد يصعب به ولا يكون حظه منه الوصف له والمعرفة به دون الحث عليه والانقطاع اليه وكشف القناع عنه وايصاله الى أهله والصبر على المحافظة في أن لا يصل الى غيرهم والسبب في تحصينه لديهم فان الله تعالى لم يعلم الناس ليكونوا عالمين دون أن يكونوا عاملين بل علمهم ليعملوا وبين لهم ليتقوا ولخوف الوقوع في المضار والتورط في المهالك طلب الناس التبين ولحب السلامة من الهلكة والرغبة في المنفعة احتملوا ثقل التعلم وتحملوا مكروه المعاناة ولقلة العاملين وكثرة الواصفين قال الاولون العارفون أكثر من الواصفين والواصفون أكثر من العاملين وانما كثرت الصفات وقلت الموصوفات لان ثواب العمل ثقل واحتمال ما فيه معجل «وقد أعجبني» ما رأيت من سعيك لطاعة إمامك والمحاماة لتدبير خليفتك واشفاقك من كل خلل دخل على ملكه وان دق وثلم سلطانه وان صغر ومن كل أمر خالف هواه وان خفي مكانه وجانب رضاه وان قل ضرره ومن تخوفك أن يجد المتأول اليه مسطرقا والعدو عليه

مسلفا فان السلطان لامخلوص مأول نام ومن محكوم عليه ساخط ومن
معدول عن الحكم زار[1] ومن معطل مصفح[2] ومن معجب برأيه ذي
خطل في شانه مولع بهجان الصواب والاعتراض على التدبير حتى كأنه
رائد لجمع الامه ووكيل لسكان المملكه يضع نفسه في موضع الرقباء
وفي موضع النصح على الخلفاء والوزرا لا تصدر وان كان محار الصدر
واضحا ولا تقف فيما تكون للشك محتملا ولا تصدق بأن الشاهد يرى
ما لا يرى الغائب وأنه لا تعرف مصادر الرأي من لم تشهد موارده ولا
مصادره من لم تعرف مسفله ومن محروم قد اصطفه[3] الحرمان
ومن لئيم قد افسده الاحسان ومن مستبطئ قد أخذ أضعاف حقه وهو
لجهله بقدره وأصغى درعه وقلة شكره يظن أن الذي في له أكثر وأن
حقه أوجب ومن مستريد لو ارتجع السلطان سالف أياديه النص عنده
ونعمه السالفة عليه لكان لذلك أهلا وله مستحقاً قد غره الاملاء والنظره
دوام الكفايه وافسده طول الفراغ وصاحب فتنه خامل في الجماعة رئيس
في الفرقه نعاق في الهرج قد أقصاه عن السلطان واقام صعوه ثقاف[4]
الادب وأدله الحكم بالحق فهو معط لا يجد عن النساع ولا يسعى تعز

(١) (زار) ى زرى عليه زريا وزرايه عابه وعاتبه (٢) (المصفح) ى تصفح القوم عرضهم واحدا واحدا او ى تصفح الامر نظر فيه بامعان (٣) (اصطفه) اي جعله محرونا على الصبر وهو الحقد او ى اصطفه اخذ بحب حسبه (٤) (الصعو) فتح الصاد المهمله وكسرها وسكون العين المعجمه الميل (والثقاف) ككتاب ما تسوى به الرماح فهو من اضافه المشبه به للمشبه اي الادب الشبيه بالثقاف في تقويم المعوج

الارجاف ولا تسريح الاالى الامانيِّ ولا تأنس الا بكل مرجف كذاب ومفتون مرتاب وحارص لا خيرفيه وحالف لا غناء عنده يريدان تُسوِّى بالكفاه ويرفع فوق الحماه لامر سلف له ولا حسان كان من غيره وليس ممن يرب[1] قديما تحدث ولا تجهل بدروس شرف ولا تفصل بين ثواب المحاسنين وبين الحفظ لاسباء المحسنين وكيف تعرف فرق ما بين حق الذمام وثواب الكفاية من لا تعرف طبقات الحق في مراتبه ولا تفصل بين طبقات الباطل في منازله ﴿ام أعلمني﴾ بذلك أنك سمعتك بذأب في تعظيم اما نبك والحفظ لمناقب انصار خليفتك واناها خطب تحاطبك لاشاعة واحجاجك لاوليائه ونعم العون أنت ان شاء الله على لازمه الطاعة والموازرة على الخير والمكانفة[2] لاهل الحق وقد استدللت بالذي أرى من شدة عنايتك وفرط اكبرامك وتفقدك لأخابر الاعداء وبحثك عن مناقب الاولياء على ان اظهر بن نصحائك أتم[3] في حسب الظن بن اخلاصك فأ مع الله بك جامعه و نجانا واياك محبته واعادنا بن قول الزور والتعرف بالباطل انه حميد مجيد فعال لما يريد ﴿وذكرت﴾ أسالك الله أنك جالست اخلاطا بن جند الخلافة وجماعة من أبناء الدعوه وشبوخا من حلة الشيعة وكهولا بن ابناء رجال الدولة والمنسوبين الى الطاعة والمناصحة الدينية دون محبة الرغبة والرهبة (وان) رجلا من عرض تلك الجماعة ومن حاشية تلك الجملة ارتجال الكلام ارتجال مستبد وتفرد به تفرد معجب وانه لم

(١) قال في المصباح ورب زيد الامر ربا بن باب قتل اذا ساسه وقام بتدبيره

(٢) (المكانفة) بالنون والفاء المفتوحة بن المعاونة(٣) (الاثم) محركة السبر اهـ

تسأمر زعماءهم ولم براف حطاءهم وانه تعسف المعاني وهجم على الالفاط
وزعم ان جند الخلافه اليوم على خمسه أقسام خراسانى وتركى ومولى وعربى
وبنوى[1] وانه أنكر من حمد الله وشكره على احسانه ومنه وعلى جميع
أياديه وسائر نعمه وعلى شمول عافيته وجزيل مواهبه حين الف على
الطاعه هذه القلوب المختلفه والاجناس المتباينه والاهواء المتفرقه وانك
اعترضت على هذا المتكلم المسدد وعلى هـذا القائل المتكلف الذي قسم
هذه الاقسام وخالف بين هذه الاركان وفصل بين انسابهـم وفرق بين
أجناسهـم وباعد بين انسابهم وانك أنكرت ذلك عليه أشد الانكار
وقذعته[2] أشد القذع (وزعمت) أنهم لم يخرجوا من الاتفاق أو من شيء
قرب من الاتفاق وانك أنكرت التباعد في النسب والتنافي في التناسب
(وقلت) أزعم ان الخراسانى والتركي اخوان وان الحيز واحـد وان حكم
ذلك الشرق والقضيه على ذلك الصقع سوى غير مختلف و متقارب غير
متفاوت وان الاعراق في الاصل ان لم تكن راسخه فقد كانت متشابهه
وحدود البلاد المتصله عليهم ان لم تكن متساويه فانها متناسبه وكلهم
خراسانى في الجمله وان تميزوا ببعض الخصائص وافترقوا ببعض الوجوه
(وزعمت) ان اختلاف التركى والخراسانى ليس كالاختلاف بين العجمى
والعربى ولا كالاختلاف بين الرومى والصقلبي والزنجي والحبشي فضلا

(١) (وبنوي) في القاموس والابناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة ابناوي و بنوي محركه ردا له الى الواحد اهـ (٢) (وقذعته) وفيه ايضا قذعه كمنعه رماه بالفحش وسوء القول اهـ

عما هو أبعد جوهراً وأشد خلافا بل كاختلاف ناس المكي والمدني والبدوي والحضري والسهلي والجبلي وكالاختلاف ناس الطائي الجبلي والطائي السهلي وكما يقال ان هذيلا اكراد العرب وكاختلاف ناس من بني البطون وناس من بني الحزون وناس من بني النجود وناس من بني الاغوار (وزعمت) أن هؤلاء وان اختلفوا في بعض اللغة وفارق بعضهم بعضاً في بعض الصور فقد تخالفت عليا تميم وسفلى قيس وعجز هوازن وفصحاء الحجاز في اللغة وهي في اكثرها على خلاف لغة حمير وسكان مخاليف اليمن وكذلك الصورة والشمائل والاخلاق وكلهم مع ذلك عربي خالص غير مشوب ولا ملهج ولا مذرع ولا مزلج[1] ولم يختلفوا اختلاف ناس بني قحطان وبني عدنان من قبل ماطبع الله عليه تلك التربة من خصائص الغرائز وما قسم الله تعالى لاهل كل جيرة من الشكل والصورة والاخلاق واللغة ﴿فان قلت﴾ فكيف كان أولادهما جميعاً عربا مع اختلاف الابوة ﴿قلنا﴾ ان العرب لما كانت واحدة فاستووا في التربة وفي اللغة والشمائل والهمة وفي الانف والحمية وفي الاخلاق والسجية فسبكوا سبكا واحداً وأفرغوا افراغا واحداً وكان القالب واحداً تشابهت الاجزاء وتناسبت الاخلاط حتى صار ذلك أشد تشابهاً في باب الاعم والاخص وفي باب الوفاق والمناسبة من بعض الارحام وجرى عليهم حكم الاتفاق في

---

[1] (الملهج) كزعفر الهجين وهو العربي المولود من امة او من ابوه خير من امه (والمذرع) بالذال المعجمة كمعظم هو من امه اشرف من ابيه (والمزلج) بضم الميم وفتح الزاي وتشديد اللام مفتوحة آخر جيم الملصق بالقوم وليس منهم اه

الحسب وصارت هذه الانساب ولادة أخرى حتى ناكحوا عليها وتصاهروا من أجلها وامتنعت عدنان قاطبة من مناكحة بني اسحق وهو اخو اسماعيل وجادوا بذلك في جميع الدهر لبني قحطان وهو ابن عابر فهي اجماع العرب على التناكح والمصاهرة ومنعهما من ذلك جميع الامم كسرى فمن دونه دليل على ان النسب عندهم متفق وان هذه المعاني قد قامت عندهم مقام الولادة والارحام الماسة (وزعم) انه أراد القرابة والتحزب وانك أردت الالفة والتعرب (وزعم) أيضاً ان البنوي خراساني وان نسب الابناء نسب آبائهم وان حسن صنيع الآباء وقديم فعال الاجداد هو حسب الابناء وان الموالي بالعرب أشبه والبهم أقرب وبهم أمس لان السنة قد جعلت الموالي الى العرب في كثير من المعاني لانهم عرب في المدعى وفي العاقلة وفي الوراثة وهذا تأويل قوله عليه الصلاة والسلام مولى القوم منهم ومولى القوم من أنفسهم والولاء لحمة كلحمة النسب . وعلى سنة ذلك صار حليف القوم منهم وحكمه حكمهم فصار الاخنس بن شريق وهو رجل من ثقيف وكذلك يعلى بن منية وهو رجل من بلعدوية وكذلك خالد بن عرفطة وهو رجل بن عذرة من قريش وبذلك النسب حرمت الصدقة على موالي بني هاشم فان النبي صلى الله عليه وسلم أجراهم في باب الشرف والتطهير مجرى مواليهم وبذلك النسب قدم النبي صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب على بني عبد شمس وقرابتهم سواء ونسبهم واحد للعقد المتقدم وللايدي المتقدمة وقال صلى الله عليه وسلم ما خير فارس في العرب عكاشة بن محصن فقال ضرار بن الازور الاسدي ذلك رجل

منا يارسول الله قال بل هو منا بالحلف نحمل حليف القوم منهم كما نحمل ابن أخت القوم منهم (ثم زعمت) ان الاتراك قد شاركوا هؤلاء القوم في هذا النسب وصاروا من العرب بهذا السبب مع الذى بانوا به من الخلال وحبوا به من شرف الخصال * على أن ولاء الاتراك للباب فرس ولمصاص عبدمناف وفى بنى هاشم وهاشم موضع المدار من حد الفرس والعقد من لبه الكعاب وهو الجوهر المكنون والذهب المصفى وموضع المحه(١) من البيضة والعين من الرأس والروح من البدن وهم الانف المقدم والسنام الاكوم والطينة البيضاء والدرة الزهراء والروضة الخضراء والذهب الاحمر فقد شاركوا العرب فى انسابهم والموالى في أنسابهم وفضلوهم بهذا الفضل الخاص الذى لا يبلغه فضل وان برع بل لا يكثره شرف وان عظم ولا مجد وان قدم (وزعمت) ان انساب الجميع متقاربة غير متباعدة وعلى حسب ذلك التقارب تكون الموازرة والمكاتفة والطاعة والمناصحة والمحبة للخلفاء والائمة (وذكرت) انه ذكر جملا من مفاخر هذه الاجناس وجمهره(٢) من مناقب هذه الاصناف وانه جمع ذلك وفصله واجمله وفسره وانه الغى ذكر الاتراك فلم يعرض لهم وأضرب عنهم صفحاً فلم يخبر عنهم كما اخبر عن جملة كل جيل وعن برهان كل صنف (وذكر) ان الخراسانى يقول نحن النقباء وأبناء النقباء ونحن النجباء وأبناء النجباء ومنا الدعاة قبل ان تظهر دعائه أو تعرف نجابته

---

(١) المحه بضم الميم وفتح الحا المهملة مشدد صفر البيض (٢) (الجمهر) من جمهر اذا جمعه اي جملة مجموعة فهو من عطف المرادف اه

وقتل المقاتلة والأداة وقبل كشف الغطاء وزوال النعمة وما زال ملك أعدائنا عن مستقره ونبت ملك أوليائنا في نصابه ومن ذلك ما قتلنا وشردنا ونهكنا ضرباً وطعناً ونصبنا بالسيوف الحداد وعذبنا ألوان العذاب وبنا شفى الله الصدور وأدرك الثار وبنا الآن عمر الفناء والسعون الخباء ونحن الحكمة وأسباب الحكمة ونحن الكلمة وأسباب الكلمة وبنا المستحقة ومن ثمرح النعمة وبنا ثم حران وأصحاب الحوريين وبنا الرعدية والآرادمردية ونحن فتحنا البلاد وقتلنا العباد وأبدنا العدو بكل واد ونحن أهل هذه الدولة وأصحاب هذه الدعوة ومنبت هذه الشجرة * ومن عندنا هبت هذه الريح * والأنصار انصاران الأوس والخزرج نصروا النبي صلى الله عليه وسلم في أول الزمان وأهل خراسان نصروا ورثته في آخر الزمان عدانا بذلك آباؤنا وعدونا به أبناءنا وصار لنا نسباً لا نعرف الا به ودينا لا نوالي الا عليه * ثم نحن على سيرة واحدة ونهاج غير مشترك نعرف بالسمعة ونديّن بالطاعة ونقتل فيها ونموت عليها سيمانا موصوف واسمنا معروف ونحن أصحاب الرايات السود والروايات الصحيحة والاحاديث المأثورة والذين يهدون ويدين الجبابرة وينزعون الملك من أيدي الظلمة وبنا تقدم الخبر وصح الأثر وجاء في الحديث صفة الذين يجوبون ثغوره ويطيرون عليها ويقاتلون مقاتليها وينسبون درارها حسب قالوا في نعتهم شعورهم شعور النساء وثيابهم ثياب الرهبان فصدق الفعلُ القول وحقق الخبر العيان (ونحن) الذين ذكرنا وذكر بلاءنا امام الأئمة وابو الخلائف العشرة محمد بن علي حين أراد توجيه

الدعاه الى الآفاق وهربوا شيعه فى البلدان (قال) أما البصره وسوادها فقد غلب عليها عثمان وصنائع عثمان فليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الكوفه وسوادها فقد غلب عليها عليّ وشيعته وليس بها من شيعتنا الا القليل وأما الشام فشيعه بني مروان وآل أبي سفيان وأما الجزيره فحروريه شاريه وخارجه مارقه ولكن عليكم بهذا الشرق فان هناك صدورا سليمه وقلوبا فارغه لم تقسمها الاهواء ولم تخامرها الادواء ولم تدب فيها البدع وهم مغيظون موتورون وهناك العدد والعده والعتاد والنجده (ثم قال) وأنا اتفاءل الى حيث يطلع النهار فكتابهم حين جدد لخبر امام وصدقنا طيه وسيأ رأيه وصوبنا فراسته (وقال) مره أخرى ان أمرنا هذا شرقى لاغربى ومقبل لامدبر يطلع كطلوع الشمس يمتد على الآفاق امتداد النهار حتى يبلغ حيث بلغته الاخفاف وناله الحوافر (قالوا) ونحن فيلنا الصحيحه والداليه والذكوانيه والراشديه ونحن أيضا أصحاب الخنادق أيام نصر بن سيار وابن جديع الكرماني وشيبان بن سلمة الخارجي ونحن أصحاب نباته بن حنظله وعامر بن ضباره وأصحاب ابن هبيره فلنا قديم هذا الامر وحديثه واوله وآخره وبنا قاتل مروان ونحن قوم لنا أجسام واجرام وشعور وهام ومناكب عظام وجباه عراض وقصص غلاظ وسواعد طوال ونحن أولد للذكوره وأنسل للحموله وأقل صبوى وصبوه وأقل أناثى وأشد ارحاما وأشد عصبا وأتم عطاء وأنداد أحمل للسلاح وأحفاها أملأ للعيون ونحن اكثر ماده وأكثر عدداً وعده ولو ان ياجوج ومأجوج كاثروا من وراء النهر الظهروا عليهم بالعدد فأما الايد وشده

الاسر[1] فليس لاحد بعد عاد وثمود والعمالقة والكنعانيين مثل أيدينا وأسرنا ولو أن حول الارض وفرسان جميع الاطراف جمعوا في حلبة واحدة لكنا أكثر في الموت وأهول في الصدور * ومتى رأيت مواكبنا ورساتنا وبنودنا التي لا يحملها غيرنا علمت أننا لم نخلق الا لملك الدول وطاعة الخلفاء وتأييد السلطان ولو أن أهل الباب ورجال الرابح وفرسان الهند وحلبة الروم هجم عليهم هاشم بن اسحاق لما امتنعوا من طرح السلاح والهرب في البلاد ونحن أصحاب اللحى وأرباب النهى وأهل الحلم والحجى وأهل الحصانة في الرأي[2] والبعد في الطيش ولسنا كحدث السام والدارصين للجرم والمتهتكين لكل محرم ونحن ناس النابة ودافعيه ونحن نجمع بين النزاهة والطاعة والصبر على الخدمة والتجمير[3] عند بعد الشقة ولنا الطبول المهولة والبنود العظام ونحن أصحاب التجافيف[4] والاجراس والاركند واللبود الطوال والاعمدة المعممة[5] والسوارب المزربة[6] والطيالس السابغة والجلاجل المشهرة والكافركوبات والطبرزينات في الاكف والخناجر في الاوساط ولنا تعليق السيوف وحسن الجلسة على ظهور الخيل ولنا الاصوات التي تسقط الحبالى وليس

---

(١) (الايد) القوة (والاسر) الشدة والعصب وشد الخلق والخلق
(٢) (الحصانة في الرأي) العلم فيه (٣) (التجمير) الاجتماع والانضمام
(٤) (التجافيف) جمع تجفاف بالكسر آلة للحرب يلبسه الفرس والانسان ليقيه في الحرب (٥) (المعممة) أي المموجة قال في المصباح عممت الشيء تعميما عوجته اهـ
(٦) (المزربة) اي المدرجة المطوى بعضها على بعض

فى الارض صناعة عربيه من أدب وحكمه وحساب وهندسه واتساع وصنعه وفقه وروايه نظرت فيها الحراسانيه الافرغب فيها الرؤساء وندب[1] فيها العلماء ولنا صنعه السلاح من لبد وركاب ودرع ولنا مما حفا اورياضه وتمرينا وارهاصاً للحرب وسمما ودربه للمحاوله والمساوله وللكر بعد الفرّ مثل الداوق[2] والبرو على الخيل صغاراً و مثل الطبطابه[3] والصوالجه كباراً ثم رمى الحسمه والبرجاس والطائر الخطاف فنحن أحق بالاثره وأولى بشرف المنزله (ثم قلت) وزعم أن العربيّ يقول ان العربيه تستحق بالانساب الناسبه والارحام الشابكه وبالاعراق القديمه والطاعه للآباء والعشيرة وبالشكر النافع والمدح الكافى وبالشعر الموزون الذى يبقى بقاء الدهر ويلوح مالاح نجم ويشيد ما أهلّ بالجيح وما هب الصبا وما كان للريب عاصر وبالكلام المنثور والقول المأثور ونصبه مخرج الدوله والاحتجاج للدعوه ويشيد المآثر اذ لم تكن ذلك من عاده العجم ولا كان يحفظ ذلك معروفا لسوى العرب * ونحن نرسطها بالشعر المقفى ونه ندها نحفظ الامس الذين لا يتكلون على الكتب المدونه والخطوط المطرسه ونحن اصحاب الفاخر والسائر والبارع فى الشرف والنحاكم الى كل حكم مقنع وكاهن شجاع ولنا التفاخر بالمناقب والتفاخر بالمناقب ونحن أحفظ لانسابنا وأرعى لحقوقنا ونشيدها أيضاً بالمنثور المرسل بعد الموزون المعدل بلسان أمضى من السنان وأرهف من السيف الحسام حتى نذكرهم مافد درس رسمه وعفا

---

(١) (وندب) اي عاب (٢) (الداوق) عرا نصطاد به الطير (٣) (الطبطابه) خشبه عريضه يلعب بها بالكرة

أثره وبين الفعال من جهة الرغبة والرهبة فرق وليس المعرق في الحفاظ كمن هو فيه حادث وهذا باب يتقدم فيه التالدُ القديمُ الطارفَ الحدث وطلاب الطوائل رجلان سجستانيٌّ واعرابيٌّ وهل أكثر النقباء الا من صميم العرب ومن صاحب هذا النسب كأبي عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائي وأبي محمد سليمان بن كثير الخزاعي وأبي نصر مالك بن الهيثم الخزاعي وأبي داود خالد بن ابراهيم الذهلي وكأبي عمرو لاهز بن قريظ المري وأبي عيينة موسى بن كعب المرائي وأبي سهل القاسم بن مجاشع المري ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مثل مالك بن الطواف المرائي (وبعد) فمن هذا الذي نابذ قبل مروان ومن هزم ابن هبيرة ومن قتل ابن ضبارة ومن قتل نباتة بن حنظلة الاعرب الدعوة والصميم من أهل الدولة ومن فتح السند الا موسى بن كعب ومن فتح افريقية الا محمد بن الاشعث (وقلت) وقال ويقول الموالي لنا النصيحة الخالصة والمحبة الراسخة ونحن موضع النعمة عند السيد وعلى المولى من يحب وجوه لمحبة المولى من فوق لان شرف ولاه راجع اليه وكرمه زائد في كرمه وخموله مسقط لقدره وبوده أن خصال الكرم كلها اجتمعت فيه لانه كلما كان مولاه أكثر وأشرف وأظهر كان هو أشرف وانبل ومولاك اسلم لك صدراً وأود ضميراً وأقل حسداً (وبعد) فقالوا لا لحمة كلحمة النسب فقد صار لنا النسب الذي يصبو به العربيُّ ولنا الاصل الذي يفخر به العجميُّ (قال) والصبر ضروب فاكرمها كلها الصبر عن افشاء السر وللمولى في هذه المكرمة ماليس لاحد ونحن أخص مدخلا وألطف في الخدمة مسلكا ولنا مع الطاعة

والحد ه والاحلاص وحس السه حد ه الاساء للآ باء والآ باء للاحداد وهم عوالهم آلس وساحه هم أوس وىكفائهم أ ىره وقد كان المنصور ومحمد ابن علي وعلي بن عبد الله يحصون موالهم بالمواكاه والدسط والاساس لا يهرحون[1] الاسود لسواده ولا الدمم لدمامه ولا ادا الصاعه الدىئه لدناءتها ويوصون بحفظهم اكابر أولادهم ويحملون لنكثير من مواليهم الصلاه على جنائزهم وذلك بحضره من اله ومه وبنى الاعمام والاخوه ويذاكرون اكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثه وولاه حين عقد له يوم موته على حله بنى هاشم وحمله أ مر كل ىاده لطؤها ويذاكرون حبه صلى الله عليه وسلم لاسامه بن زيد وهو الحب بن الحب وعقد له على عظماء المهاجرين وأكابر الانصار ويذاكرون صنيعه صلى الله عليه وسلم لسائر مواليه كأبى أنسه وسعران وفلان وفلان (قالوا) وانا صاحب الدوله أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وابو سلمه حفص بن سليمان وأبو مسلم مولى الامام وعليهما دارت رحا الدوله وتم الامر والسق نظام الملك (قالوا) وانا من رؤس النقباء أبو منصور ولى حراعه وأبو الحكم عيسى بن أعين مولى حراعه وأبو حمزه عمرو بن أعين ولى حراعه وأبو النجم عمران بن اسماعيل مولى آل أبى معيط فلنا مناقب الخراسانيه ولنا مناقب الموالى فى هذه الدعوه ونحن منهم والنهم ومن أنفسهم لا يدفع ذلك مسلم ولا ينكره مؤمن خدمناهم كبارا وحملناهم

(١) (لا يهرحون الاسود) الهرحه ان يدل بالسى عن الحاد القاصد الى عىرها والمبهرح من الدما المهدر اه

على عوانها صغاراً هذا مع حق الرضاع والخؤولة والنشوء في الكتاب والملك في تلك العراص التي لم ينلها الا كل سعيد الجد وجيه في الملوك * فقد شاركنا العربيَّ في فخره والخراسانيَّ في مجده والنبويَّ في فضله ثم تفردنا بما لم يشاركونا فيه ولا يفوتونا اليه (قالوا) ونحن أشكل بالرعية وأقرب الى طباع الدهماء وهم بنا آنس والينا أسكن والى لقائنا أحنّ ونحن بهم أرحم وعليهم أعطف وبهم أشبه (فنحن) أحق بالاثرة وأولى بحسن المنزلة ممن هذه الخصال له وهذه الخلال فيه

﴿ وقد ﴾ ذكر ابن النبويّ قال أنا أصلي خراسان وهو مخرج الدولة ومطلع الدعوة ومنها نجم[1] هذا القرن وصبا[2] هذا الناب وفجر هذا الينبوع واستفاض هذا البحر حتى ضرب الحق بجرانه وطبق الآفاق بضيائه فأبرأ من السقم القديم وشفى من الداء العضال وأغنى من العيلة ونصر من العمى وفرعي بغداد وهي مستقر الخلافة والقرار بعد الخولة[3] وفيها منه رجال الدعوة وابناء الشيعة وهي خراسان العراق وبيت الخلافة وموضع المادة (قال) وانا أعرق في هذا الامر من أبي وأكثر ترددا من جدي وأحق في هذا الفضل من المولى والعربي * وانا بعد في أبنيتنا ما لا ينكر من الصبر تحت ظلال السيوف القصار والرماح الطوال ولنا معانقة الابطال عند تحطم القنا واصطكاك الصفائح وانا المواخاة بالسكاكين[4] وتلقي

---

(١) ﴿نجم﴾ من باب دخل اى طلع وظهر (٢) ﴿ وصبا ﴾ اصله خرج من دين الى دين والمراد هنا خرج ونبت فهو تجريد عن بعض معنا (٣) ﴿الخولة﴾ اى التحول والتنقل (٤) ﴿المواخاة بالسكاكين﴾ المضاربة بها

الحناجر بالعيون ونحن حماه المسالح واباء المضائق ونحن أهل الثبات عند الجولة والمعرفة عند الحيرة وأصحاب المشهرات وربه العساكر وحلى الخموس ومن يمشى فى الرمح ويجال بين الصفين ونحن أصحاب الفتك والاقدام ولنا نعدُّ التسلق ونقب المدن والتقحم على ظبات السيوف وأطراف الرماح ورضخ الجندل وهشم العمد والصبر تحت الجراح وعلى حر السلاح اذا طار قلب الاعرابىّ وساء ظن الخراسانى ثم الصبر تحت العقوبة والافصاح عند المساءلة واجتماع العمل وصحة الطرف وثبات القدمين وقلة الشكوى تحمل العقاب والنفذ من الاقرار وقلة الخضوع للدهر والخضوع عند جفوة الزوار وجفا الاقارب والاخوان ولنا القتال عند أبواب الخنادق ورؤس القناطر ونحن الموت الاحمر عند أبواب النقب ولنا المواخاة فى الازقة والصبر على ثقال السجون فسل عن ذلك الحلبة والكنيسة والبلالة والحربية ونحن أصحاب المكابرات وأرباب النبات وقتل الناس جهاراً فى الاسواق والطرقات ونحن نجمع بين السلة والمراجعة ونحن أصحاب القنا الطوال ما كنا رجالة والمطارد القصار ما كنا فرسانا فان صرنا كُرّاداً فالجفن الماضى والسم الزعاف وان كنا طلائع فكلنا نوم نام أمير الحارس مايل بالالى كما يقاتل بالنهار ويقاتل فى الماء كما يقاتل على الارض ويقاتل فى القرية كما يقاتل فى المحلة ونحن أفتك واحسب ونحن أقطع للطريق وادكر فى الامور مع حسن القدود وجودة الخرط ونادر اللحى وحسن العمة والنفس المرة واصحاب الباطل واللهو ثم الخط والكتابة والفقه والرواية ولنا بغداد بأسرها نسكن

ماسكنا ويحرك ما حركنا والدنيا كلها معلقة بها وصائرة الى معناها
فاذا كان هذا أمرها وقدرها فجميع الدنيا تبع لها وكذلك أهلها
لاهلها وما كها لنا كها وخلاءها لخلائها ورؤساؤها لرؤسائها
وصلحاؤها لصلحائها ونحن نعدّ بينه الخلفاء وجيران الوزراء وُلدنا
في أفنية ملوكنا . ونحن أجنحة خلفائنا فأخذنا بآدابهم واحتذينا على
مثالهم فلسنا نعرف سواهم ولا نُعرف بغيرهم ولم تطمع فينا أحد
قط من خطاب ملكهم وممن يرشح للاعتراض عليهم فمن أحق
بالاثرة وأولى بالقرب في المنزلة ممن هذه الخصال فيه وهذه الخلال له *

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ إن ذهبنا حفظك الله نعقب هذه
الاحتجاجات وعند منقطع هذه الاستدلالات نستعمل المقاومة
بمناقب الاتراك والموازنة بين خصالهم وخصال كل صنف من هذه
الأصناف سلكنا في هذا الكتاب سبيل أصحاب الخصومات في
كتبهم . وطريق أصحاب الاهواء في الاختلاف الذي بينهم وكتابنا
هذا انما تكلفناه لنؤلف بين قلوبهم ان كانت مختلفة ولنزيد في الألفة
ان كانت مؤتلفة ولنخبر عن اتفاق أسبابهم لتجتمع كلمتهم ولتسلم
صدورهم ولنعرف من كان لا يعرف منهم موضع التفاوت في النسب
وكم مقدار الخلاف في الحسب فلا يغتر بعضهم بعض ولا يفسده عدوّ
بأباطيل مموهة وشبهات مزوّرة فان المنافق العليم والعدوّ ذا
الكيد العظيم قد يصوّر لمن دونه الباطل في صورة الحق ويلبس
الاضاعة ثياب الحزم الا انا على كل حال سنذكر جملا من أحاديث رؤسائها

ووعياها . وأمور رأساها وشاهدناها وقصص نقصناها من أفواه الرجال وسمعناها وسنذكر ما حفظ لجميع الاصناف من الآلات والأدوات ثم نظر أيهم لها أشد استعمالا . وبها أشد استقلالا . ومن أثقف كسباً وأصح عيناً وأذكى نفساً وأبعد غوراً وأجمع أمراً وأعم خواطر وأكثر غرائب وأبدع طرقاً وأدوم نفعاً فى الحروب وأضرى وأدرب دربة وأغمض مكيدة وأشد احتراساً وألطف احتيالا حتى تكون الخيار في يد الناظر فى هذا الكتاب المصحح لمقاسه المقلب لوجوهه والمفكر فى أبوابه المقابل بين أوله وآخره ولا تكون نحن اخترنا شيئاً دون شيء وفلدنا بفضل بعض على بعض بل لعلنا أن لا نخبر عن خاصة ما عندنا بحرف واحد * فاذا دبرنا كتابنا هذا التدبير وكان موضوعه على هذه الصفة كان أبعد له من مذاهب الجدال والمراء واستعمال الهوى (وقد) ظن ناس أن أسماء أصناف الاجناد لما اختلفت فى الصورة والخط والهجاء كانت حقائقها ومعانيها على حسب ذلك وليس الأمر على ما يتوهمون ألا ترى أن اسم الساكرية وان خالف فى الصورة والخط والهجاء اسم الجند فان المعنى فيهما ليس ببعيد لانهم يرجعون الى معنى واحد وعمل واحد والذى اليه يرجعون طاعة الخلفاء وتأييد السلطان واذا كان المولى منسوبا الى العرب فى أكثر المعانى ومحمولا منهم في عامة الاسباب لم يكن ذلك بأعجب من حمل الخال والداً والحليف من الصميم وابن الاخت من القوم وقد حمل ابن الملاعنة المولود على فراش النغل منسوبا الى أمه وقد حمل اسماعيل صلوات الله وسلامه عليه وهو ابن عجمي عربياً لأن الله تعالى

فوق لهاته[1] بالعربية المبينة على غير التلقين والترتيب ثم فطره على الفصاحة
الجسيمة على غير النشوء والتمرين وسلخ طباعه من طبائع العجم ونقل الى
بدنه تلك الاجزاء وركبه اختراعا على ذلك التركيب وسوّاه تلك التسوية
وصاغه تلك الصيغة ثم حباه من طبائعهم ومنحه من أخلاقهم وشمائلهم
وطبعه من كرمهم وأنفتهم وهممهم على أكرمها وأسماها وأسراها
وأعلاها وجعل ذلك برهانا على رسالته ودليلا على نبوته فكان أحق
بذلك النسب وأولى بشرف ذلك الحسب وكما جعل ابراهيم صلى الله عليه
وسلم أبا لمن لم يلد فالنبويّ خراسانيّ من جهة الولادة والمولى عربيّ من
جهة المدعى والعاقلة ولو أحاط علما بأن زيداً لم يخلق من نجل عمرو
الا عياراً لبعده عنه وان أيقنا أنه لم يخلق الا من ماء صلبه * وكما جعل
النبي صلى الله عليه وسلم أزواجه أمهات المؤمنين وهن لم يلدنهم ولا أرضعنهم
وفي بعض القراآت وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم على قوله ملة أبيكم ابراهيم
وجعل المرأة من جهة الرضاع أما وجعل امرأة البعل أم ولد البعل من
غيرها وجعل الرابّ والداً وجعل العم أبا في كتاب الله وهم عباده لا يعلمون
الا ما علمهم فيه وله سبحانه وتعالى أن يجعل من عباده من شاء عربيا ومن
شاء عجميا ومن شاء قرشياً ومن شاء زنجيا كما له جل وعلا أن يجعل من
شاء ذكراً ومن شاء أنثى ومن شاء خنثى ومن شاء أفرده من ذلك فجعله
لا ذكراً ولا أنثى ولا خنثى وكذلك خلق الملائكة وهم أكرم على الله تعالى

(١) (اللهاة) اللحمة المشرفة على الحلق أو ما بين منقطع أصل اللسان الى منقطع القلب
من أعلى الفم اه

من جميع الخليقة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام فلم يحمل له أبا ولا أما وخلقه من طين ونسبه اليه وخلق حواء من ضلع آدم وجعلها له زوجا وسكنا وخلق عيسى صلى الله عليه وسلم من غير ذكر ونسبه الى أمه التي خلقه منها وخلق الجان من نار السموم وآدم من طين وعيسى من غير نطفة وخلق السماء من دخان والأرض من الماء وخلق اسحق من عاقر وأنطق عيسى في المهد وأنطق يحيى بالحكمة وهو صغير وعلم سليمان منطق الطير وكلام النمل وعلم الحفظة من الملائكة جميع الألسنة حتى كتبوا بكل خط ونطقوا بكل لسان وأنطق ذئب اهبان بن أوس * والمؤمنون من جميع الأمم اذا دخلوا الجنة وكذلك أطفالهم والمجانين يتكلمون ساعة يدخلون الجنة بلسان أهل الجنة على غير التربيب والتنزيل والتعليم على طول الأيام والتلقين فكيف يصعب الجاهلون من انطاق اسماعيل بالعربية على غير تعليم الآباء وتأديب الحواضن وهذه المسألة ربما سأل عنها بعض القحطانية ممن لا علم له بعض العدنانية وهي على القحطاني أشد فأما جواب العدناني فسلس النظام سهل المخرج قريب المعنى لأن بني قحطان لا يدعون لقحطان سوى فطنة الله بل هذه الأعجوبة * وما الذي قسم الله عز اسمه بين الناس من ذلك الا كما صنع في طينة الارض فجعل بعضها حجراً وبعض الحجر ياقوتا وبعضه ذهباً وبعضه نحاساً وبعضه رصاصاً وبعضه صفراً وبعضه حديداً وبعضه زاجاً وبعضه فخاراً وكذلك الزاج والمغرة والزرنيخ والمرتك والكبريت والقار والنوشاذر والمرقشيثا والمغناطيس

ومن يحصي عدد جواهر الأرض وأصناف الفلز[1] واذا كان الامر على ما وصفنا فالبنوي خراساني واذا كان الخراساني مولى والمولى عربي فقد صار الخراساني والبنوي والمولى والعربي شيئاً واحداً وأدنى ذلك أن يكون الذي معهم من خصال الوفاق غامراً لما معهم من خصال الخلاف بل هم في معظم الأمر وفي كبر الشأن وعمود النسب متفقون فالأتراك خراسانية وموالي الخلفاء قصره فقد صار فصل التركي الى الجميع راجعا وصار شرفه الى شرفهم زائداً واذا عرف سائر الاجناد ذلك ساعت النفوس وذهب الحقد وماب الضغن وانقطع سبب الاستمال فلم يبق الا التحاسد والتنافس الذي لا يزال يكون بين المتقاربين في القرابة وفي الصناعة وفي المجاورة على أن التوازر والتسالم في القرابات وفي بني الأعمام والعشائر أفشى وأعم من التخاذل والتعادي ولحب التناصر والحاجة الى التعاون انضم بعض القبائل في التوادي الى بعض ينزلون معاً ويظعنون معا ومن فارق اصحابه أقل ومن نصر ابن عمه أكثر ومن اغبط نعمته وتمنى بقاءها والزيادة فيها أكثر ممن بغاها الغوائل[2] وطلب انقطاعها وزوالها ولا بدّ في اصناف ذلك من بعض التنافس والتخاذل الا أن ذلك قليل من كثير وليس يكون أن تصفو الدنيا وتنقى من الفساد والمكروه حتى تعرى جميع

(١) (الفلز) بكسر الفا واللام وشد الزاي وبكسر الفا وفتح اللام وشد الزاي وكسل نحاس ابيض يجعل منه القدور المفرغة وخبث الحديد او الحجارة او جواهر الارض كلها اه قاموس (٢) (بغاها الغوائل) قال ابغا الشئ طلبه له كبغاه اياه كرماه والغوائل الدواهي

الخلاف وتسوي لأهلها وتمهد لسكانها على ما تشتهون وتهوون لأن ذلك من صفة دار الجزاء وليس كذلك صفة دار العمل

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

هذا كتاب كتبه أبام المعتصم بالله رضي الله تعالى عنه ونضر وجهه فلم تصل اليه لأسباب تطول شرحها فلذلك لم أعرض للاخبار عنها وأحسب أن تكون كتابا قصداً ومذهباً عدلاً ولا تكون كتاب اسراف فى مديح قوم واغراق في هجاء آخرين فان الكتاب اذا كان كذلك شابه الكذب وخالطه التزيد[1] وبنى أساسه على التكلف وخرج كلامه مخرج الاستكراه والتعلق وأنفع المدائح للمادح وأجداها على الممدوح وأبقاها أثراً وأحسنها ذكراً أن تكون المديح صدقا ولظاهر حال الممدوح موافقا وبه لائقا حتى لا تكون من المعرفة والواصف له الا الاشارة اليه والتنبيه عليه * وأنا أقول ان كان لا يمكن ذكر مناقب الاتراك الا بذكر مثالب سائر الاجناد فترك ذكر الجميع أصوب والاضراب عن هذا الكتاب أحزم وذكر الكثير من هذه الاصناف بالجميل لا يقوم بالقليل من ذكر بعضهم بالقبيح لان ذكر الاكثر بالجميل نافلة وباب من التطوع وذكر الأقل بالقبيح معصية وباب من ترك الواجب وقليل الفريضة أجدى علينا من كثير التطوع واكثر الناس نصيب من النقص ومقدار من الذنوب وانما تتفاضل بكثرة المحاسن وقلة المساوي فأما الاشتمال على جميع المحاسن والسلامة من جميع المساوى دقيقها وجليلها وظاهرها وخفيها فهذا لا نعرف (وقد قال النابغة)

---

(١) (التزيد) قال في القاموس والتزيد الغلا والكذب وتكلف الزيادة في الكلام اه

ولست بمستبق أخاً لا تلمه * على شعث أي الرجال المهذب

(وقال حريش السعدي)

أخ لي كأيام الحياة إخاؤه * تلون ألواناً علي خطوبها

إذا عبت منه خلة فتركته * دعتني إليه خلة لا أعيبها

(وقال بشار)

إذا كنت في كل الأمور معاتباً * خليلك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعش واحداً أو صل أخاك فإنه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى * ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

(وقال مطيع بن إياس الليثي)

ولئن كنت لا تصاحب إلا * صاحباً لا تزل ما عاش نعله

[1]لم تجده ولو جهدت وأني * بالذي لا يكون يوجد مثله

إنما صاحبي الذي يغفر الذنب ويكفيه من أخيه أقله

(وقال محمد بن سعيد وهو رجل من الجند)

سأشكر عمراً إن تراخت منيتي * أيادي لم تمنن وإن هي جلت

فتى غير محجوب الغنى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها * فكانت قذى عينيه حتى تجلت

---

(١) (قوله لم تجد البيت) كذا بالأصل وهو غير مستقيم وزناً مع أنه من بحر البيتين الآخرين ولعل الرواية هكذا

لم تجد ولو جهدت وأنى * بالذي لا يكون يوجد مثله

وحرر اه مصححه

فاذا كان الخلطاء من جمهور الناس وأصحاب المنافس من دهماء الجماعة يرون ذلك واجباً في الأخلاق ومصلحة في المعاش وتدبيراً في التعامل على ما فيه من مشاركة الخطأ للصواب وامتزاج الضعف بالقوة فلسنا نشك أن الامام الأكبر والرئيس الأعظم مع الأعراق الكريمة والأخلاق الرفيعة والتمام في الحلم والعلم والكمال في الحزم والعزم ومع التمكن والقدرة والفضيلة والرياسة والسيادة والخصائص التي معه من التوفيق والعصمة والتأييد وحسن المعونة لم يكن الله جل اسمه ليحليه باسم الخلافة ويحبوه بتاج الامامة وبأعظم نعمه وأسنيها وأفضل كرامته وأسناها ثم وصل طاعته بطاعته ومعصيته بمعصيته الا ومعه من الحلم في موضع الحلم والعفو في موضع العفو والتغافل في موضع التغافل ما لا ينامه فضل ذي فضل ولا حلم ذي حلم * ونحن قائلون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فيما انتهى الينا من أمر الأتراك

﴿زعم﴾ محمد بن الجهم وثمامة بن أشرس والقاسم بن سيار في جماعة ممن نعني دار الخلافة وهي دار العامة (قالوا) جميعاً بينا حميد بن عبد الحميد جالس ومعه بخشاد الصغدي وأبو سجاع شبيب بن بحار حداي البلخي ويحيى ابن معاذ ورجال من المعدودين المتقدمين في العلم بالحرب من أصحاب التجارب والمراس وطول المعالجة والمعاناة لصناعة الحرب اذ خرج رسول المأمون فقال لهم يقول لكم أمير المؤمنين متفرقين ومجتمعين ليكتب كل رجل منكم دعواه وحجته وليفعل أيما أحب الى كل قائد منكم اذا كان في عدته من صحبه وثقاته أن يلقى مائة تركي أو مائة خارجي فقال القوم جميعاً

تلى مائة تركى أحب الينا من أن تلى مائة خارجى وحميد ساكت

(فلما) فرغ القوم من حججهم قال الرسول لحميد قد قال القوم فقل وا كتب قولك ولكن حجه لك أو عليك (قال) بل ألقى مائة خارجى أحب الى لأنى وجدت الخصال التى فضل بها الخارجى جميع المقاتلة غير تامة فى الخارجي ووجدتها تامه فى التركي فضل التركى على الخارجى بقدر فضل الخارجى على سائر المقاتلة ثم بان التركى عن الخارجى بأمور ليس فيها للخارجى دعوى ولا متعلق . على أن هذه الأمور التى بان بها التركى من الخارجى أعظم خطراً وأكثر نفعا مما شاركه الخارجي في بعضها (ثم قال) حميد والخصال التى تصول بها الخارجى على سائر الناس * صدق الشده عند أول وهلة وهى الدفعة التى يبلغون بها ما أرادوا وينالون الذي أملوا * والثانية الصبر على الخبب وعلى طول السرى حتى تصبح القوم الذين غزوا بهم غارين[1] فيهجموا عليهم وهم بسوء[2] ولحم على وضم[3] فيحلوا بهم عن الرويه وعن رد النفس بعد البروه والجوله[4] لا يظنون ان أحداً يقطع فى ذلك المقدار من الزمان ذلك المقدار من البلاد * والثالثة أن الخارجى موصوف عند الناس بأنه ان طلب أدرك وإن طُلب فات * والرابعة خفة الازواد وقلة الأمتعة وانها بحسب الحمل وترك الثقال وان احتاجت أمسكت بأرض

---

(١) (غارين) مستريد الرأى اي غافلين (٢) (وهم بسوء) اى بهرعة وسر (٣) (ولحم على وضم) لوضم محركة ماوقيت به اللحم عن الارض من خشب وحصير ونحوهما ويقال تركهم لحما على وضم اذا اوقعهم فذللهم واوجعهم (٤) (البرو والجوله) البره الوثب والجولة جولان الفرس فى القوم فى الحرب على ...

وأصبحت بأخرى وأنهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الاموال الكثيره والجنان الملتفه والدور المشيده ولا ضياعا ولا مستغلاّت ولا جواري مطهمات[1] ولا بنات لهم ولا مال معهم فيرعب الجند في لقائهم وانما هم كالطير لا يدخر ولا يهم لغد ولها في كل أرض من المياه والاقوات ما يبلغ به وان لم يجد ذلك في بعض البلاد فأجدبها قرّب لها البعد وسهل لها الحزون * وكذلك الخوارج لا يمتنع عليهم القرى والمطعم وان يمتنع عليهم ففي بنات أعوج[2] وبنات شحاح[3] وبنات صهال[4] وجمعه الانقال والقوة على طول الحبس ما يسهل اقواتها ويكثر من أرزاقها * والخامسه ان الملوك ان أرسلوا اليهم أعدادهم ليكونوا في أوزارهم وأثقالهم وليقووا على السفن كقوتهم لم يقووا عليهم لان مائة من الجند لا يقومون لمائة من الخوارج وان كثفوا الجيش بالجيش[5] وضاعفوا العدد بالعدد ملوا عن طلبهم وعن القوت ان طلبهم عدوهم ومتى شاء الخارجي أن يهرب منهم ليطرقهم أو ليصيب الغرة منهم أو ليسلبهم فعل فقد ثبت بانه يعيّ عند الفرصه ورؤيته العوره ويمكنه الهرب عند الخوف وان شاء كبسهم ليقطع نظامهم أو ليقطع القطعه منهم (قال حميد) فهذه هي مفاخرهم وخصالهم التى لها كره القواد لقاءهم (قال قاسم بن سيار) وخصله أخرى وهي التى رعبت القلوب وخلعها ونقضت العزائم وفسخها

---

(١) (مطهمات) المطهم كمعظم السمين الفاحش السمن والنحيف الجسيم الدقيقه ضد والتام من كل شئ (٢) (بنات اعوج) الاعوج اسم لجمله افراس (٣) (وبنات شحاح) وزان كتاب هي البغال (٤) (وبنات صهال) هي الخيل (٥) (كثفوا الجيش بالجيش) يقال كثفه يكثفه جعله كثيفا اي كثروه به

وهو ما يسمع الاحاد ومعامله العوام من ضرب المثل بالجوارح كقول الشاعر

اذا ما التحيل والمحادر للقرى * رأى الصف مثل الازرق المحصف

وكقول الآخر

وقلب ودّ حال عن عهده * والسيف سويد الشاري

وكقول الآخر

لقاء الأسد أهون من لقاه * اذا التحكيم يسهر بالأصل

فهذه زيادة قاسم بن سيار (فأما حمد) فانه قال السده الأولى التركى فيها أحمد أمرا وأجمع أمرا وأحكم سأما لأن التركى من أحل أن يصدق شديه ويمكن عزمه ولا يكون مشترك العزم ولا منقسم الخواطر فدعود بردونه أن لا يدى وان ساه ان علا فروجه [1] للأمر بديره مره أو مرتين والا فانه لا يدع سدبه ولا يقطع ركضه وانما أراد التركى أن يؤنس نفسه من الدواب ومن ان يعتريه السكدس بعد الاعرام لهول اللقاء وحب الحياه لانه اذا علم أنه قد صير بردونه الى هذه الغاية حتى لا يثنى ولا يحسه الى الصرف معه الا بأن يصنع شيئاً بين الصفين فيه عطبه لم يقدم على الشده إلا بعد إحكام الامر والبصر بالعوره وانما يريد أن ينسبه نفسه بالمُحرَج الذى اذا آثر القتال لم يدع جهداً ولم يدخر حيله ولسى عن قلبه خواطر الفرار ودواعى الرجوع (وقال) الخارجى عند السده انما نعتمد على الطعان والاتراك تطعن طعن الجوارح وان سد منهم ألف فارس فرموا رمياً

---

(١) (ان علا فروجه) الفروج ابن العوام قال للفرس لا فرجه وفروجه اذا عدا واسرع بهاي ملا فواعه عدوا كان العدو سد فروجه وملاها

واحداً صرعوا الف فارس فما بني حشن على هذا النوع من الشده والخوارج والاعراب ليست لهم رمايه مذكوره على ظهور الخيل والترکی يرمي الوحش والطير والبرجاس والناس والمجثمه والمثل الموضوعه والطير الخاطف ويرمي وقد ملأ فروج دابته مدبراً ومقبلاً ويمنه ويسره وصعداً وسفلاً ويرمي عشره أسهم قبل أن يفوّق الخارجي سهما واحداً ويركض دابته منحدراً من جبل أومستفلا الى بطن واد بأكثر مما يمكن الخارجي على بسط الارض وللترکی أربعه أعين عينان في وجهه وعينان في قفاه • وللخارجي عيب في مستدبر الحرب وللخراساني عيب في مستقبل الحرب فعيب الخراسانيه أن لاجوله عندأول الالتقاء وان ركبوا كساأهم[1] كانت هزيمتهم وكثيراً ما يثوبون وذلك بعد الخطار[2] بالعسكر واطماع العدو في السده والخوارج اذا ولوا فقد ولوا وليس لهم بعد الفر كرّ الاّ مالا يعد والترکی ليست له جوله الخرساني واذا أدبر فهو السم الناقع والحتف القاضي لانه يصيب بسهمه وهو مدبر كما يصيب به وهو مقبل ولا يؤمن وهقه[3] ولا انتساف الفرس[4] واخطاف الفارس بتلك الركضه ولم يثبت من الوهق في جميع الدهر الا المهلب بن أبي صفره والحريش بن هلال وعباد بن الحصين وربما رمي بالوهق وله قوه بدبر آخر وان لم يحسب المرمى معه يوهم

---

(١) (وان ركبوا كساهم) قال في القاموس وكس كل شي وكسؤه مؤخره وجمعه اكساء وركب كساء وقع على قفاه اهـ (٢) (الخطار) بكسر اوله جمع خطر وهو الاشراف على الهلاك والسبق يتراهن عليه اهـ (٣) (وهقه) الوهق محركه ويسكن الحبل يرمي في انشوطه اي عقد يسهل انحلالها وتؤخذ به الدابه والانسان (٤) (انتساف الفرس) الانتساف الاقتلاع

الجاهل ان ذلك انما كان لحرق التركي أو لحذق المرمى" (قال) وهم علموا الفرسان حمل فوسين وثلاثه فسي" ومن الاوتار على حسب ذلك (قال) والتركي في حال سدته معه كل شيء يحتاج اليه لنفسه وسلاحه ودابته واداة دابته فأما الصبر على الحسب وعلى مواصلة السفر وعلى طول السرى وقطع البلاد فعجيب جداً فواحده ان فرس الخارجي لا تصبر صبر برذون التركي والخارجي لا يحسن أن يعالج فرسه الا معالجة الفرسان لخيولهم والتركي أحذق من البيطار وأجود تقويماً لبرذونه على ما يريده من الرائضة[1] وهو استنتجه وهو رباه فلواً وتبعه ان سماه وان ركض ركض خلفه وقد عوّده ذلك حتى عرفه كما تعرف الفرس احذم والناقة حل والجمل جاه والبغل عدس والحمار ساسا[2] وكما تعرف المجنون لقبه والصبي اسمه ولو حصلت مدّة عمر التركي وحسبت أيامه لوجدت جلوسه على ظهر دابته أكثر من جلوسه على ظهر الارض والتركي يركب فحلا أو رمكة ويخرج غازيا أو مسافراً أو متباعداً في طلب صيد أو سبب من الاسباب فتتبعه الرمكة وأفلاؤها ان أعياه اصطياد الناس اصطاد الوحش وان أخفق منها واحتاج الى طعام فصد دابة من دوابه وان عطش حلب رمكة من رماكه وان أراح واحده ركب أخرى من غير أن ينزل الى الارض وليس في الارض أحد الاّ وبدنه ينقص على اتساب اللحم وحده غيره وكذلك دابته يكتفي بالعمر والعسب والشجر لا يظلها من شمس ولا يكنها من برد

---

(٣) (من الرائضة) متعلق بأجود والرائضة جمع رائض وهو من يروض الخيل ويذللها (٤) (احذم) اسم صوت يزجر به الفرس وكذا ما بعد كلها اسما أصوات للزجر

(قال) وأما الصبر على الحب فان العربين والفراسن والخصيان والخوارج لو اجتمعت قوام في سحص واحد لما وفوا تركى واحد والتركي لا سي معه على طول الغايه الا الصمم من دوابه والذى يبله التركي بالغايه له و بمعه عند غرابه هو الذى لا تصبر معه فرس الخارجي ولا سي معه كل بردون بحاري[1] ولو سار خارجيا لاسترع جهده قبل أن يبلغ الخارجي عفوه والتركي هو الراعى وهو السائس وهو الرائض وهو النحاس وهو السطار وهو الفارس فالتركى الواحد أمه على حده (قال) واذا سار التركى فى عسا كر الترك فسار القوم عشره أميال سار التركى عشرين ميلا لانه يقطع عن العسكر يمنه ويسره ويصعد فى ذُرى الجبال ويستبطن قعور الاوديه فى طلب الصيد وهو فى ذلك يرمى كل ما دب ودرج وطار ووقع (قال) والتركى لم يسر فى العسكر سير الناس قط ولا سار مستقيما قط (قال) واذا طالت الدلجه واشتد السير وبعد المنزل وانتصف النهار واشتد التعب وسعل الناس الكلالُ وصمت المسايرون فلم ينطقوا وقطعهم ما هم فيه عن التشاغل بالحديث وتفسح كل شئ من شده الحر وجمد كل شئ من شده البرد وتمنى كل جلد القوى على طول السرى أن تطوى له الارض وكلما رأى جبالا أو علما استبشر به وظن انه قد بلغ المنزل فاذا بلغه الفارس نزل وهو منفحج[2] كأنه صبي مجنون بش اس المرتص وتسرع الى التاؤب وتداوى مما به بالتمطي والتصجع وترى التركى فى تلك الحال وقد سار ضعف ما ساروا وقد أتعب منكبه كثره النزع ترى قرب المنزل عيرا أو ظبيا أو عرض له

(١) (بخاري) نسبة اوله سه الى بخارسان (٢) (منفحج) اى فاتح ما بين رجليه

يطلب أو أرنب فركض ركض مستديم مسافة حتى كأن الذي سار ذلك السير ونصب ذلك التصب غيره وإن بلغ النا ن وإذا فاردحموا على مسلكه أو على فطرته نطن يردونه فأخذه ثم طلع من الجانب الآخر كأنه كوكب وإن انتهوا الى عقبة صعبة برك السن وذهب في الجبل صعداً ثم تدلى من موضع يتحير عنه الوعل وأنت تحسبه مخاطراً بنفسه للذي يرى من مطلعه ولو كان في كل ذلك مخاطراً لما دامت له السلامة مع شايع ذلك منه (قال) ويفخر الخارجي بأنه إذا طلب أدرك وإذا طلب لم يدرك والتركي ليس يحتاج الى أن يفوت لأنه لا يطلب ولا يرام ومن يروم ما لا يطمع فيه فهذا على أنا قد علمنا ان العلة التي عمت الخوارج بالنجدة استواء حالاتهم في الديانه واعتقادهم بأن القتال دين لانا حين وجدنا السجستاني والجزري واليماني والمغربي والعماني والازرقي منهم والنجدي والاباضي والصفري والمولى والعربي والعجمي والاعرابي والعبد والنساء والحائك والفلاح كلهم يقاتل مع اختلاف الانساب وتباين البلدان علمنا ان الديانه هي التي سوت بينهم ووفقت بينهم في ذلك كما أن كل حجام في الارض من أي جنس كان ومن أي بلد كان فهو يحب النبيذ وكما أن أصحاب الخلفان والسماكين والنخاسين والحاكه في كل بلد ومن كل جنس شرار خلق الله في المبايعه والمعامله فعلمنا بذلك ان ذلك جلبته في هذه الصناعات ونبته في هذه التجارات حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك (قال) ورأينا التركي في بلاده ليس يقاتل على دين ولا على تأويل ولا على ملك ولا على خراج ولا على عصبية ولا على غيرة دون الحرمه ولا على حمية ولا على عداوة ولا على وطن ومنع دار ولا

مال واىما ىهائل على السلب والحار فى ىده ولىس ىحاف الوعىد ان هرب ولا ىرحو الوعد ان أبلى عدرا وكدلكم فى ىلادهم وعاراتهم وحروبهم وهو الطالب عىر المطلوب ومن كان كدلك فاىما ىأحد العفو من قوّته ولا ىحتاح الى مجهوده ىم هو مع دلك لا ىقوم له ىئ ولا ىطمع فىه أحد فما طىك ىىن هده صفىه أن لو اصطره احراح أو عىره أو عصب أو ىدىن أو عرض له ىعص ما ىصحب المقاىل المحامى من العلل والاسىاب

(قال) وقىاه الحارحى طوىله صماء وقىاه البركى مِطرد أحوف والقىىء المحوفه القصار أسد طعنه وأحف فى المحمل والعحم ىحمل القىى الطوال للرحاله وهى فى الاىساء على أىواب الحنادق والمضائق والاىساء فى هدا الباب لا ىحرون مع الاىراك والحراساىه لان الغالب على الاىساء المطاعنه على ابواب الحنادق وفى المضاىق وهؤلاء أصحاب الحىل والفرسان وعلى الحىل والفرسان ىدور الحروب وساىهم الكرّ والفرّ والفارس هو الدي ىطوى الحىش طىّ السحل وىفرقهم ىفرىق الشعر ولىس ىكون الكمىن ولا الطلاىعه ولا الساقه الا الكبار منهم وهم أصحاب الاىام المدكوره والحروب الكبار والفتوح العظام ولا ىكون المقاىب والكماىن الا منهم ومنهم من ىحمل السود والراىات والطبول والمحاىف والاحراس وهم أصحاب الصهىل والصام وزحر الحىل وقعقعه الرىح فى الباب والسلاح ووقع الحوافر والادراك اذا طلبوا والفوت اذا طلبوا ولم ىحعل النبي صلى الله علىه وسلم للفارس سهمىن وللراحل من المقاىله سهما واحدا الا لىضاعف الرد فى الفىل والفتوح والنهىة والمغاىم (قال) ولعمرى ان للاىساء من الفضل فى السكك والسحوں

والمصايق ما ليس لغيرهم ولكن الرّجالة أبداً أتباع ومأمورون ومقادون وقائد الرّجالة لا يكون الا فارسا وقائد الفرسان من الممتنع أن يكون راجلا ومن تعود الطعان والضرب والرميَ راكبا ان اضطر الى الطعن والضرب والرمي راجلا كان على ذلك أدفع عن نفسه وأردّ عن أصحابه من الراجل اذا احتاج أن يستعمل سلاحه فارسا وعلى انه ما أكثر ما ينزلون ويقاتلون (وقد قال الشاعر)

لم يطمعوا أن ينزلوا ونزلنا * واخو الحرب من أطاق النزولا

(وقال الضبي) وعلامَ أركبه اذا لم انزل (وقال آخر) فعاف ونازل (وقال حميد) وليس في الارض قوم الا والتساند في الحروب والاشتراك في الرّئاسة ضارٌ لهم الا الاتراك على أن الاتراك لا يتساندون ولا يشاركون وذلك أن الذى يكره من المسانده والمشاركه اختلاف الرأي والتنافس في الشر والتحاسد بين الاشكال والتواكل فيما بين المشتركين والاتراك اذا صافوا جنساً فان كان في القوم موضع عوره فكلهم قد ابصرها وعرفها وان لم يكن هناك عوره ولم يكن فيهم طمع وكان الرأى الانصراف فكلهم قد رأى ذلك الرأى وعرف الصواب فيه وخواطرهم واحده ودواعيهم مستويه بأقدارهم معاً وليس هم أصحاب أو تلاب ولا أصحاب تفاخر وتحاسد وانما شأنهم إحكام أمرهم فالاختلاف قليل بينهم وكانت الفرس تعيب العرب اذا خرجوا الى الحرب متساندين وكانت تقول الاشتراك في الحرب وفي الزوجه وفي الامره سواء (قال حميد) فما ظنك بقوم اذا تساندوا لم يضرهم التساند فكيف يكونون اذا تحاسدوا فلما انتهى الى المأمون قال

لست بالترك حاجة الى حكم حاكم بعد حميد فان حميداً قد فارس الفرس وحميد خراساني وحميد عربي فليس للتهمة عليه طريق (قالوا) وأبى الخير ذا اليمين طاهر بن الحسين فقال ما أحسن ما قال حميد أما انه لم يقصر ولم يفرط فهذا قول الخاصة المأمون وحكم حميد ونصوب طاهر ﴿وأخبرني﴾ رجل من أهل خراسان أو من بني سدوس قال سمعت أبا البط يقول ويلكم كيف أصنع بفارس يملأ فروج دابته منحدراً من جبل أو صعداً في مقطع صخر ويمكنه على ظهر الفرس ما لا يمكن الرقاص الأُبْلِيّ على ظهر الارض (قال) وقال سعيد بن عقبة بن سلم الهنائي وكان ذا رأي في الحرب وابن ذي رأي فيها فرق ما بيننا وبين الترك أن الترك لم تعز قوما قط ولا صابت حسناً ولا هجمت على عدوّ كانوا عرباً أو عجماً فأخرجوا اليهم أعدادهم ولقوهم بمثلهم وليس غايتهم الا أن يبادوا ليكفوا عنهم بأسهم ومعرّتهم ويصرفوا عنهم كيدهم فان هم امتنعوا من الصلح واعتزموا على الحرب فليس شأنهم والذي يدور عليه أمرهم الا منع أنفسهم وتحصين عسكرهم والاحتراس منهم فأما أن ترقى هممهم او تسمو أنفسهم الى الاحتيال عليهم والتماس غِرّتهم فان هذا شئ لا يخطر على بال بن مخارجهم (ثم قال) وقد عرفهم جملتهم في دخول المدن من جهة حيطانها المصمتة وحيلتهم في عبور نهر بلخ وسعيد هذا هو الذي قال اذا خارجتم وكنتم بلاءه فاجعلوا واحداً مددا وآخر كميناً وله كلام في الحرب غير هذا كثير (قال سعيد) وأخبرني ابي قال شهدت ابا الخطاب يزيد بن قتادة بن دعامة الفقيه وذكر قول عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه في الترك حيث قال عدو شديد طلبه قليل سلبه

فقال رجل من العالية يهجو أبا زبيد الطائي عن وصف الاسد لان ذلك
مما يزيد في رعب الجبان وفي هول الجنان ويقل من رعب الشجاع وقد وصف
الترك بأشد من وصف أبي زبيد الاسد (وقال سعيد) في حديثه يومئذ
وقد قطعت سردمة منهم بلاد أبي حريمة يريد حمزة بن أدرك الخارجي
وما والى خراسان في بعض الامر وحمزة في معظم الناس فقال لاصحابه
افرجوا لهم ما تركوكم ولا تعرضوا لهم فانه قد قيل اتركوهم ما تركوكم فهذا
قول سعيد بن عقبة ورأيه وحديثه وهو عربي خراساني (وذكر) يزيد
ابن مزيد الوقعة التي قتل فيها داود التركي الوليد بن طريف الخارجي فقال
في بعض ما نصف من شأن الترك ليس لبدن التركي على ظهر الدابة ثقل
ولا لمسه على الارض وقع وانه ليرى وهو مدبر ما لا يرى الفارس ما
وهو مقبل وهو يرى الفارس ما صداً ويعد نفسه فهداً ويعده ظبياً ويعد
نفسه كلباً والله لو رُمي به في قعر بئر لكسوها لما أعجزته الحيلة ولولا أن
أعمارهم تقصر دون الجبل تعني حمل حلوان ثم هموا بنا لأكلونا أكلا
سعلاً طويلاً (وأنشد رجل من اصحابه)

هب الدنيا تساق اليك عفواً * أليس مصير ذاك الى زوال

(قال) أما التركي فلان ينال الكفاف عفوا أحب اليه من أن ينال
الملك عفواً ولم يهن تركي لطعام قط إلا ان يكون صيداً أو غنماً ولا يفر
على ظهر دابته طالباً كان أو مطلوباً (وقال ثمامة بن أشرس) وكان يقل
محمد بن الجهم في كثرة ذكره للترك (قال ثمامة) التركي لا يخاف الا محرفا
ولا يطمع في غير مطمع ولا يكفه عن الطلب إلا اليأس صرفا ولا يدع

القليل حتى تصيب أكثر منه وإن قدر أن يجمعهما لم يفرّط في واحد منهما والباب الذي لا يحسنه لا يحسن منه شيئاً والباب الذي يحسنه قد أحكمه بأمره وأمره وجمعه عنده كظاهره ولا يشاغل بشيء ليس فيه شيء ولا يخاف على نفسه من شيء فلولا أن يجم نفسه بالنوم لما نام على أن نومه مشوب باليقظة ويقظته سليمة من الوسنة ولو كان في شعبهم أنبياء وفي أرضهم حكماء وكانت هذه الخواطر قد مرت على قلوبهم وقرعت لها أسماعهم لأنسوك أدب البصريين وحكمة اليونانيين وصنعة أهل الصين ﴿ وقال ثمامة ﴾ عرض لنا في طريق خراسان تركيٌّ ومعنا قائد نصول بنفسه ورجاله وبيننا وبين التركيّ وادٍ فسأله أن يبارزه فارس من القوم فأخرج له رجلاً لم أر قط أكمل منه ولا أحسن تماماً وقواماً منه فجال حتى عبر إليه الفارس وجاولا ساعة ولا نظن إلا أن صاحبنا يفي بأصحابه وهو في ذلك قد اعدنا فبينا هما في ذلك إذ ولى عنه التركيُّ كالهارب منه وفعل ذلك في موضع ظننا أن صاحبنا قد ظهر عليه وأتبعه الفارس لا نشك إلا أنه سينال برأسه أو باتباعه محبوباً إلى فرسه فلم نشعر إلا وصاحبنا قد أقلب عن فرسه وعاد عنه فنزل التركيُّ إليه وأخذ سلبه وقتله ثم عارض فرسه يجنبه إليه (قال) ثمامة ثم رأيت بعد ذلك التركيّ قد جيء به أسيراً إلى دار الفضل بن سهل فقلت له كيف صنعت يومئذ وكيف طاولته ثم علاك ثم وليت عنه هارباً ثم قتلته قال أنا إني لو شئت أن اقتله حين عبر وقد كان معه لما بارزني ولكني احتلت عليه حتى نحيته عن أصحابه لأحوزه فلا يحال بيني وبين فرسه وسلبه (قال ثمامة) وإذا هو يدبر الفارس من سائر الناس ويرى فيه كيف ينا-واجب

(قال ثمامة) وقد عرفت في أيديهم أسراً فما رأيت كأكرامهم ومحبتهم وإلطافهم فهذا ثمامة بن أشرس وهو عربي لا يتهم في الاخبار عنهم

﴿وأنا﴾ أخبرك أني قد رأيت منهم شيئاً عجباً وأمراً غريباً رأيت في بعض غزوات المأمون بساطي جبل على جانبي الطريق بقرب المنزل مائة فارس من الاتراك في الجانب الأيمن ومائة من سائر الناس في الجانب الأيسر واذا هم قد اصطفوا ينتظرون مجيء المأمون وقد انتصف النهار واشتدّ الحرّ فورد عليهم وجميع الأتراك جلوس على ظهور خيولهم الا ثلاثة أو أربعة وجميع تلك الاخلاط من الجند قد رموا بنفوسهم الى الارض الا ثلاثة أو أربعة فقلت لصاحب لي انظر أي شيء اتفق لنا أشهد ان المعتصم كان أعرف بهم حين جمعهم واصطنعهم ﴿وأردفت﴾ مرة القاطول[1] وهي المباركة وأنا خارج من بغداد وأرى فوارس من أهل خراسان والابناء وغيرهم من أصناف الجند قد عار لهم فرس وهم على جبل عال يتبعونه فلا يقدرون على أخذه ومر تركي ولم يكن من ذوي هيئاتهم وذوي القدر بهم وهو على برذون له حسيس يرهم على الجبل المطل به فاعترض الفرس اعتراضاً وفسله فسلاً وحياً وأتاه من رخرة بسيء فوقف أولئك الجند وصاروا نظارة فقال بعضهم ممن كان يزدري على ذلك التركيّ هذا وأ لك التكلف والتعرّض إن فرسا قد أعجزهم وهم أشد البلاد وجاء هذا مع قصر قامته وضعف دابته فطمع أن يأخذه فما انقضى كلامه حتى أقبل به ثم سلمه اليهم ومضى لطلبته لم ينتظر ثناءهم ولا دعاءهم ولا أراهم انه

---

(١) (القاطول) وضع على دجلة

قد صنع سنئا وأبى الهم معروفاه والاتراك قوم لا يعرفون الملق ولا الخلابه ولا النفاق ولا السعايه ولا التصنع ولا النميمه ولا الرياء ولا البذخ[1] على الاولياء ولا البغي على الخلطاء ولا يعرفون البدع ولا تفسدهم الاهواء ولا يستحلون الاموال على التأول وانما كان عيبهم والذى يوحش منهم الحنين الى الاوطان وحب التقلب فى البلدان والصبابه بالغارات والشغف بالنهب وشده الالف للعاده مع ما كانوا يتذاكرون من سرور الظفر وبالغه وحلاوه المغنم وكثرته وملاعبهم فى تلك الصحارى وترددهم فى تلك المروج وأن لا تذهب بطول الفراغ فصل بخدمهم باطلا وتصير حدتهم على طول الايام كليلا ومن حذق شيئا لم تصبر عنه ومن كره أمراً فرّ منه وانما خصوا بالحنين من بين العجم لان فى تركيبهم وأخلاط طبائعهم من تركيب بلدهم وتربتهم ومساكنه مياههم ومناسبة احوالهم ما ليس مع أحد سواهم ألا ترى أنك ترى البصري فلا تدرى أبصريّ هو أم كوفيّ وترى المكيّ فلا تدرى أمكيّ هو أم مدنى وترى الجبليّ فلا تدرى أجبلي هو أم خراسانى وترى الجزريَ فلا تدرى أجزريّ هو أم شامى وأنت لا تغلط فى التركيِ ولا تحتاج فيه الى قافه ولا الى فراسه ولا الى مسأله ونساؤهم كرجالهم ودوابهم تركيب مثلهم وهكذا طبع الله تلك البلاد وقسم لتلك التربه وجمع دور الدنيا ونشرها الى منتهى قواها ومده أهلها جاريه على عللها وعلى مقدار اسبابها وعلى قدر ما خصها الله تعالى به زمانها وجعل فيها فاذا صاروا الى دار الجزاء فهى كما قال الله

(٢) (البذخ) بفتح الدال المعجمه هو الكبر اه

ىعالى إىا أنشأناهنّ إِنشاء وكدلك ىرى أىاء العرب والاعراب الدىن
ىرلوا حراسان لا ىفصل ىىں مں ىرل اىوه ىىرعاىه وىىں أهل فرعاىه
ولا ىرى ىىهم فرفا فى السال الصهب والحلود الفىره والأفىاء العطىمة
والاكىىه الفرعاىه وكدلك حمىع الارىاع لا ىفصل ىىں أىاء النارله و ىں
اىاء الثاىىه وىحىه الوطں سيء سامل لحمىع الىاس وعالب على حمىع الحىره
ولكں داك مں الىرك اعلب وفىها أرسح لما فىها مں حاصىه المساكله
والمىاسىه واسىواء الىىىه وىكافؤ الىركىب الا ىرى أں العىدي ىفول عمر
الله البلداں ىحب الأوطاں وان ابں الرىىر رضى الله عىهما قال لىس الىاس
ىسيء مں أفساىهم أفىع ىىهم أوطاىهم واں عمر ىں الحطاب رضى الله
ىعالى عىه قال لولا ىفرق أهواء العىاد لما عمر الله البلاد واں حمىعه
الاىادىه قالىب لولا ما أوصى الله ىعالى ىه العىاد مں عمر البلاد لما وسعهم
واد ولا كفاهم راد ﴿ ودكر ﴾ فىىىه ىں مسلم الىرك فقال هم والله احں
مں الاىل المعلفه الى أوطاىها لاں البعىر ىحں الى وطىه وعطىه وهو ىىماں
مں طهر البصره فهو ىحىط كل سيء وىسىىطں كل واد حىى ىاىى مكاىه
على طرىق لم ىسلكه الا مره واحده فلاىرال ىالسم والاسىرواح وحسں
الادلال ىالطىعه المحصوص هو ىىهاحى الى مىركه على ىعد ما ىىں عماں
والبصره فلدلك صرب ىه فىىىه المىل والسحّ على الوطں والحىىں الىه
والصاىه ىه مدكور فى القرآں محطوط فى الصحف ىىں حمىع الىاس عىر
اں الىركى للعلل الى دكرىاها اسد حىىىا وأسد براعا * وىاب آحر مما كاں
ىدعوهم الى الرحوع ىىل العرم الىاىب والمادّه الموصه ودلك أں الىرك

فوم تسد عليهم الحصر والخثوم[1] وطول اللث والمكث وقله التصرف والتحرف وأصل نا بهم انما وضع على الحركة وليس للسكون فهم نصب وفي فوى أنفسهم فصل على قوى أبدانهم وهم أصحاب توقد وحراره واستعال وفطنه كثره حواطرهم برلع لحظهم كانوا يرون الكمانه محجره وطول المقام بلاده والراحه عمله والقناعه من فصر الهمه وأن ترك الغزو يورث الذله * وقد قالت العرب في ل ذلك قال عبد الله بن وهب الراسبي حب الهوينا نكسب الاصب والعرب تقول من علا دماغه في الصيف غاب قدره في الشتاء وقال اكثم بن صيفي يا احب ابي مكوي كل أمر الدنيا فيل ولم قال أخاف عادة العجز فهذه كانت علل الترك في حب الرجوع والحنين الى الوطن * ومن أعظم ما كان يدعوهم الى السرود وسعيهم في الرجوع ونكره عندهم المقام ما كانوا فيه من جهل قوادهم باقدارهم وقله معرفتهم باخطارهم واعمالهم وضع الرد عليهم والاسماع بهم ولا بهم حين جعلوهم أسوه أجنادهم لم يمنعوا أن يكونوا في الخاسه والحسوه وفي غمار العامه ومن عرض العساكر وأنفوا من ذلك لانفسهم وذكروا ما يجب لهم ورأوا أن الضيم لا يليق بهم وان الخمول لا يجوز عليهم وانهم في المقام على ان لا تعرف حقهم ألوم ممن منعهم حقهم فلما صادفوا ملكا حليما وبأقدار الناس عليما لا يميل الى سوء عاده ولا يجنح الى هوى ولا يعصب لبلد على بلد يدور مع الدين حيثما دار ويتبع الحق حيثما اقام أقاموا اقامه من قد فهم الحظ ودان بالحق وسد

(١) (الخثوم) في القاموس من خثم الانسان ما فهو خاثم وخثوم لزم مكانه فلم يبرحه اه

العاده وآبر الحمعه ورحل بسه لمطمعه وطنه وآبر الامامه على ملك الحبريه واحار الصواب على الالف (بم اعلم) بعد هـدا كله أن كل أمه وورن وكل حل وبى أب وحدبهم قد برعوا فى الصاعات وفصلوا الااس فى السان أو فاقوهم فى الآداب أو فى تأسس الملك أو في النصر بالحـرب فانك لاتحدهم فى الغايه وفى اقصى النهايه إلا أن نكون الله تعالى قدسحرهم لدلك المعنى بالاسباب وقصرهم عليه بالعلل التى تمابل تلك الأمور وتصلح الك المعانى لان من كان مقسم الهوى مسترك الرأى متسعب النفس غير وفر على دلك السيء ولا مهيا له لم يحدق من تلك الأشـاء سيئاً باسره ولم سلع فيه غايته كأهل الصين فى الصـناعات واليونانين فى الحكم والآداب والعرب فيما نحن داكروه في موضعه وآل ساسان فى الملك والاتراك فى الحروب الا ترى أن اليونانين الذين نظروا فى العلل ثم لم يكونوا تجاراً ولا صناعا بأكفهم ولا أصحاب زرع وفلاحه وبناء وغرس ولا أصحاب جمع ومنع وحرص وكـد وكانت الملوك تفرّغهم وتجرى عليهم كفايتهم فنظروا حين نظروا بانفس مجتمعه وقوّه وافره وأذهان فارغه حتى استخرجوا الآلات والأدوات والملاهى التى تكون جماما[1] للنفس وراحه بعـد الكد وسروراً تداوى قرح المهموم فصنعوا بعد المرافق وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات والاسطرلابات وآلة الساعات وكالكونيا والكسوان والبركار وكأصناف المزامير والمعازف وكالطب والحساب والهـندسه واللحون وآلات الحرب كالمجانيق والعرّادات

(١) (جماما) جمع الجم اى راحه

والرسلات والدّنانات وآله النقّاط وغير ذلك مما تطول ذكره . وكانوا أصحاب حكمه ولم تكونوا فعله تصوّرون الآله ويخرطون الاداه وتصوغون المثال ولا يحسنون العمل به وتسيرون اليها ولا يمسونها يرغبون في العلم ويرغبون عن العمل (فأما) سكان الصين فهم أصحاب السبك والصناعه والافراغ والاذابه والأصباغ العجيبة وأصحاب الخرط والنحت والتصاوير والنسج والخط ورفق الكف في كل شيء سولونه ويعانونه وان اختلف جوهره وباينت صنعته وتفاوت ثمنه فاليونانيون يعرفون العلل ولا يباشرون العمل وسكان الصين يباشرون العمل ولا يعرفون العلل لان أولئك حكماء وهؤلاء فعله وكذلك العرب لم يكونوا تجاراً ولا صناعا ولا أطبا ولا حسابا ولا أصحاب فلاحه فيكونوا مهنه ولا أصحاب زرع لخوفهم من صغار الجزيه ولم يكونوا أصحاب جمع وكسب ولا أصحاب احتكار لما في أيديهم وطلب ما عند غيرهم ولا طلبوا المعاش من ألسنة الموازين ورؤس المكاييل ولا عرفوا الدوانيق والقراريط ولم يفقروا الفقر المدقع الذي يشغل عن المعرفه ولم يستغنوا الغناء الذي يورث البلده[1] والثروه التي تحدث الغره ولم يحتملوا ذلا قط فيميت قلوبهم أو تصغر عندهم أنفسهم وكانوا سكان فياف وتربيه العراء[2] لا يعرفون الغمق[3] ولا اللثق ولا البخار ولا الغلظ ولا العفن ولا التخم اذهان حداد ونفوس منكره (كذا) حملوا حدهم ووجهوا قواهم الى قول الشعر وبلاغه المنطق وتسقيق

(١) (البلده) هو ترك الانحا لشي (٢) (العرا) اى الفضا (٣) (الغمق) فسخ الارض المحجمه والمبم ركوب الندى الارض (واللثق) ضدرا في النوم كفرح ركدت ريحه وكثر ندا

اللعه ولصارف الكلام وساقه السر لعد فاقه الأثر وحفظ النسب والاهتداء بالنجوم والاستدلال بالآثار وبعرف الانواء والبصر بالخيل والسلاح وآله الحرب والحفظ لكل مسموع والاعتبار بكل محسوس وإحكام شأن المناقب والمثالب (بلغوا) فى ذلك الغايه وحازوا كل أمنيه وبعض هذه العلل صارت نفوسهم اكبر وهممهم أرفع وهم من جميع الامم أفخر ولأيامهم أذكر وكذلك الترك أصحاب عمد وسكان فياف وأرباب مواش وهم أعراب العجم كما أن هذيلا أكراد العرب (فحين) لم تشغلهم الصناعات ولا التجارات ولا الطب والفلاحه والهندسه ولا غرس ولا بنيان ولا شق أنهار(1) ولا جبايه غلات ولم يكن همهم غير الغزو والغاره والصيد وركوب الخيل ومقارعه الابطال وطلب الغنائم وتدويخ البلدان وكانت هممهم الى ذلك مصروفه وكانت لهذه المعانى والاسباب مسخره ومقصوره عليها وموصوله بها (أحكموا) ذلك الامر بأسره وأتوا على آخره وصار ذلك هو صناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم فلما كانوا كذلك صاروا فى الحرب كاليونانيين فى الحكمه وأهل الصين في الصناعات والاعراب فيما عددنا ونزلنا وكآل ساسان فى الملك والسياسه (ومما) يستدل به على أنهم قد استقصوا هذا الباب واستغرقوه وبلغوا أقصى غايته ويعرفوه أن السيف الى أن يقلده مقلد أو يضرب به ضارب قد مر على ايد كثيره وعلى طبقات من الصناع كل واحد منهم لا يعمل عمل صاحبه ولا يحسنه ولا يدعيه ولا يكلفه لان الذى

---

(1) (شق انهار) في الما وس وفي النهر ما كسرسطه اسوالما اهو في بهو سفحر

بدب حديد السيف وعمعه ونصبه ه ويهديه عير الذي يمده ويعطله[1] والذي يمده ويعطله عير الذي يطبعه ويسوّي مده ويهم حسبه والذي بطبعه ويسوي مسه عير الذي يسمه ويرهفه والذي يرهفه عير الذي يركب سيفه ويسوي من سيلانه[2] والذي يعمل مسامير السيلان وسارِيَ القبعه[3] ويصل السيف عير الذي يحب حسب غمده والذي يحب حسب غمده عير الذي يدبغ جلده والذي يدبغ جلده عير الذي يحليه والذي يحليه ويركب نعله عير الذي يخرز حمائله وكذلك السرج وحالات السهم والجعبه والرمح وجميع السلاح مما هو خارج أوجهه والتركي يعمل هذا كله بنفسه من ابتدائه الى غايته ولا يستعين برفيق ولا يرجع الى رأي صديق ولا يختلف إلى صانع ولا يشغل قلبه بمطاله وتسويفه وأكاذيب مواعيده ويغرم كرائه (وحين) بلغ أوس بن حجر صفة القانص وبلغ الغاية في جميعه لابواب الكفاية بنفسه (قال)

قصيّ مبيت الليل للصيد مطعمٌ * لأسهمه غار وبار وراصف

وليس في الارض كل تركي كما وصفنا كما أنه ليس كل يوناني حكيما ولا كل صيني في غاية من الحذق ولا كل أعرابي شاعراً قائفاً ولكن هذه الامور في هؤلاء اعم وأتم وفيهم أظهر وأكثر * قد قلنا في السبب الذي تكاملت به النجدة والفروسيه في الترك دون جميع الامم وفي العلل التي من أجلها

---

(١) (ويعطله) اي طوله (٢) (سيلانه) هو بكسر السين اصل قائم السيف

(٣) (وساري القبعه) السارية اعمدة طويلة في اصل قائم السيف (والقبعه) وزان سبعه ماعلى مقبض السيف من فضه او حديد

نظموا جميع معانى الحرب وهى معان تشتمل على مذاهب غريبة وخصال عجيبة فمنها ما يقضى لأهله بالكرم وبعد الهمة وطلب الغاية ومنها ما يدل على الادب السديد والرأي الاصيل والفطنة النافذة والبصيرة النافذة ألا ترى أنه ليس بد لصاحب الحرب من الحلم والعلم والحزم والعزم والصبر والكتمان ومن الثقة وقلة الغفلة وكثرة التجربة ولا بد من البصر فى الخيول والسلاح والخبرة بالرجال والبلاد والعلم بالمكان والزمان والمكايد وعامة صلاح الامور كلها والملك يحتاج الى أنواع سداد وأسباب متباينة ومن أمتنها سبباً وأعمها نفعاً ما يقع فى تصاريفه وشكيمة فى فراره ورادة فى عكسه وبهائه وقطع أسباب المطمعة فيه ومنع أيدى النماء من الاشارة اليه فضلا عن البسط عليه (قال) ثم ان الترك غطت عليه بالمحاجة والمنافسة وقالوا فلم ان يكن القرابة مما تستحق بالكفاية فنحن أقدم فى الطاعة والود والمناصحة وان يكن تستحق بالقرابة فنحن أقرب قرابة (قالوا) والعرب بعد هذا صنفان عدنانيّ وقحطانيّ فأما القحطانى فنسبنا الى الخلفاء أقرب من نسبهم ونحن أمس بهم رحماً لان الخاتمة من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام دون قحطان وعابر وولد ابراهيم عليه الصلاة والسلام اسماعيل وأمه هاجر وهى قبطية واسحق وأمه سارة وهى سريانية والسنة النافون أمهم قطورا بنت مقطون عربية من العرب العاربة وفى قول القحطانية إن أمنا أشرف فى الحسب اذ كانت عربية وأربعة من البنين هم الذين وقعوا بخراسان فأولدوا ترك خراسان فهذا قولنا للقحطانى (وأما) قولنا للعدنانى فابراهيم عليه السلام أبونا واسماعيل عمنا وقرابتنا

من اسماعيل كمرا ثهم (قال الهيثم بن عدي) قيل لمبارك التركي وعنده حماد التركي انكم من مذحج قال ومذحج هـذا من هو ذاك و ا نعرف إلا ابراهيم خليل الله عليه الصلاه والسلام وأمير المؤمنين (قال الهيثم) وقد كان سقط الى بلاد الترك رجل من مذحج فأنسل نسلا كثيراً ولذلك قال شاعر الشعوبيه للعرب فى قصيده طويله

زعمتم بأن الترك أبناء مذحج * وبينكمو قربى وبين البرابر
وذلكمو نسل ابن صبه باسل * وصوفان أنسال كبير الجرائر

﴿ وقال آخر ﴾

متى كانت الاتراك أبناء مذحج * ألا إن فى الدنيا عجيبا لمن عجب

وقد سمعتم ما جاء فى سد يأجوج ومأجوج فطورا وشأن خروجهم نحو السواد وانما كان الحديث على وجه التهويل والتخويف بهم لجميع الناس فصاروا للاسلام مادة وجنداً كثيفاً وللخلفاء وقاية وموئلا وجنة حصينة وشعارا دون الدثار وفى المأثور من الخبر تاركوا الترك ما تركوكم وهذه وصية لجميع العرب فان الرأى متاركتنا ومسالمتنا وما ظنكم بقوم لم يعرض لهم ذو القرنين وبقوله اتركوهم سموا الترك هذا بعد أن علا على جميع الارض غلبه وقسراً وقهراً (وقال) عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه هذا عدوٌ شديد كَلَبُهُ قليل سَلَبُهُ فهى كما ترى عن التعرض لهم أحسن كنايه والعرب اذا ضربت المثل فى العداوه الشديده قالوا ما هم الا الترك والديلم (قال) عملس بن عقيل بن علفه

سدّلتُ منه بعدما شاب مفرقى * عداوه تركيٍ ونُعضِ أبى حسل

وأبو حسل هو الصب والعرب تقول هو أعق من ضب لانه يأكل أولاده ولم يرعب قلوب أجناد العرب مثل الترك (وقال خلف الاحمر)

كأني حين أرهبهم نبي * دفعتهم الى صهب السبال

(قال) والمأثم عن أوس بن حجر قوله

بكيت لما أهم لما رأيتهم * صهب السبال بأيديهم سابور

﴿ وحدثني ﴾ ابراهيم بن السندي مولى أمير المؤمنين وكان عالما بالدولة شديد الحب لابناء الدعوة وكان يحوط مواليه ويحفظ أيامهم ويدعو الناس الى طاعتهم ويدرسهم مناقبهم وكان فخم المعاني فخم الالفاظ لو قلت لسانه كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهير وسنان طرير لكان ذلك قولا وعدها (قال) حدثني عبد الملك بن صالح عن أبيه صالح بن علي أن خاقان ملك الترك وافق مرة لجنيد بن عبد الرحمن أمير خراسان وقد كان الجنيد هاله أمره وأفزعه شأنه وتعاظمه جموعه وجمعه ونعل به[1] وبلغ به وفطن به خاقان وعرف ما قد وقع فيه فأرسل اليه أني لم أقف هذا الموقف وأمسك هذا الامساك وأنا اريد مكروها أو غيلة ولو كنت أريد غيلة أو مكروها لقد كنت انتسفت عسكرك انتسافا أتخلك فيه عن الروية وقد أبصرت موضع العورة ولولا أن تعرف هذه المكيدة فتعود بها على غيري من الاتراك لعرفتك وضع الانسان والخلل والخطأ في عسكرك ونفسك وقد نمي أنك رجل عاقل وان لك شرفا في بيتك وفضلا في نفسك وعلما بدينك وقد أحببت أن أسأل عن

---

(١) (ونابل به) في القاموس ونعل بأمر كفرح دهش وفرق وبرم فلم يدر ما يصنع اه

سيء من أحكامكم لأعرف به مدهبكم فاحرح إليّ فى حاصتك لأحرح اليك وحدي وأسائلك عما أحاح اله سمسى ولا تحمل ولا تحترس فليس منلى من عدر ولىس مىلى نؤمن ن مسه ومن نكره وكنده ىم سكت نوعده وىحں موم لانحدع بالعمل ولا نستحسن بالحدىعه الا فى الحرب ولو اسىمام أمر الحرب نعىر حدىعه لما حورنا دلك بأنفسنا فأبى الحىد أن يحرح اليه إلا وحده مفصلا من الصفوف وقال سل عما أحبب فان كان عندي حواب أرضاه أحبتك وإلا أ برت علىك عن هو أبصر بدلك مني (قال) ما حكمكم فى الرانى قال الحىد الرانى عندنا رحلان رحل دفعنا اليه امراة بعسه عن حرم الناس وبكفه عن حرم الحيران ورحل لم نعطه دلك ولم نحل ىىنه وبين أن يفعل دلك لنفسه فأما الذي لا روحه له فانا نحلده مائة حلده ونحصر دلك الجماعه من الناس لىسهره ونحدره به ونعرفه فى البلدان لىرند فى سهرته وفى التحدىر منه ولىرحر ىدلك كل من كان يهم بمثل عمله وأما الدى قد اعىناه فانا نرحمه بالحندل حى نقىله (قال) حسن حميل ونديىر كىىر فما حكمكم فى الذى ىقدف عفىفا بالرنا قال نحلده ثمانين حلده ولا نقبل له سهاده ولا نصدق له حديثا (قال) حسن حميل ونديىر كبير فما حكمكم فى السارق قال السارق عندنا رحلان رحل نحتال لما قد أحرره الناس من أموالهم حتى أحدها ىىقب حىطانهم أو بالىسلق ن أعالى دورهم فهدا نقطع يده التى سرق بها وثقب بها واعتمد علىها ورحل آحر يحيف السىبل ونقطع الطرىق ونكابد على الأموال وىسهر السلاح

قال سمه صاحب المتاع قبله فهذا سله وتصلبه على المناهج والطرق
قال حسن جميل وتدبير كبير (ثم قال) فما حكمكم في العاصب والمستلب
قال كل ما فيه الشبهة ويجوز فيه الغلط والوجوه كالغصب والاستلاب
والخيانة والسرقة لما يؤكل أو يشرب فانا لا نقطع فيما فيه شبهة ونحمل
لذلك وجه غير السرقة قال حسن جميل وتدبير كبير (ثم قال) فما حكمكم في
القاتل وقاطع الأذن والأنف قال النفس بالنفس والعين بالعين والأذن
بالاذن والانف بالأنف وان قتل عشرة رجلا قتلناهم ونقتل القوي البدن
بالضعيف البدن وكذلك البدو والرجل قال حسن جميل وتدبير كبير (قال) فما
تقولون في الكذاب والنمام والصراط قال عندنا فيهم الاقصاء لهم وابعادهم
واهانتهم ولا نقبل شهادتهم ولا نصدق أحكامهم قال اوليس الا هذا قال
هذا جوابنا على دينا (فقال) له اما النمام عندي وهو الذي يرفع الحديث بين
الناس اشاعة فاني أحبسه في مكان لا يرى فيه أحداً وأما الصراط فاني
أكوي لسانه وأعاقب ذلك المكان منه وأما الكذاب فاني أقطع الجارحة
التي بها يكذب كما نقطع اليد التي بها يسرق وأما الذين يضحك الناس
ويعودهم السخف [1] فاني أخرجه من سلطاني وأصلح باخراجه عقول
رعيتي (قال) فقال له الحسن بن عبد الرحمن انهم قوم يردون
أحكامكم الى جوار العقول والى ما يحسن في ظاهر الرأي ويحسن
قوم تبع الانبياء ونرى أنا لا نصلح ولا نقدر على تدبير العباد وذلك ان
الله تعالى أعلم بنصب المصالح وتدبير الامر وحقائقه ومحصوله وعواقبه والناس

---

(١) «السخف» نقص العقل وران نقل وقبحها وكمرصه وسحاقه رقة العقل

لا تعلمون ولا ترون الحزم الا على ظاهر الامور وكم من مصنع تسلم وحازم نعطب (قال) ماقلت كلاما أسرف من هذا ولقد ألقت لى فكرا طويلا (قال) ابراهيم قال عبد الملك قال صالح قال الحسد فلم أر أوفى ولا أنصف ولا أفهم ولا أذكى ه ولقد واقفته ثلاث ساعات من النهار ما تحرك منه شئ إلا لسانه وما منى شئ لم أحرّكه وهكذا تصفون ملوك الترك (ويزعمون) أن ساسان وخاقان الاكبر توافقا بعض الجسور وفصلا من الصفين وطالت المناجاة بينهما فلما انسلا قالوا كان خاقان أركن وآدب وكان مركب كسرى أركن وآدب لم يتحرك من خاقان الا لسانه وكان بردونه رفع قائمة ويضع أخرى وكان مركب كسرى كأنما صبّ صبّاً وكان كسرى يحرّك رأسه ويشير بيده (قالوا) ومن الاعاجيب أن الحارث ابن كعب لا تقوم لجرم وجرم لا تقوم لكندة وكندة لا تقوم للحارث بن كعب (قالوا) ومثل ذلك من الاعاجيب فى الحرب أن العرب لا تقوم للترك والترك لا تقوم للروم والروم لا تقوم للعرب (قال) جهم بن صفوان الترمذي قد عرفنا ما كان بين فارس والترك من الحرب حتى تزوج كسرى ابرويز خاتون بنت خاقان ليستميله بتلك المصاهرة ويدفع بأسه عنه وقد عرفنا الحروب التى كانت بين فارس والروم وكيف تساجلوا الظفر وبأي سبب غرس الزيتون بالمدائن وسوسيا وبأى سبب بنيت الرومية ولم سميت بذلك ولم بنى كسرى على الخليج وانه قسطنطينية القاولس ولم عرف النار ولكن من ظهر الروم على ترك خراسان ظهورا مستوليا الا ضربوا بها المثل الى آخر الدهر ومن هناك بن الاسباب وبن تحلل هذا النسب (وكانت) خاتون

بنت خاقان عند ابرويز فولدت له شيرويه وقد ملك شيرويه بعد ابرويز (و يروح) شيرويه مريم بنت قيصر فولدت له فيروزا ساهى أم يزيد الناقص ابن الوليد وكان يقول ولدتني أربعة ملوك كسرى وخاقان وقيصر ومروان وكان يزيد يفخر في حروبه التي قتل فيها الوليد بن يزيد ابن عاتكة

أنا ابن كسرى وأبي خاقان * وقيصر جدي وجدي مروان

فلما صار الى الافتخار في شعره بالنجدة والثبات بالحرب لم يفتخر الا بخاقان فقط فقال

فان كنت أرمي مقبلا ثم مدبراً * وأطلع من طود زلق على مهر

لخاقان جدي فاعرفي ذاك واذكري * اجاره في السهل والجبل الوعر

(قوله واطلع) يزيد وانزل وهي لغة أهل الشام واحدوها من نازله العرب في أول الدهر وحمل دابته مهراً لان ذلك أشد وأشق (وقال) الفضل ابن العباس بن رزين انانا ذات يوم فرسان من الترك فلم يبق أحد ممن كان خارجا الا دخل حصنه وأغلق بابه وأحاطوا بحصن من تلك الحصون وأبصر فارس منهم شيخاً يطلع اليهم من فوق فقال له التركي لئن لم تنزل الى لأقتلنك فلم ينزل فقتلها أحداً قال فنزل اليه وفتح له الباب ودخلوا الحصن واكتسحوا كل شئ فيه فضحك من نزوله وفتحه له وهو في أحصن وضع وأمنع مكان ثم اقبل به الى حصن انا فيه وقال اشتروه مني فلنا لا حاجة لنا في ذلك قال فاني أبيعه بدرهم واحد فرمينا اليه بدرهم فخلى سبيله ثم أدبر عنا ومضى مع أصحابه فما لبث الا قليلا حتى عاد الساقة حيث نسمع كلامه فرماعا ذلك فاخرج الدرهم من فيه وكسره بنصفين وقال لا تسوى درهما

وهذا عين فاحش تحذوا هذا النصف وهو على كل حال غال جداً بالنصف
الآخر قال فاذا هو أطرف الخلق قال وكما تعرف ذلك الرجل بالحس وقد
كان سمع باحتيال الترك في دخول المدن وعبور الانهار في الحروب فتوهم أنه
لم يتوعد نصح الباب الا وعنده شيء من ذلك (وقال ثمامه) ما يشبه الذر
الا بالترك لان كل ذرة على حدتها معها من المعرفة بادخار الطعام ومن الشم
والاسترواح وبحث الرجر حتى لا نبت الا في حجره ثم الاحتيال للناس
في الاحتيال لها بالصمامة والعفاص والمردجر وتعليق الطعام على الاوتاد
والبرادات مثل الذرة مع صاحبها (وقال) ابو موسى الاشعرى رضى الله
تعالى عنه كل جنس يحتاج الى أمير ورئيس ومدبر حتى الذر (وروى) ابو
عمرو الضرير أن رئيس الذر الرائد الذي يخرج أولا لشيء قد سمه دون أصحابه
لخصوصية خصه الله تعالى بها ولطافة الحس فاذا حاول حمله وتعاطى نقله
واعجزه ذلك بعد أن بلى عذراً أتاهن فاخبرهن فرجع وخرجت بعده
كأنها خيط أسود ممدود ولست درة أبداً تسهل درة أخرى الا واقفتها
وسارتها بشيء ثم انصرفت عنها * وكذلك الأتراك كل واحد منهم عنبر
عاجز عن معرفة مصلحة أمره الا ان التفاضل واجب في جميع أصناف
الاشياء والنبات والمواتب * وقد تختلف الجواهر وكلها كريم وتتفاضل
المساق وكلها جواد * وقد قال في منافب جميع الاصناف بحمل ما انتهى الينا
وبلغه علمنا فان وقع ذلك بالموافقة فبتوفيق من الله تعالى وصنعه وان قصر
دون ذلك فالذى قصر بنا نقصان علمنا وقلة حفظنا وسماعنا فأما حسن النية
والذى نضمر من المحبة والاجتهاد في القربة فانا لا نرجع في ذلك الى أنفسنا

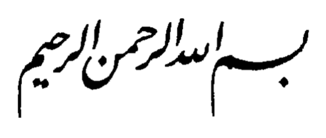
بلائمه وبين المقصر من جهة التفريط والتضييع وبين المقصر من جهة العجز وضعف العزم فرق* ولو كان هذا الكتاب من كتب المناقضات وكتب المسائل والجوابات وكان كل صنف من هذه من الاصناف يريد الاستقصاء على صاحبه ويكون غايته اظهار فضل نفسه وان لم يصل الى ذلك الا باظهار نقص أخيه وولده لكان كتابا كبيراً كثير الورق عظيما ولكان عدد الذين يصبون لمؤلفه بالعلم والاتساع في المعرفة أكثر وأظهر ولكنا رأينا ان القليل الذي يجمع خيرا من الكثير الذي يفرّق ونحن نعوذ بالله من هذا المذهب ونسأله العون والتسديد انه سميع قريب فعال لما يريد

﴿ تم الكتاب ولله المنة وبيده الحول والقوة والله الموفق للصواب ﴾

(قد تم كتاب مناقب الترك وهو الرسالة الثالثة من رسائل العلامة الجاحظ ويليه كتاب مفاخر السودان وهو الرسالة الرابعة له أيضاً)*



كتاب فخر السودان على البيضان



بولاك الله وحفظك وأسعدك بطاعته وجعلك من الفائزين برحمته (ذكرت) أعاذك الله من الفتن أنك قرأت كتابي في محاكمة الصرحاء للهجناء ورد الهجناء وجواب أحوال الهجناء وانى لم أذكر فيه شيئاً من مفاخر السودان فقد كتبت لك ما حضرني من مفاخرهم (قال الاصمعي) قال الفرزدق عند فراره وكانت في أذنه خربة ان الوثاب سريع من جميع الطيش لا هرب العير الضأن ماوجدت الماعز وسمر النساء من الخلاف ولا بأس بالخف (وأنشد) أبو زيد النحوي * لولا الوثام هلك الانسان *
(وقال) سداد الحارثي وكان خطيباً عالماً قلت لامة سوداء بالبادية لمن أنت ياسوداء قالت لسيد الحضر ياأصلع قال قلت أولست سوداء قالت أولست أصلع قلت ما اغضبك من الحق قالت الحق اغضبك لا تسبّ حتى ترهب ولأن تتركه أمثل (قال سداد) ولقد كلمتها وأنا أظن أني أني باهل نجد وما رعب عني الا وانا عند نفسي لا أفي بأمه (وقال الاصمعي) قال عيسى بن عمرو قال ذوالرمة قاتل الله أمة آل فلان السوداء ما كان أفصحها وأبلغها سألتها كيف كان المطر عندكم قالت غثنا ما شئنا

أن لقمان الحكيم منهم وهو الذي يقول ثلاثة لا تعرفهم الا عند ثلاثة الحليم عند الغضب والشجاع عند الخوف والاخ عند حاجتك وقال لابنه اذا أردت أن تخالط رجلا فأغضبه قبل ذلك فان انصفك والا فاحذره ولم يرووا هذا عنه الا وله اشياء كثيرة وأكثر من هذا مدح الله اياه وتسميته الحكيم وما أوصى به ابنه (ومنهم) سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه قتله الحجاج قبل موته بستة أشهر وهو ابن تسع وأربعين سنة ومات الحجاج وهو ابن ثلاث وخمسين سنة وكان سعيد اورع الخلق وأشهم وكان أعظم أصحاب ابن عباس وأصحاب الحديث يطعنون في الذي يجيء من قبل أصحاب ابن عباس حتى يجيء بن سعيد بن جبير وأبوه مولى بني أسد وهو ولى بني أمية وقتل يوم قتل والناس يقولون كلنا محتاج اليه (ومنهم) بلال الحبشي رضي الله تعالى عنه الذي يقول فيه عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ان ابا بكر سيدنا واعتق سيدنا وهو بلب الاسلام (ومنهم) مهجع وهو اول قتيل قتل بين الصفين في سبيل الله (ومنهم) المقداد وهو أول من عدا به فرسه في سبيل الله (ومنهم) وحشيٌ قاتل مسيلمة الكذاب وكان يقول قتلت خير الناس يعني حمزة بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه وقتلت شر الناس يعني مسيلمة الكذاب (ومنهم) مكحول الفقيه (ومنهم) الحيقطان الشاعر الذي كان يفضل في رأيه وعمله وهمه وهو الذي يقول في الاخوان لا تعرف الاخ حتى تراه في الحضر وتراه في السفر (ومنهم) جليبيب الذي تحدث الرواة أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم خرج في غزاة فقال لاصحابه هل تفقدون من أحد قالوا نفقد فلانا وفلانا ثم خرج فقال هل تفقدون من أحد قالوا نفقد فلانا وفلانا ثم خرج فقال هل تفقدون من أحد قالوا في الثالثة لا قال لكني أفقد جليبيبا اطلبوه فطلبوه فوجدوه بين سبعة قد قتلهم ثم قتل فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم قتل سبعة ثم قتلوه هذا مني وأنا منه قال ثم حمله على ساعديه حتى حفر وله ماله سرير غير ساعدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ولم يذكروا غسلا (ومنهم) فرج الحجام وكان من اهل العدالة والمقدمين في الشهادة أعتقه جعفر بن سليمان وذلك انه خدمه دهراً تصلح شاربه ولحيته وهيئته فلم يره اخطأ في قول ولا عمل فقال والله لأمتحنته فان كان ماأرى منه عن تدبير وقصد لأعتقنه ولأزوجنه ولا غنينه وان كان على غير ذلك عرفت الصنع فيه فقال له ذات يوم وهو يحجمه ياغلام أتحجم قال نعم قال ومتى قال عند الحاجة قال وتعرف ذلك قال اعرف اكثره وربما غلطت قال فأيّ شئ تأكل قال أما في الشتاء فدراكراجة حارة حلوة وأما في الصيف فسكباجة حامضة عذبة فبلغ به جعفر بن سليمان ماقال وهو الذي يقول فيه أبو فرعون

حلوا الطريق روحى أمامي * انا حميم فرج الحجام

(قالوا) ولم من عدالة وفضله في نفسه وتوقيه وورعه أن والله من ولد جعفر وكبار أهل المربد كانوا لا يطمعون ان يشهدوه الاعلى أمر صحيح لا اختلاف فيه (وأما الحمطان) فقال قصيدة يحتج بها اليمانية على قريش ومضر ويحتج بها العجم والحبش على العرب وكان جرير رآه يوم عيد في قميص أبيض وهو

اسود فقال

كأنه لما بدا للناس * أيرحمار لف في قرطاس

فلما سمع بذلك الخنطاط وكان بالتمامة دخل الى منزله فقال هذا الشعر

لئن كنت جعد الرأس والجلد فاحم * فاني لسبط الكف والعرض أزهر
وان سواد اللون ليس بضائري * اذا كنت يوم الروع بالسيف أخطر
وإن كنت تبغي الفخر في غير كنهه * فرهط النجاشي منك في الناس أفخر
ثاني الجلندي وابن كسرى وحارث * وهوذه والقطني والسيح قيصر
وقار بها ذرين الملوك سعاده * فدام له الملك المنيع الموقر
ولقمان منهم وابنه وابن أمه * وأبرهه الملك الذي ليس ينكر
عزاكم أبو يكسوم في أم داركم * وانتم كقيض الرمل أو هو أكثر
وأنتم كطير الماء لما هوى لها * بلقمة حجن المخالب أكدر
ولو كان عبد الله رام دفاعه * لمنبوذ والخرب بالناس أخبر
وما الفخر الا ان تتيبوا إزاءه * وأنتم قريب بابكم مستعر
وبذاك منكم فابد ذو حفيظه * يكافحه طوراً وطوراً يدبر
وانا التي فلم فلكم نبوه * والبس بكم صون الحرام المستر
وفيهم لقاح لا تؤدي اتاوه * فاعطاء أرباب بن المرء انسر
ولو كان فيها رعشه لمونج * اذاً لأبيها بالمقاول حمير
ليس بها مسيا ولا صعب * ولا كحوانا مؤها سفحر
ولا مرتع للعيس أو قنص * ولكن بحراً والحاره تحفر
ألست كالميا وأمك نحه * ليكم في سماه الصأن عاروا فخر

(أما قوله)

نأىّ الجلندي وابن كسرى وحارث * وهوده والمقطىُ والسيح قيصر

فانه يقول كتب النبى صلى الله عليه وسلم الى بنى الجلندى فلم يؤ منوا وكذلك كسرى وكذلك الحارث بن ابى شمر وكذلك هوده بن على الحنفى وكذلك المقوقس عظيم القبط صاحب الاسكندريه وكذلك قيصر ملك الروم على أن بنى جلندى قد أسلموا من بعد ذلك الكتاب ولكن النجاشي أسلم فبلَّ الله ح فدام له ملكه وبزع الله تعالى من هؤلاء النعمه وو صيران ثان قد بقى من ملكه شئ فقد أخرجوه من كل مكان سامه طلف او حافر وصار لا يمنع الا بالخليج وبالعقاب والحصون وبالسماء والدلوح والامطار * ثم تحرر للهمان وابنه (وأما قوله)

غزاكم ابو يكسوم فى أم داركم * واسم كه مثل الرمل او هوا كثر

فانه يعنى صاحب الفيل حين أتى مكه ليهدم الكعبه (يقول) كثيرٌ فى عدد الرمل فلم يرجع منهم ولم يلقه أحد منكم حتى افضى الى مكه ومكه أم القرى ودار العرب هى جزيرة العرب ومكه قرية من قراها ولكن لما كانت الله بها قدماً راعظمها حظراً جعلت لها أماً ولذلك وقيل لمح مكه قسح الله وح وعلى ل ذلك سميت فاتحة الكتاب ام الكتاب والعرب قد تجعل الشئ امّ المر لم ن ذلك قولهم ضربه على ام راسه وكذلك أم الهاويه والصدق تسمى ربه مرله أمّ واي (وقال اعرابى) وقد أصابه براءت عند امرأه كان يزل بها

يا أم مثواى عدمت وجهك * أسعدنى ربُّ العلى من مصرك

ولدع برعوب أراه مهلكى * اس لىلى دائب المحكك
محكك الأحرب عد المبرك،

ومد أبان الله تعالى كه والىس حس قال ان أول ىس وصع للناس للدى ىكه ماركا وهدى للعالمس (ىمول) فادا عرب ىكه وهى ام القرى وفيها البت الحرام الدى هو ىرفكم ومد عرى حمعكم (وأما قوله)

واما الى فلم فملكم سوه * ولىس ىكم صون الحرام المىسر

فاللقاح البلد الدى لا تؤدّى الى الملوك الاربان والاربان هو الحراج ىهو الاباوه وفى دلك ىمول عىد ىن الابرص

أبوا دىن الملوك فهم لقاح * ادا ىدبوا إلى حرب أجابوا

قال فعلم انا لقاح ولسنا ىؤدى الحراج والأربان قال فاعطاء الحراج اهون من الفرار واسلام الدار وانهم ان عدمس جاءكم الفرار الكىىره (وأما قوله)

ولىس بها مسنأ ولا مصىف * ولا كحوانا ماؤها ىىحرُ

(ىمول) امس فى العلىه على مكه رعه ولولا دلك لعراها أهل اليمن وعىرهم والىاس ىها مسىاً ولا مصىف لانهم ىىردون بالطائف وىىدوں بحده وحوانا عىن بالاجرىن ولىس بمكه ىىٔ مداى بلاك (وقال)

ولا مرىع للعس او مىمىص * ولكن ىجاراً والىحاره ىحفر

(ىمول) لىس بها مىرهاب وصىدها حرام وانما ىىا ىحار والىحار ىحفرون ىمول هم عىد الناس فى حد الصعف ولا ىىحر ملاك احد الدى ىه ىىعىسون ولا ىكون ما ؤحد منهم ىموم ىواىب الملوك وهم ىوم لىس عىدهم امىاع ولدلك ىمول الساعر معاويه بن اوس وهو جاهلىٌ

وورد سناب لدي مجر * أسود كالرجل الاسحم

صرت سه على بحره * وقائمه كيد الاحدم

الى الساحر العربى السحه * ح أوجمر دى السطف الطمطم

أراد بهذا كله فرسا (يقول) هم تجار وقد اعتصموا بالبيت واذا خرجوا علقوا عليهم المقل ولحا السحر حتى تعرفوا فلا تسلهم أحد (وأما قوله)

ألست كليباً وأمك نعجة * لكم فى بيان الضأن عارٌ ومفحرُ

قال بنى كلب يرمون بإتيان الضأن وكذلك بنو الاعرج وسليم وأشجع يرمى باتيان المعز (وقال الاخا ى)

ولو سمتني من قريش قبيلة * سوى بائكه المعزى سليمٌ وأشجع

(وقال الفرزدق)

ولست مصحبا ماد حيا * تساه من حلوته اعرجيّ

فما أدرى اذا أنعقت مالى * لعل الشاه تعزعن صبي

(وقال الآخر)

اذا اجتاب أن يعلى أتانا * فدلّ الدارمىّ على ثراها

يقبل ظهرها ويكاد لولا * تحول الطهر يدنو من قفاها

وودّ الدارمىُ لو ان فاه * اذا باك الحمار سال فاها

(وقال عبد بن رشيد)

قبله سوء حرهم مقبل برهم * ترى منهم للضأن خلاوراعا

اذا حلب فيهم عروس لبعلها * ترى النعجة النعماء ابكى النوا كيا

ولذلك قال الاخطل

فانعق نصامك ىا حرىر فانما * ىك ىسك فى الخلا صلالا

ولذلك قال الحىطان

ألست كليباً وأمك نعجة * لكم فى سمان الضأن عارٌ ومفخر

(أما العار) فالذى ساع عليهم من ذكر النعاج (وأما المفخر) فانه ىقول اذا فخروا فخروا بالنساء ولا ىبلغون الى حد أصحاب الابل * ومن مفاخر السودان والزنج والحبش مع ما ذكرنا من قصيدة الحىطا ، أن حرىر بن الخطفى لما هجا بنى ثعلب قال

لا تطلبن خؤولة فى ثعلب * فالزنج أكرم منهم اخوالا

عضب سنيح بن رباح سار فهجا جريراً وفخر عليه بالزنج فقال

ما بال كلب من كلاب سليط * أن لم يوازن حاجبا وعقالا

ان امرأ جعل المراغة وابنها * ـل الفرزدق جائر قد غالى

والزنج لو لاقيتهم فى صفهم * لاقيت ثم جحاجحا أبطالا

فسل ابن عمرو حين رام بماجهم * أرأى رماح الزنج ثم طوالا

فجعوا زياداً بابنه و تزايلوا * لما دعوا العزال ثم نزالا

ومن يطلب حولك ثم انهم * ويطلب حولك ثأرا وسجالا

كان ابن بديه وكم من نجابا * وحقاقُ المتحمل الاثقالا

واسأل ربيعة عسير وهراسه * ان ربى فيكم لهم أمثالا

وسل ابن جعفر حين رام بلادنا * فرأى بغرو ثم عليه خبالا

وسالك اللب الحرير اذا غدا * والقرم عباس علوك فعالا

هذا ابن حازم بن عجلى مهمو * علب الصائل بحده ونوالا

أساء كل نحسه احسه * أسد وب عدها الأسالا
فلحن أنحب من كلب حؤوله * ولاب ألأم منهمو أحوالا
وبو الحباب طاعن و طاعم * عند السناء اذا نهب سمالا

(اما ابن عمرو الذي ذكر) فهو حفص بن زياد بن عمرو العتكي كان خليفة أبيه على شرطة الحجاج فغلب رباح سار الزجحي على العراق فوجه اليه حفص بن زياد فقتله رباح وقتل أصحابه واستباح عسكره (واما ابن حجر) فهو النعمان بن حجر بن عباد بن حجر بن الجلندى كان غزا بلاد الزنج فقتلوه وغنموا عسكره (ثم ذكر) اسماء الزنجاب حين رغبوا الى الزنج في النساله والانفه فذكر خفاف بن ندبه وعباس بن مرداس وابى سداد عنتره الفوارس وأخاه هراسه و لمك بن السلكه فهؤلاء أسد الرجال اندادا وأشدهم قلوبا وأسخاهم انفسا وبهم تضرب الامثال ﴿ و منهم ﴾ عبد الله بن خازم السلمي وبنو الحباب عمير بن الحباب واخوته (وكان) أيضا منهم الخفاف بن حكيم * وهم ايضا يفخرون برباح اخى بلال وخاله وصلاحه ويفخرون بعامر بن فهيرة بدرىّ استشهد يوم بئر معونة فرآه الناس قد رفعه الله بين السما والارض فليس له في الارض قبرا (ومنهم) آل ياسر (قالوا) و ا العداق صاحب عبد الله بن الحر لم يكن في الارض أشد منه كان يقطع على القافله وحده بما بينها من الحماه والخفراء (وكذلك) صاحب المغيره ابن العرر كان بلاقى الشجاعه (ويقولون) ومنهم الاسرم غلام أبى بحر العائذ الذى كان قدم من الشام أيام قتيبه بن مسلم وكان لا يرام لقاؤه وأمره مشهور (قالوا) ومنا المعلول وبنوه وهم من الحول ليس في الارض

أسرف ولا أنقف ولا أعلم بالبادنه منهم (قالوا) وما أفلح الذي قطع على القوافل بخراسان وحده غير بن سبه (قالوا) وانما قتله مالك بن الريب لانه وطئه في جوف الليل وهو سكران خاسر والشاهد على قولنا قول ابنه

أمالك لولا السكر انفب انه * أخوالورد أو ربى على الاسد الورد

(قالوا) ونحن قد ابكنا بلاد العرب من لدن الحبشه الى مكه ومرت أحكامنا في ذلك اجمع وقهر سا دانواس وقتلنا أقيال حمير وانتم لم تملكوا بلادنا وقد قال شاعركم

وحرب عمدانا وهدم سقفه * رباط بأجناد وصوله قصر

أطاف به الاحبوس الا قصوصوا * بسده الاقيال في سالف الدهر

بجمع بن الكسوم سود كأنهم * أسود الشرى احياب جلود آمن النمر

(قالوا) بنا كنا جلالم لصعد بن سليمان ولا قاتل في الخارجات أحد قط نسبه (قالوا) وما الاربعون الا بن خرجوا بالعراق ايام سوار بن عبد الله القاضي فاجلوا اهل العراق عن ديارهم وقتلوا من أهل الا له قتله عظيمه (قالوا) وما الذي ضرب عنق عيسى بن جعفر بعمان بمحيل برانى بعد أن لم يجسر عليه أحد (قالوا) والناس مجمعون على انه ليس في الارض أمه السخا فيهم أعم وعليهم أغلب من الزنج وهاتان الخلتان لم توجدا قط الا في كريم وهم أطبع الخلق على الرقص والموقع الموزون والضرب بالطبل على الايقاع الموزون من غير تأديب ولا تعليم وليس في الارض أحسن حلوقاً منهم وليس في الارض لغه احف على اللسان من لغتهم ولا في الارض قوم ادرب ألسنه ولا اقل تمطيطاً منهم وليس في الارض قوم الا وانت تصيب فيهم

الارت والفأفاء والعي ومن في لسانه حبسه عرهم والرجل منهم يخطب عند الملك بالريح من لدن طلوع الشمس الى غروبها فلا يستعين بالنفاثه ولا يسكته حتى يفرغ من كلامه . وليس في الارض أمه بها شده الابدان وقوه الا سر أعم منهما فيهم وان الرجل ليرفع الحجر ويحمل الحمل الثقيل الذي لا يحمله الجماعه من الاعراب غيرهم . وهم سخفاء اشداء الابدان اسخيا وهذه هي خصال الشرف مع حسن الخلق وفيه الاذى لا يرى أحدهم أبداً الا طيب النفس ضحوك الس حسن الظن وهذا هو الشرف (وقد قال) ناس انهم صاروا أسخياء لضعف عقولهم وقصر رؤيتهم ولجهلهم بالعواقب فقلنا لهم بئس ما اسم على السخا والاثره وينبغي في هذا القياس ان يكون اوفر الناس عقلا وا كثر الناس علما اشد الناس بخلا وأقلهم خيراً وقد رأينا الصقالبه أبخل من الروم والروم أبعد رويه وأشد عقولا وعلى قياس قولكم كان ينبغي ان يكون الصقالبه أسخى انفسا وأسمح أكفا منهم وقد رأينا النساء أضعف من الرجال عقولا والصبيان أضعف عقولا منهم وهم ابخل من النساء والنساء أضعف عقولا من الرجال ولو كان البخل كلما كان أشد كان صاحبه أبخل كان ينبغي أن يكون الصبي أكرم الناس خصالا ولا نعلم في الارض شراً من صبي هو أكذب الناس وانم الناس وأشره الناس وأبخل الناس وأقل الناس خيراً وأقسى الناس قسوه وانما يخرج الصبي من هذه الخلال أولا فأولا على قدر ما يزداد من العقل ويزداد من الافعال الجميله فكيف صار قلة العقل هو سبب سخاء الزنج وقد اقررتم لهم بالسخاء ثم ادعيتم ما لا نعرف وقد وقفنا كم على إدخاص حجتكم في ذلك بالقياس الصحيح وهذا القول يوجب

أن تكون الجبان أعقل من الشجاع والغادر أعقل من الوفي وسي أن تكون الجزوع أعقل من الصبور فهذا ما لا حجة فيه لكم بل ذلك هبة في الناس من الله والله بل هبة وحسن الخلق هبة والسخاء والشجاعة كذلك (وقد) قالت الزنج للعرب من جهلكم انكم رأيتمونا لكم أكفاء في الجاهلية في نسائكم فلما جاء عدل الاسلام رأيتم ذلك فاسداً وما بنا الرغبة عنا مع ان البادية منا ملآى ممن قد تزوج ورأس وساد ومنع الذمار وكنفكم من العدو (قال) وقد ضربنا الأمثال وعظمنا أمر ملوكنا وقدمتموهم في كثير من المواضع على ملوككم ولو لم تروا الفضل لنا في ذلك عليكم لما فعلتم (وقال النمر بن تولب)

اين الذين بنوا بناء مشيدا * وأبرهة الملك الاعظما

فرفعه على ملوك قومه (وقال لبيد بن ربيعة)

لو كان حيٌّ في الحياة مخلداً * في الدهر أدركه أبو يكسوم

وهذا شيء من وصف الفضل لم يوصف أحد بمثله (قالوا) ومما قدمتم به ملوكنا على ملوككم قولكم

غلب الليالي خلف آل محرق * وكما فعلن بتبع وبهرقل

وغلبن أبرهة الذي ألفينه * قد كان خلد فوق غرفة موكل

فقدم ابرهة واراد التسوية (قالوا) ومن الحبشة عكيم بن عكيم الحبشي وكان افصح من العجاج وكان علماء أهل الشام يأخذون عنه كما أخذ علماء أهل العراق عن المنتجع بن نبهان، وكان المنتجع سندياً في أدنه حربه ووقع الى البادية وهو صبي فخرج افصح من رؤبة، فلما قال حكيم بن عياش الكلبي

للنساء وأصون للحرم ومنها المصحف وهوأوفى لما ءه وأحصن له وأبهى وأهنأ (قالوا) ونحن أهول فى الصدور وأملأ للعيون كما ان المسودة أهول فى العيون وأملأ للصدور من المبيضة وكما أن الليل أهول من النهار (قالوا) والسواد أبداً أهول وان العرب لتصف الابل فتقول الصهب سرع والحمر غزر والسود بهي فهذا في الابل (قالوا) ودهم الخيل أبهى وأقوى والبقر السود أحسن وأبهى وجلودها أنفع وأثمن وأبقى والحمر السود أثمن وأحسن وأقوى وسود الشاء أدسم ألبانا وأكثر زبداً والدبس أغزر من الحمر وكل حبل وكل حجر اذا كان اسود كان أصلب صلابة وأشد يبوسة والاسد الاسود لا يقوم له شئ وليس من التمر شئ أحلى حلاوة من الاسود ولا أعم منفعة ولا أقوى على الدهر والنخل أقوى ما يكون اذا كانت سود الجذوع وجاء عليكم بالسواد الاعظم (وقال الانصارى)

أدين وما دينى على بمغرم * ولكن على الشم الطوال القراوح
على كل خوّار كأن جذوعها * طلين بقار أو بدمّ ذبائح

(قالوا) وأحسن الخضرة ما ضارع السواد قال الله جل وعز ومن دونهما جنتان ثم قال لما وصفهما وشوق اليهما مدهامتان قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما خضراوان من الرى سوداوان وليس فى الارض عود أحسن حسنا ولا أغلى ثمنا ولا أثقل وزنا ولا أسلم من القوادح ولا أجدر أن يستغنى الخط بالآبنوس ولقد بلغ من اكباره والاعظامه وثقله وشدة تداخله أنه يرسب فى الماء دون جميع العيدان والخشب ولقد غلب بذلك بعض الحجارة اذ صار يرسب وذلك الحجر لا يرسب

والانسان أحسن ما يكون فى السن مادام اسود الشعر وكذلك شعورهم في الجنة وأكرم ما في الانسان حدقتاه وهما سوداوان وأكرم الاكحال الاثمد وهو اسود ولذلك جاء ان الله تعالى يدخل جميع المؤمنين الجنة جرداً مرداً مكحلين . واشرف ما فى الانسان له كبده التي بها تصلح معدته ويهضم طعامه وبصلاح ذلك قوام بدنه والكبد سوداء وأنفس ما فى الانسان وأعزه سويداء قلبه وهى علقة سوداء تكون فى جوف فؤاده تقوم فى القلب مكان الدماغ من الرأس * ومن أطيب ما فى المرأة شفتاها المعسول وأحسن ما يكونان اذا صارتا الى السواد (وقال ذو الرمة)

لمياء فى شفتيها حُوّةٌ لعس * وفى اللثات وفى أنيابها شنب

وأطيب الظل وأبرده ما كاد أسود (وقال الراجز)

* سود غرابيب كأظلال الحجر *

(وقال حميد بن ثور)

ظللنا الى كهف وظلت ركابنا * الى مستكفات[1] لهن غروب

الى شجر ألمى الظلال كأنه * رواهب أحرمن الشراب عذوب

وجعل الله تعالى الليل سكنا وحجابا والنهار للكسب والكد * والذى يدل على أن السواد فى وجه آخر مقرون بالشدة والصرامة والهيج والحركة انتشار الحيات والعقارب وشدة سمومها بالليل وهيج السباع واستكلابها بالليل وتحرك الاوجاع وظهور العلل لان هذه كلها بالليل (قالوا) وأشبهها الليل من هذا الوجه (قالوا) وأنعم ما يكون الغالية وأشمها للانف وأسرع لحمتها اذا

---

(١) (مستكفات) اى عيون مستديرة بذلك لانها فى كهف اى مغارة من الارض

أرد بها وأدنأ لدهابها ادا كرهها ما كان منها فى الظلمه عند اسبال الستور واعلاق الابواب (قالوا) والس لون أرسخ فى جوهره وأثبت فى حسه من سواده وقدجرى المثل فى سمعد الشئ لا يري دلك حتى تبيض القار وحتي تشيب الغراب وهو المرض الملأ عند الحكماء وأكرم العطر المسك والعنبر وهما أسودان وأصلب الاحجار سودها (وقال أبو دهبل الجمحى) يمدح الازرق المخزومى وهو عبد الله بن عبد شمس بن المغيره

فان شكرك عندى لاانقضاء له * مادام الحزع من لد ان حلمود

أبيض المدّح والمعلى به ءا * اد لاتغاب صم الجندل السود

والعرب تفتخر بسواد اللون (فان قال قائل) فعلام دلك وهى تقول فلان هجان وازهر ابيض وأغر (قلنا) ليس يريد بهذا بياض الجلد انما يريد به كرم الجوهر وماءه وقد تجرب خضر محارب فانها سود والسود عند العرب الخضر (وقال سماح بن ضرار)

وراحت رواحاس زرود فنازعت * زباله جلبابا من الليل أخضرا

(وقال الراجز)

حتى انثنى الصبح من ليل خضر * مثل انضاء البطل السيف الذكر

نضو هوًى بال على نضو سفر

وهم يسمون الحديد أخضر لانه صلب لان الاخضر اسود (وقال الحارث ابن حلزه)

اذ رفعنا الجمال من سعف البحـــرين سيراً حتى نهاها الحساء

فهزمنا جمع ابن أُم قطام * وله فارســــه خضراء

(وقال المحاربى) وهو يفخر بأنه من الخضر

فى خضر فيس عالى كل ذى فخر * صعب المقادة آبى الضيم سعساع

وبنو المغيرة خضر بنى مخزوم (قال) عمر بن عبد الله بن ابي ربيعة بن المغيرة المخزومى ويقال انها للفضل بن العباس اللهبى

وانا الاخضر من يعرفنى * اخضر الجلده فى بيت العرب

من يساجلنى يساجل ماجداً * يملأ الدلو الى عقد الكرب

وخضر غسان بنو جفنه الملوك (قال الغسانى)

ان الخضارمه الخضر الذين ودوا * اهل البريص عالى منهم الحكم

(وقد ذكر) حسان أو غيره الخضر من بنى عكم حين قال

وليس بن هاشم فى بيت مكرمه * ولا بنى جمح الخضر الجلاعيد

(قالوا) وكان ولد عبد المطلب العشره الساده دلما ضخما[1] نظر اليهم عامر بن الطفيل يطوفون كأنهم جمال جون[2] فقال بهؤلاء تمنع السدانه وكان عبد الله ابن عباس أدلم ضخما وآل أبى طالب أشرف الخلق وهم سود وأدم ودلم

(قالوا) وقال النبى صلى الله عليه وسلم بعثت الى الاحمر والاسود وقد علمت انه لا يقال للزنج والحبشه والنوبه بيض ولا حمر وليس لهم اسم الا السود وقد علمنا أن الله عز وجل بعث نبيه الى الناس كافه والى العرب والعجم جميعا

---

(١) (دلما) جمع ادلم وهو الآدم والشديد السواد من الناس ومن الجمال (والضخم) بضم اوله وسكون ثانيه جمع اضخم كحمر واحمر العظيم الجرم الكثير اللحم

(٢) (جون) بضم الجيم وسكون الواو جمع جون بفتح اوله وسكون ثانيه وهو الادهم من الابل والخيل اهـ

فاذا قال بعثت الى الاحمر والاسود ولسنا عنده حمراً ولا بيضاً وقد بعث الينا فانما ء انما قوله الاسود ولا يخرج الناس من هذين الاسمين فان كان العرب من الاحمر فقد دخلت في عداد الروم والصقالبة وفارس وخراسان وان كانت ن السود فقد اشتق لها هذا الاسم من اسمنا وانما قيل لهم وهم ادم وسمر سود حين دخلوا معنا في جملتنا كما تحمل العرب الاتباب من الذكور د كوراً واذا كان النبي صلى الله عليه وسلم د لم ان الزنج والحبشة والنوبة ليسوا بحمر ولا بيض وانهم سود وقد بعثه الله الى الاسود والاحمر فقد جعلنا والعرب سوا ويكون نحن السود دونهم فان كان ا م السود وقع علينا فنحن السودان الخلص والعرب أشباه الخلص فنحن المقدمون في الدعوة واذاً كان اسمهم محمولا على اسمنا اذ كنا وجدنا يقال لنا سود ولا يقال لهم سود الاان يكونوا معنا (قالوا) وانتم ترون كثرة العدد مجداً ونحن ا كثر الناس عدداً وولداً (قالوا) ونحن ص ماي الجم لي والكلاب (قالوا) ولو عدانم بالنمل العرب كلها لأ ربت عليها فكيف اذا ضربت اليها الكلاب ثم كيف اذا ضممنا اليها الحبشة والنوبة وفزان ومرو وزاغاوة وغير ذلك من أنواع السودان وليست لحطان ن عدنان في شيء ونحن بالحبشة أشبه وارحا ما بهم أ س من عدنان بقحطان وان ذكرتم اختلاف اللغات فان لغة عمر هوازن على خلاف لغة فصحاء الحجاز وقد تختلف اللغات والأصل واحد وقد سمعنا والبحر محاط . و ن دخل اوائل خراسان وأواخرها وأوائل الجبال وفارس وأواخرها علم ان اللغات قد تختلف لاختلاف طبائع البلدان والأصل واحد (قالوا) وأنتم لم تروا الزنج الذين

هم الزنج قط وإنما رأتم السبى يجىء من سواحل قنبله وغاصها واوديتها
ومن مهدنا وسفلسا وعبيدناوليس لاهل قنبله جمال ولا عقول وقنبله اسم
الموضع الذى يرفون فيه سفنكم الى ساحله لان الزنج صربان قنبله ولنجويه
كما أن العرب صربان قحطان وعدنان وأنتم لم تروا من أهل لنجويه أحداً
قط لا من السواحل ولا من اهل الجوف[1] ولو رأيتموهم لنسيتم الجمال
والكمال (فان قلتم) وكيف ونحن لم نر زنجيا قط له عقل صبى أو امرأة
(قلنا) لكم ومتى رأيتم من سبى السند والهند قوماً لهم عقول وعلم وأدب
واخلاق حتى تطلبون ذلك فيما سقط اليكم من الزنج وقد تعلمون ما فى
الهند من الحساب وعلم النجوم وأسرار الطب والخرط والنجر[2] والتصاوير
والصناعات الكثيرة العجيبة فكيف لم تقع لكم مع كثرة ما سبيتم
منهم واحد على هذه الصفة وتفسير هذه الصفة (فان قلتم) أهل الشرف
والعقل والعلم انما ينزلون الواسطه وقرب دار الملك وهؤلاء حاشيه
وأعلاج وأكثره ونزال السواحل والآجام والغيوص والجزائر من أكار
ونبّاط وصياد (قلنا) وذلك من رأيتم ومن لم تروا مما وحوا ليها هو حوالكم
انا (قالوا) ولو أن الزنجى والزنجيه اذا تناكحا نشب أولادهما بعد الخصب
والاحتلام ببلاد العراق كانوا قد غلبوا على الدار بالعدد والجلد والعلم
والتدبير ولكن ولد الهندى والهنديه والرومى والروميه والخراسانى
والخراسانيه يقعون وكم وفى بلادكم كنسماء آبائهم وأبناءهم ولا يشبى ولد

(١) (الجوف) قال فى القاموس الجوف المطمئن من الارض وهو يطلق على
عدة مواضع منها موضع ناحيه عمان وواد بارض عاد (٢) النجر نحت الخشب

الزنجيين بعد الحبش والاحبلام على أنا لا نصيب في عشرة آلاف واحداً سلع ما ذكرت الا ان نصرف الزنجي في غير الزنجات والزنجة في غير الزنج ولو لا أن الزنجي والزنجة قليلا ما يلدان من العرائب والغرباء لكنا على كل حال نشرى لرجال الزنج سبلا كثيرا ولكن الزنجة لا تكاد تبسط لغير الزنجي (قالوا) وكذلك الخصيان منكم لا يكادون يبسطون لطلب النسل من الزنجات والزنجة أيضا من الزنج اسرع لقاحا منها من الانسى (قالوا) وانتم لا تكادون تعدون ممن ولد له من صلبه مائة ولد إلا أن يكون خليفة فيكون ذلك لكثرة الطروقة ولا تجدون ذلك في سائركم والزنج لا تستكثر هذا ولا تستعظمه لكثرته في بلادهم لان الزنجية تلد نحواً من خمسين بطنا في نحو من خمسين عاما في كل بطن اثنين فيكون ذلك أكثر من تسعين لانه يقال إن النساء لا تلدن إذا بلغن الستين إلا ما يحكى عن نساء قريش خاصة والزنج أحرص من خلق الله على نسائهم ونساؤهم لهم كذلك وهن أطيب من غيرهن (قالوا) فأنا لوا قولنا واحتجاجنا فانا قد روينا الاحجار وقلنا الاشعار وعرفنا كم وعرفنا الامم وقد كان الفرزدق أعلم الناس بالنساء وكان قد جرب الاجناس كلها فلم يجد مثلهن ولذلك تزوج أم مكية الزنجية فأقام عليها وترك النساء للذى وجد عندها وفي ذلك يقول

يا رب خود من بنات الزنج * تمشي بتنور شديد الوهج
أخثم [1] مثل القدح الملجج

---

(١) الاخثم المرتفع الغليظ

وكان دنانير بنت كعبويه الزحي عند أعشى سلم وكانت سديده السواد فرآها يوما وقد خضبت يدها بالحناء واكتحلت بالاثمد (فقال)

خضبت كفا شكت (١) من زندها * فتخضب الحنا من مسودها
كأنها والكحل في مرودها * تكحل عينها ببعض جلدها

فلما سمعت ذلك (قالت)

وأقبح من لونى سواد عجانه * على بشر كالملك أوهو أنصع

فسموه اسود وصاح به الصبيان فطلقها وقد كان صديقه عرسها قال إن الدنانير تكون سودا (فقالت)

شاب الرأس أقبح من سوادى * وشاب الحاجبين هوالقصوح

فأمسك عنها حينا ثم عاودها فلما فصحته طلقها (قالوا) وإن نظر البيضان الى نساء السودان تعبر عن الشهوه فكذلك السودان في نسا البيضان على أن الشهوات عادات واكثرها تقليد من ذلك ان اهل البصره اشهى النساء عندهم الهنديات وبنات الهنديات والاعوار والبمن أشهى النساء عندهم الحبشيات وبنات الحبشيات واهل الشام أشهى النسا عندهم الروميات وبنات الروميات وكل قوم فانما يشتهون جانبهم وشانهم الا الشاذ والناس على الشاذ قياس (قالوا) اطيب الافواه نكهه واشدها عذوبه واكثرها ريقا أفواه الزنج والكلاب من بين السباع اطيب افواها منها (قالوا) والسواد لاوم للعين اذا اعلب خف عنا بما لم يكن لها دوا خير من العمود في الطامه وفي يد صاحبها خرقه سودا فالسواد

---

(١) شكه يشكه ويبكه قطعه والسكه بكسر النا وفتحها القطعه من البنى اه

للانصار وحير ما فى الانسان البصر (قالوا) والسودان أكثر من البيضان لان أكثر ما تعد البيضان فارس والجبال وخراسان والروم والصقالبة وفرنجة والابر وسنا بعد ذلك فلا غير كثير والسودان تعدون الزنج والحبشة وفزان وبربر والقبط والنوبة وزغاوة ومرو والسند والهند والقمار والدبيلا والصين وماصين والبحر أكثر من البر وجزائر البحر ما بين الصين والزنج مملوءة سوادان كسرنديب وكله وأمل وزابج وجزائرها الى الهند الى الصين الى كابل وتلك السواحل (قالوا) وكان الاصمعى الاسنان يقول السودان أكثر من البيضان والصخر أكثر من الوحل والرمل أكثر من التراب والماء المالح أكثر من العذب (قالوا) ومنا العرب لامن البيضان نعرف ألوانهم من ألواننا والهند أسمر الوانا من العرب وهم من السودان ولان النبى صلى الله عليه وسلم قال بعثت الى الاحمر والاسود (وقد) علم الناس أن العرب ليست بحمر كما ذكرنا قبل هذا قال فهذا المفخر لنا وللعرب على جميع البيضان ان أحب ذلك العرب وان كرهه فان المفخر لنا بالذى ذكرنا على الجميع (قالوا) ولو لم نكثركم الا بالزابج وحدها لفضلنا كم بهم فضلا بينا وذلك أن ملك الزابج إن غضب على أهل مملكته ولم يقروا بالخراج بعث ألف سفينة فى كل سفينة ألف رجل على أن لا يحاربوهم ولا يقاتلوهم ولكن يأمرهم ان يقيموا أبدا فيهم حتى يقروا بالخراج فيكونون مايأكلون ويشربون ويغدون ويلبسون أصرعليهم من مقدار الخراج المرار الكثيرة فان اقروا بالخراج والا أرسل اليهم ألف سفينة أخرى فلا يجد ذلك الملك بدا من أن يعطيه بكل

ما طلب ولا نأمن أن تغضب فتأتى عليه وعلى أهل مملكته (قالوا) ولقد
نزل ملك الزابج على خليج مرة والخليج فراسخ فى فراسخ فبينا هو على
مائدته وفى سرادقه على شاطىء الخليج اذ سمع صارخة فقال ماهذا
وقطع الاكل قالوا امرأة سقط ابنها فى هذا الخليج فأكله التمساح
قال وفى مكان أنا فيه شىء يشاركنى فى قتل الناس ثم وثب فاذا هو فى
الخليج فلما رأوه الناس سقطوا عن آخرهم فخضخضوه وهو فراسخ فى
فراسخ حتى أخذوا كل تمساح فيه أخذته فقال إن أهل الزابج وأعمالها
أكثر من شطر أهل الارض (قالوا) وآخر العمران كله سودان وما
استدار من أقاصى العمران أكثر من أهل الواسطة كطوق الرحى الذى
يلى الهوا الذى هو أوسع وأكثر ذرعا مما قصر عنه من ذلك الرحى واعتبر
ذلك بالجناح المطيف لا يرى أحد ذرعه فلو عرضه وتحده اكثر ذرعا
من نفس الدار وليس خلف الزابج شئ وكذلك جميع بلاد السودان
الساكنه فى الاطراف وفى آخر اطواق العمران (قالوا) فهذا دال على أنا
أكثر وإذا كنا أكثر كنا الخير وقد قال شاعركم

ولست بالاكثر منهم حصىً ٭ وإنما العزة للكاثر

(قالوا) والقبط جنس من السودان وقد طلب منهم خليل الرحمن الولد
فولد له منهم نبى عظيم الشان وهو أبو العرب اسماعيل عليه السلام وطلب
النبى صلى الله عليه وسلم منهم الولد وولد له ابراهيم وكنانة جبر لى (قالوا)
والحجر الاسود من الجنة والنحاس إذا اشتد سواده كان امتن وأجود
فمن استنكر لون السواد فنا فى فرنجه والروم والصقالبة من افراط سوطه

الشعر والرقه والصهوبه والحمره فى شعر الرأس واللحيه وساض الحواحب والاسفار أفبح وأسمج ولاس فى السودان مُعرّب لس المعرب الا فكم ولا سواء من لم سصحه الارحام و ن حارب به حد التمام (قالوا) ولنا نعد معرفه بالتفلسف والنظر ونحن أنصف الناس ولنا فى الاسرار حجه ونحن نقول إن الله تعالى لم يجعلنا سوداً تسويها لخلقنا ولكن البلد فعل ذلك بنا والحجه فى ذلك أن فى العرب قبائل سوداً كبنى سليم بن منصور وكل من نزل الحره من غير بنى سليم كلهم سود وانهم استخدمون المماليك للرعى والسقاء والمهنه والخدمه من الاسابيين ومن الروم نساءهم فما سوالدون بلانه أنطى حتى سطلهم الحره الى الوان بنى سليم ولقد بلغ من أمر تلك الحره أن ظباءها ونعامها وهوامها وذئابها وثعالبها وشاءها وحميرها وخيلها وطيرها كلها سود والسواد والبياض انما هما من قِبَل خلقه البلده وما طبع الله عليه الماء والتربه و ن قِبَل قرب الشمس وبعدها وشده حرها ولينها وليس ذلك من قبل مسخ ولا عقوبه ولا تسويه ولا تفضيل على ان بلاد بنى سليم تجرى مجرى بلاد الترك و ن راى إبلهم ودوابهم وكل شى لهم رآه شيئاً واحداً وكل شيء لهم تركىّ المنظر وربما رأى العراه دون العواصم اخلاط غنم الروم فلا تخفى عليهم غنم الروم من غنم الشام للروميه التى تروها فيها وقد ترى الناس أبناء الاعراب والاعراب الذين وقعوا الى خراسان فلا شك أنهم علوج القرى وهذا موجود فى كل شيء وقد ترى جراد البقل والريحان ودبابهما خضراً وترى قمل رأس الشاب سوداً وتراها إذا ابيض رأسه بيضا وتراها إذا

حُصب حمراً فلس سوادنا معسر الريح الا كسواد بى سلىم ومى عددنا علىكم من قبائل العرب فى صدر هذا الكلام . وما افراط سواد من اسود من الناس كافراط ساض من ابيض من الناس وكذلك السمره المولده من سهما وكذلك الرىّ والهنثاب وكذلك الصاعاب وكذلك المطاعم والشهوات وقد ذكر الشاعر حين مدح أسلم بن الاحنف الاسدىّ سواد السماسه (فقال)

أسلم داكُم لا حقاً بمكانه * لعس بداحى أو لأذن يسمعُ
من النفر السمّ الذين اذا انموا * وهاب الرحال حلقه الباب قعقعوا
جلى الاذفر الاحوى من المسك فرقه * وطيب الدهان رأسه وهو أنزع
اذا النفر السود اليمانون حاولوا * له حوك[1] بردىه أرقوا وأوسعوا

وقد عاب بعض السصان عدى جعده بلونه (فقال)

قد عاب لونى أقوام فقلت لهم * ما عاب لونى الا مفرط الحمق
ان كان لونى فيه دعجه[2] كلف * حَزن الاهاب فانى أبيض الخلق
أرضي الصديق وأحمي الطعن معترضا * صدر القناة أكى كنه السرق

وكانت امرأة عمرو بن شاس يحصوا عرار بن عمرو وكان ابن سوداء (فقال) عمرو بن شاس فى ذلك وفى صفه أنسا الحاسبات والرحاب

الم تأتها أنى صحـــوب واى * بحسعب حى ما أعارم بن عرم
وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى * مساغا لنا بـه الشجاع لصد أرم[3]

---

(١) قال فى المختار حاك الثوب نسجه بابه قال اه (٢) الدعج ضد السواد
(٣) أرم عن الشئ أمسك عنه اه

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد * عراراً لعمري بالهوان فقد ظلم

فان عراراً إن يكن غير واضح * فانى أحب الجون ذا المنكب العمم

فان كنت منى أو تريدين شيمتى * فكونى له كالسمن رُبَّتْ له الأدم

وإلا فسيرى مثل ما سار راكب * تيمم خمساً ليس فى سيره أمم[1]

(وأما)الهند فوجدناهم يعدون فى النجوم والحساب ولهم الخط الهندى خاصة ويعدون فى الطب ولهم أسرار الطب وعلاج فاحش الادواء خاصة ولهم خرط التماثيل ونحت الصور بالاصباغ تجد من المحاريب وأشباه ذلك ولهم الشطرنج وهى أشرف لعبة وأكثرها تدبيرا وفطنة ولهم السيوف القلعية وهم ألعب الناس بها وأحذقهم ضربا بها ولهم الرقى النافذة فى السموم وفى الاوجاع ولهم غناء معجب ولهم الكنكلة وهى وتر واحد يمد على قرعة فيقوم مقام أوتار العود والصنج ولهم ضروب الرقص والخفة ولهم الثقافة عند الثقاف خاصة ولهم معرفة المناصفة ولهم السحر والتدخين والدماركة ولهم خط جامع لحروف اللغات وخطوط أيضا كثيرة ولهم شعر كثير وخطب طوال وطب فى الفلسفة والادب وعنهم أخذ كتاب كليلة ودمنة ولهم رأى ونجدة وليس لاحد من أهل الصين مالهم ولهم من الراى الحسن والاخلاق المحمودة مثل الاخلة والفرب والسواك والاحفاء والفرق والخضاب وفيهم جمال وملح واعتدال وطيب عرق والى نسائهم تضرب الامثال ومن عندهم جاؤا الملوك بالعود الهندى الذى لا يعدله عود ومن عندهم خرج علم الفكر

(١) الثأم عند العرب نبات يحشى به فى الخص والستر وحمة ثأمة وفى المصباح اه

وما اذا تكلم به على السم لم نصر وأصل حساب النجوم من عندهم أخذه الناس خاصه وآدم عليه السلام انما هبط من الجنه فصار سلادهم (قالوا) ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجوده الصوت وانك لتجد ذلك في الفيان إذا كن من بنات السند وخصله أخرى انه لا يوجد في العبد أطبخ من السند هو اطبع على طيب الطبخ كله ومن مفاخرهم أن الصيارفه لا يولون أكياسهم وبيوت صروفهم الا السند وأولاد السند لانهم وجدوهم انفذ في امور الصرف واحفظ وآمن ولا تكاد أحد أن تجد صاحب كيس صيرفي ومماسحه ابن رومي ولا ابن خراساني واقد بلغ من تبرك التجار بهم ان صيارفه البصره ونادره النهارات لما راوا ما كسب فرج ابو روح السندي لمولاه من المال والارضين اشترى كل امرىء منهم غلاما سنديا طمعا فيما كسب ابو روح لمولاه (قال) كان عبد الملك بن مروان يقول الادغم سيد أهل المشرق يعني عبد الله ابن ابي بكره وكان اسد السودان سوادا واباه يعني عبد الله بن خازم حيث يقول * حسبي حسبه خاسه *

فهذا جمله ما حضرنا من مفاخر السودان وقد قلنا قبل هذا في مفاخر قحطان ونقول في فخر عدنان على قحطان في كثير مما قالوا إن شا الله

(تم كتاب فخر السودان على البيضان وهو الرساله الرابعه

من رسائل العلامه الجاحظ ويليه كتاب التربيع

والتدوير وهو الرساله الخامسه له أيضاً)

كتاب التربيع والتدوير

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عمرو بن بحر الحاحط كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر
ويدعى انه مفرط الطول وكان مربعا وتحسبه لسعة جفرته[1] واستفاضته
حاصرته مدورا وكان جعد الاطراف قصير الاصابع وهو فى ذلك
يدعى السباطة والرشاقة وانه عتيق الوجه أخمص البطن معتدل القامة تام
العظم وكان طويل الظهر قصير عظم الفخذ وهو مع قصر عظم ساقه
يدعى انه طويل الباد[2] رفيع العماد عادى القامة عظيم الهامة قد اعطى
البسطة فى الجسم والسعة فى العلم وكان كبير السن متقادم الميلاد وهو
يدعى انه معتدل الشباب حديث الميلاد وكان ادعاؤه لاصناف العلم على
قدر جهله بها وتكلفه للابانة عنها على قدر غباوته عنها وكان كثير الاعتراض
لهجا بالمراء شديد الخلاف كلفا بالمحادثة مسابقا فى العود مؤثرا للمغالبة
مع اضلال الحجة والجهل بموضع الشبهة والخطرفة عند قصر الزاد والعجز
عند التوقف والمحاكمة مع الجهل ثمرة المراء ومعه فساد القلوب وتكدر

(١) قال فى المختار جفر جنبا اتسعا (٢) الباد باطن الفخذ اه كتبه مصححه

الخلاف وما فى الخوض من اللغو الداعى الى السهو وما فى المعانده من الاثم الداعى الى النار وما فى المحادثه من النكد وما فى التغالب من فقدان الصواب وكان لميل السماع غمرا [1] وصحفيا غفلا لا يتطوع عن فكر وثيق وتأول خاطر ولا يفصل بين اعتزام القمر واستبصار الحق يعدد أسماء الكتب ولا يفهم معانيها ويحسد العلماء من غير أن يتعلق فيهم بسبب وليس فى يده من جميع الآداب إلا الانتحال لاسم الادب فلما طال اضطرابنا حتى بلغ المجهود منا وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله رأيت أن أكشف قناعه وأبدى صفحته للحاضر والبادى وسكان كل ثغر وكل مصر بأن أسأله عن مائة مسئله أهزأ فيها وأعرف الناس مقدار جهله وليسأله عنها كل من كان فى مكه ليكفوا عنا بن غربه وايزدوه بذلك الى ماهو أولى به كانه لم يسمع بقولهم إذاعز أخوك فهن ولم يسمع بقول النبى صلى الله عليه وسلم فى السائب بن صيفى هذا شريكى الذى لا يشارى ولا يمارى ولا يقول عثمان إذا كان لك صديق فلا تماره ولا تشاره ولا يقول ابن أبى ليلى لا أمارى أخى اما ان أكذبه واما أن أغضبه ولا يقول ابن عمر لا يصيب الرجل حقيقه الايمان حتى يترك المرا وهو محق وكأنه لم يسمع بقول الشاعر

حلافا علينا من فياله رأيه * كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا

ولم يسمع بقول الاول

* رآه معدّا للخلاف النس

---

(١) (قوله غمرا) بسكون الميم وضمها أى لم يجرب الامور اه كتبه مصححه

ولا تقول الآخر

لنا صاحب مولع بالخلاف * كثير المراء قليل الصواب

ألج لجاجا من الخنفساء * وأزهى اذا ما مشى من غراب

وقالوا فلان خلف من بول الجمل ولذلك قال الشاعر

وأخلف من بول البعير فانه * اذا قيل للاقبال أقبَلَ أدبَرا

قال رجل لزهير البابي أين نبت المراء قال عند اصحاب الاهواء وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل وكان عمر بن هبيرة يقول اللهم إني اعوذ بك من المرا وقلة خيره وبن اللجاج ويذم أهله وقال بعض المذكورين اللهم انا نعوذ بك من المراء وقلة خيره وسوء أثره على أهله فانه يهلك المروءة ويذهب المحبة ويفسد الصداقة ويورث القسوة ويصرى على القحة حتى يصير الموقر خطلا[1] والحليم رقا[2] والموثوق حبوطا والصدوق كذوبا والمراء من أسباب الغضب واقرب ما يكون الرجل من غضب الله إذا غضب كما أنه أقرب ما يكون من رحمة الله اذا سجد لقول الله عز وجل واسجد واقترب وقال لقمان لابنه اياك والمراء فانه لا تعقل حكمته ولا تؤمن فجيعته وقال آخر المراء عصبة والصمت حكمة ولو كان المراء خلا والفخر أما ما أفلحا إلا الشر وقال الشعبي إني لأستحيي من الحق ان أعرفه ثم لا ارجع اليه وقال ابن عيينة قال الحسن مارأيت فقيها قط يداري ولا يماري إنما

---

(١) الخطال المنطق الفاسد المضطرب (٢) الرق الحمق والطيش اهـ كتبه مصححه

بسر حكمبه فان فلب حمد الله وإن ردب حمد الله عن إبراهيم بن اسماعيل بن عائذ بن المبارك بن سعد قال قال مجاهد صحب رجلا من قريش ونحن نريد الحج فقلت له يوما هلم نتقايح الرأى فقال دع الود كما هو فعلمت والله ان القرى قد غلبني وقال إسحاق الموصلي كثرة الخلاف حرب وكثرة المتابعة غش

(بسم الله الرحمن الرحيم) أطال الله بقاءك واتم نعمه عليك وكرامه لك قد علمت حفظك الله انك لا تحسد على شئ حسدك على حسن القامه وضخم الهامه وعلى حور العين وجوده القد وعلى طيب الاحدوثه والصنعه المشكوره وان هذه الامور هي خصائصك التى بها تكلف و ...اسك التى بها تلهج وانما تحسدا بقاك الله المر سمعه فى النسب وسمعه فى الصناعه وبطره فى الحوار على طارف قدره او تالد حظه أو على كرم فى اصل تركيبه ومجارى أعراقه وانت تزعم ان هذه المعانى خالصه لك مقصوره عليك وأنها لا تليق إلا بك ولا تحسن إلا فيك وأن لك الكل وللناس البعض وان لك الصافى ولهم المشوب هذا سوى الغريب الذى لا نعرفه والبديع الذى لا نبلغه فما هذا الغيظ الذى اضحك وما هذا الحسد الذى أكمدك وما هذا الاطراق الذى قد اعتراك وما هذا الهمّ الذى قد أصابك وهل رأيت أخسر صفقه ولا أوهن قوه ممن يجرى العتاق مع الكوادن والروائع مع الحواسر ومن خاصم بن سلاله وحادث من بلده وهل رأيت مكبا نفاق ومصنوعا له سخط وهل زدت على أن أطمعت فى نفسك ومكنت للشبهة فى أمرك وانسأت للخامل ذكراً وللوضيع قدراً

إنك لا تعرف الامور ما لم تعرف أشباهها ولا عواقبها ما لم تعرف أقدارها ولن تعرف الحق من يجهل الباطل ولا تعرف الخطأ من يجهل الصواب ولا تعرف الموارد من يجهل المصادر فانظر لم تسالمت النفوس مع تفاوت منازلها ولم تحاسدت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكبر واتفق القليل ولم كان الكبر علة للتخاذل والقلة سبب للتناصر وما فرق ما بين المجاراة والتحاسد و بين المنافسة والتغالب فانك اذا عرفت ذلك استرحت مما ورجوت أن تستريح منك وكيف تعرف السنا من يجهل السبب وكيف تعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف تعرف الحجة من الشبهة والعذر من الحيلة والواجب من الممكن والمعقول من الموهوم والمحال من الصحيح والاسرار المجهولة من دواب الدلائل الخفية وما تعلم مما لا تعلم وما تعلم باللفظ دون الاشارة مما لا تعلم الا بالاشارة دون اللفظ وما تعلم معتمدا ولا تعلم كسبا مما تعلم مكتسبا ولا تعلم معتمدا وما المستغلق الذي يجوز أن تفارقه استغلاقه والمستبهم الذي لا تفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزرانة [1] عليها والرغبة عنها قد طلبها فصل طاعة لنفسه وجرى معها بقدر مناسبتها لقدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وستعرف من جملة ما ذكرنا بابا أنت اليه أحوج وهو علينا أرد (إعلم)

---

(١) زرى عليه فعله عابه يزرى زراية يورن حكاية والازراء التهاون بالشيء يقال ازرى به اذا قصر به وازدرا اي حقر اه كتبه مصححه

أن الحسد اسم لما فصل عن المنافسه كما أن الجبن اسم لما فصل عن التوقى والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد والسرف ما جاوز الجود وأنت جعلت فداك لا تعرف هذا ولن أدخلك الكبر[1] وقفت عليك الى يوم ينفخ فى الصور وهل فى الارض اقرار أثبت أو دليل أوضح أو شاهد أصدق من شاهدى على ما ادعيت لنفسك من الرفعه مع ما ظهر من حسدك لأهل النعمه وهل يكون بعد ذلك الا فاسد الحس ظاهر العنود أو جاهلا بالمحال وبعد أبقاك الله فأنت فى يدك فأس لا تنكسر وجواب لا ينقطع ولك حدّ لا يفل وعرب لا ينبو وهو قياسك الذى اليه تنسب ومذهبك الذى اليه تذهب أن تقول وما على ان رآنى الناس عريضاً وأن أكون فى حكمهم غليظا وأنا عبد الله طويل جميل وفى الجمه ممدود رشيق وقد علموا أبقاك الله ان لك مع طول البادّ را كباً طول الظهر جالسا ولكن يبهم فيك اذا قمت اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن عرف ما أعطيت ودفع ما أوتيت انا لم نر ممدودا واسع الجفره غيرك ولا رشيقاً مستفيض الخاصره سواك فانت المديد وانت البسيط وأنت الطويل وأنت المتقارب فاسعرا جمع الاعاريض وياسحصا جمع الاستداره والطول بل ما يهمك من اقاويلهم ويعاطمك من اختلافهم والراسخون فى العلم والناطقون بالفهم يعلمون أن استقامه عرضك قد ادخلت الضيم على ارتفاع سمكك وان ما ذهب

---

(١) قوله الكبر فى المختار كير الحداد منفخه من زق او جلد غليظ ذو حافات والكور كور المبنى من الطين اهـ كتبه مصححه

منك عرضاً قد استغرق مادهب منك طولا ولئن احتلموا فى طولك لقد اتفقوا فى عرضك واذ قد سلموا لك بالرغم شطراً ومنعوك بالظلم شطراً فقد حصلت ماسلموا وأنت على دعواك فيما لم يسلموا ولعمرى إن العيون لتخطئ وإن الحواس لتكذب وما الحكم القاطع الا للذهن وما الاستبانه الصحيحه الا للعقل اذ كان زماما على الاعضا وعيارا على الحواس ومما بين أيضا أن ظاهر عرضك مانع من إدراك حقيقه طولك قول ابى دواد الايادى فى إلمه

سمت واستحس ا كرعها * لاالى بى ولاالسام سام

وقول رافع بن هريم

أدقّ سواها عند بهره حوفها * سام كمصر الهاجرى مُرمدٌ

ولو لم يكن من العجب الا أنك أول من تعبده الله بالصبر على خطا الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت فى طولك آيه للسائلين وفى عرضك منارا للمصلين وقد نظم المربوع الى بن الطويل مثل محمد و بن القصير مثل احمد اذ زعم محمد انه إنما افرط فى الرشاقه ونسب الى القضافه [1] لان افراط طوله غمر الاعتدال من عرضه وزعم احمد انه انما أفرط فى العرض ونسب الى الغلظ لان افراط عرضه غمر الاعتدال بن طوله وكلاهما يحتاج الى الاعذار ويفتقر الى الاعتلال والمربوع بحمد الله قد اعتدلت أجزاؤه فى الخلقه كما اعتدلت فى الفطر فقد استغنى بغير الخلقه عن الاعذار وبحكم الظاهر عن الاعتلال وقد سمعنا من يذم الطوال كما

---

(١) القضافه النحف اهـ

سمعنا من يزري على القصار ولم نسمع أحداً ذم المربوع ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولا شك فيه ولا نقمه الا من ذم الاعتدال ومن يزري عليه إلا من أزرى على الاقتصاد ومن نصب للصواب الظاهر الا المعاند ومن تمارى في العيان الا الجاهل بل من يزري على أحد تمام التركيب وتسوية التقسيط مع قول الله جل ثناؤه (ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت) فأي قد أردى وأي نظام أفسد من عرض مجاوز للقدر وطول مجاوز للقصد ومتى لم تضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزنه خرج الجسد من التقدير وجاوز التعديل وإذا خرج من التقدير فاسد وإذا جاوز التعديل شانه ولئن جاز هذا الوصف وحسن هذا النعت كان أقاسم التمام من الفضيلة ما ليس لأحمد بن عبد الوهاب وهذا كله بعد أن نصدقوك على ما ادعيت لطولك في الخفة واحتججت به لعرضك في الحكومة على أنك باعتلالك لما نفته العيان واستشهادك لما تنكره الأذهان متعرض للصدق بن المنكرم وتحكك بالحكم من التغافل وأي صاب لا تطعمه هذا المذهب وأي ناطق لا تعرفه هذا القول وإذا كان هذا ناقصا لعزم المتسلم فما ظنك بعادة المتكلف فأنشدك الله أن تعرى نك السفهاء أو تفض عزائم الحكماء وما أدري حفظك الله في أي الأمرين أنت أعظم إثما وفي أيهما أنت أخس حظا أتعرضك للعوام أم بإفسادك حكم الخواص وبعد فما يحوجك الى هذا وما تدعوك اليه وأسباهك من القصار كثير وبن تصرك فيهم غير قليل وقد رأيتك زمانا تحتج

بالنعمان بن المنذر وبضمرة بن ضمرة وبعجاعة بن مرارة وبعجاعة بن سعر وبأوفى بن زرارة وبعبد الله بن الجارود وبعلباء بن الهيثم وبسعيد بن قيس وبأبي الأسر كعب بن عمرو وبحسكة بن عتاب وبعجاري بن عمار وبعمران ابن حطان وبيوسف بن عمر وبأناس بن معاوية وبعيص بن راشد وبعيسى ابن سلم وبرجال ناهيك بهم رجالا وبأعلام كفاك بهم أعلاما ورأيتك تقول ان كان الفضل في الكثافة أو في الشدة والصلابة فصغار كل شيء أشد صبراً وأدق مدخلا وأظهر قوة وجلداً كالحجارة أصلبها الحصى وكالحياة أقتلها الأفعى وكالبعوض اضرها الفرس وكالعقارب أقتلها الجرارات وكذلك أحرار الطير وبغاثها وصغار البراغيث وكبارها (وقلت) ان كان الفضل في العدد فما أخرج وما أخرج وما الذر والفراش وما الدعامص [1] والبعوض والرمل والتراب وقطر السحاب واحتججت بأن الحس والفضل لصغار ما في الانسان كالناظر بن والاذنين وحبة القلب وام الدماغ وزعمت ان الانسان اذا طال جسمه وامتد شخصه أسرع الانهدام الى بدنه والانحناء الى ظهره وان القصير لا يقوس ظهره ولا يميل عنقه ولا يضطرب شخصه ولا تعوج عظامه ويسعه كل باب ويقطعه كل ثوب ولا يخرج رجلاه من النعش ولا تفضلا عن الفراش وهو بعد أخف على القلوب وأخلط بالنفوس

(١) الدعموص بالضم دويبة او دود سودا تكون في الغدران اذا نشت والدخال في الامور الزوار للملوك ومنه الاطفال دعاميص الجنة أي سياحون في الجنة لا يمنعون من بيت ورجل رباء منجه الله تعالى دعموصا ودعمص الماء كدرت دعامصه وهو دعمص هذا الامر عالم به اهـ كتبه مصححه

وأبعد من السماحة وأدخل فى كل باب ملاحه (وقلت) ويقول الناس ماهو الا فلفله وما هو الا رسمه [1] وما هوَالا سراره وما لسانه الا لسان صبه ولم أزل أراك تقدم العرض على الطول ويزعم أن الارض لم توصف بالعرض دون الطول الا لفضله العرض على الطول وذلك كقول الشعرا ووصف العلماء وقال الشاعر

كأن بلاد الله وهى عريضه * على الخائف المطلوب كفه حابل

ولم يقل كأن بلاد الله وهى طويله وقال آخر

* وفى الارض للمرء العريضه مذهب * ولم يقل الطويله (وقال)

ولا تحسدانى بارك الله فيكما * على الارض ذات العرض أن توسعا لنا

وقال الراجز

نقطع أرضا ونلاقى أرضا * ان البلاد علينى عرضا

ولم يقل طولا (وقلت) لولا فضله العرض على الطول لما وصف الله الجنه بالعرض دون الطول حين يقول جل ثناؤه (وجنه عرضها كعرض السماء والارض) فهذه براهينك الواضحه ودلالاتك الظاهره ولو لم يكن فيك من الرضى والتسليم ومن القناعه والاخلاص الا أنك ترى أن ماعند الله خير لك مما عند الناس وان الطول الخفى أحب اليك من الطول الظاهر لكان فى ذلك ما يشهد لك بالانصاف ويحكم لك بالتوفيق وأنا أسأل الله أعشق انصافك كما أعشق المرأه الحسنا وأتعلم خضوعك للحق كما أتعلم الفقه فى الدين ولربما طمعت أن حوزتك انصاف يوم آخر

---

(١) الرسق دهن الياسمين والرساق نعله جارية فرهة مصدعة ام كسه صحيحه

وأن تعمدك سماح رحال مصمص وما أطلك صرب الى عارصه الحجه بالسبهه ومما له الاحسار بالاصطرار والمص بالسك والعطه بالحلم الا للدى حصصت به من اسار الحق وألهمه من فصله الانصاف حى صرب أحوج ما سكون الى الانكار أدعى ماسكون بالاقرار وأسد ما سكون الى الحلهوفراً أسد ما سكون للحجه طلباً الا ان دلك لطرف ساكن وصوت حافص وقلب حامع وحاس رائط وسه حسه واراده بامه مع عقله كريم وفطنه علم ان اقطع حصمك بعافلب وان حرف برفص عن حوب ولا شغب ولا دحول ولا مسرك ولا باقص النفس ولا واهى العزم ولا حسود ولا نافس ولا معالب ولا معاف هل الحر [1] ولصب الفصل وهرب البعد وبطهر الحق وعر الملتبس وباحص المسكل ويطى المعى حمه من اللفظ كما يطى اللفظ حمه من المعى ويحب المعى اذا كان حيا بلوح وباهرا نصيح وبعصه مسهلكا بالتعقد ومسورا بالمعرب وبرعم ان سر الالفاظ ماعرى المعانى وأحفاها وسرها وعماها وان رافت سمع الغمر [2] واسمالت فلب الرائص أعحب الالفاظ عندك مارق وعدب وحف وسهل وكان موقوفا على معاه ومقصوراً عليه دون ماسواه لافاصل ولا مقصر ولا سرك ولا مسعلى قد جمع حصال البلاغه واستوفى حلال المعرفه فاذا كان الكلام على هده

---

(١) الحر العرص فى السى والواحد حر وحر قطعه اه

(٢) الغمر بسكون الميم وصمها هو الرجل الذي لم يحرب الامور وبابه طرف ووزن الحمر السى الكسر اه كتبه مصححه

الصفه وألف على هده السرنطه لم تكن اللفط أسرع الى السمع من المعى
الى القلب وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم وحصب المؤونه واسعى من
الفكره ومات السبهه وطهرت الحجه واستدلوا بالخلاف وفاقا وبالمحادبه
موادعه وهيؤا بالعلم ونسعوا ببرد اليقين واطمأنوا بثلج الصدور وبان
المنصف من المعاند وبمير الناقص من الوافر ودل المحطل وعر المحصل وبدت
عوره المبطل وطهرت براءه المحق (وقلت) والناس وان قالوا في الحسن
كأنه طاقه ريحان وكأنه حوط بان وكأنه قصب خيزران وكانه غصن
بان وكأنه رمح ردينى وكأنه صفيحه يمانيه وكأنه سيف هندوانى وكأنها
جان وكأنها جدل عنان فقد قالوا كأنه المشترى وكأن وجهه دينار هرقلى
وما هو الا البحر وما هو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنها داره قمر
وكأنها الزهره وكانها دره وكأنها غمامه وكأنها مهاه فقد تراهم وصفوا
المستدير والعريض باكثر مما وصفوا به القصف والطويل (وقلت) وجدنا
الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل كذلك
الورق والثمر والحب والتمر (وقلت) والربع وان طال فان التدوير عليه اغلب
لان التدوير قائم فيه وصولا ومفصلا والطول لا يوجد فيه الا وصولا
وكذلك الانسان وجميع الحيوان (وقلت) ولا يوجد التربيع الا في المصنوع
دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ماخلى وسوم طبعه وعلى أن
كل مربع في جوفه مدور فقد ان المدور تفصله وشارك المطول في حصته
ومن العجب أنك ترعم أنك طويل في الحقيقه ثم تحتج للاستدارة والعرض
فقد أضربت عما عند الله صفحا ولهجت بما عند الناس فأما جور العين

فقد انفردت بحسنه وذهبت ببهجته وملحه الا ما أبانك الله به من السكله فانها لا تكون فى اللئام ولا تفارق الكرام وقال الشاعر

ولاعيب فيها غير شكلة عينها * كذاك عتاق الطير شكل عيونها

وقال آخر

وشكلة عين لو حبيت ببعضها * لكنت مكان النجم مرأى ومسمعا

فأما سواد الناظر وحسن المحاجر وهدب الاشفار ورقة حواشى الاجفان فعلى أصل عنصرك ومجارى أعراقك وأما ادراكك الشخص البعيد وقراءتك الكتاب الدقيق ونقش الخاتم فمن الطبع وفهم المشكل فمن التأمل مع وهن الكبر وتقادم الميلاد ومع مجون الانام وسخف الار ان فمن توساء الجد وترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استعمال الحصره فأنت ناعم حين تصلح ما أفسد الدهر وتسترجع ما أحدث منك الايام الكما قال الشاعر

عجوز ترجى أن تكون فتية * وقد لحب [1] الجنان واحدودب الظهر

تدس الى العطار ميرة أهلها * وهل تصلح العطار ما أفسد الدهر

وكيف أطمع فى رجوعك بعد اللجاج وقد مسعنته فيله وكيف أرجو اقرارك جهراً وقد أبنته سراً وكيف تجود به صحيحا مطمعا وقد تجلب به مريضاً موئسا وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول أبا جعفر وتحاسده وتساقره وتراهنه ثم لا تفعل ذلك الا فى المحافل العظام وبحضرة كبار الحكام ثم تستغرب ضحكا من طمعه فيك وتعجب الناس من مجاراته

(١) لحب كفرح أنحله الكبر اه كتبه مصححه

لك وأشهد بعد أنك تجالس عمرو بن بحر الجاحظ وتعاقله ثم تطارفه وتطاوله وتعى مع مخارق وتسكر فصل زرزر وتستجهل النظام وتستبرد الاصمعي وتستغبي قس بن زهير وتستخف الاحنف بن قيس وتبارز أبا الحسن على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم تخرج من حد الغلبة الى حد المراء ومن حد الاحياء الى حدود الموتى هذا وليس لك مساعد ولا معك شاهد واحد ولا رايت أحداً نعف فى الحكم عليك او نظر تحصى دعواك ولا رأيت مصراً تحلك من الأنباء لا مؤيساً يحلك من الوعد ولا مواعداً يحليك من الاطماع ولا موهماً يرى لك ولا سافعاً تسمع منك بأنعم لم يحملنا على الصدق ولم يجرعنا مرارة الحق ولم يعرضنا لاداء الواجب ولم نستكثر من السهود عليك ولم يحمل الاخوان على خلاف محبتهم لك فإن احمل بدل مايجنى على نفسك أن يجنى على عدوك وبدل مايضطر الناس الى أن يصدقوا فيك أن يضطرهم الى أن يمسكوا عنك ولم ولا بد يرحمك الله لمن فاته الطول من ان يلقى بيده الى التهلكه أو من أن يقول بخلاف مايجد فى نفسه فو الله انك لجيد القامه وفى ذلك خلف من حسن القامه وانك لحسن الخط وفى ذلك عوض من حسن اللفظ وانك لقليل السب قليل القول وانك لتجد مقالا وانك لتجد حصالا فقل معروفا فانا من أعوانك واقتصد فانا من أنصارك وهات فانك لو أسرفت لقلنا قد اقتصدت ولو جرت لقلنا قد اهتديت ولكنك بحيء بشيء تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولو عنيناك لساعدناك ولو ناقضناك لاعرناك ولو ناعدناك لان جانبى لك فأقول حرف

السبح اذا كان حادا وعب ان كان هازلا وقد نعجل الحرف الى أحدث
ملك سا وسطيء عن أطول ملك عمراً بل من هذا الذى نعد من السنين
مانعد ولمع من الكثر ماطلب وعند من يدرك هذا العلم الا عند النجوم
أو عند المنس الرحيم بل من نعرف ذلك الا فاطر السموات والارض
لو عرف عصان حطمه ونسور السراه وأحناس الرمل وعبر العانه
وورشان العانه وسوح اليمامه وهرمى فرعانه انك لا تعد عمر نوح
عمراً ولا النجوم يوما وانك قد فت التاريخات وحرب حساب
الناوران [1] واستملك الاحقاب وحرجت من حطوط الهند لما
استطالت بأعمارها ولا فرحت نطول أيامها فاعمد الملك كيف
أمست ويا فوه الهولى كيف اصبحت ويا نسر لقمان كيف طهرت ويا
أقدم من دوس ويا اس بن لُبد ويا صنّ المسمر ويا صاحب المسند
حدثني كيف رأيت الطوفان ومتى كان سيل العرم ومند كم مات عوج
ومتى سلك الالسن وما حبس غراب نوح وكم لبثم فى السفينه ومند
كم كان زمان الختان ويوم السلان ويوم حرار ووقعه النداء فهات أين
عاد وثمود وأين طسم وجديس وأين أميم ووبار وأين جرهم وجاسم أيام
كانت الحجاره رطبه واذ كل شيء سطوح وقد كم طهرت الجبال ونصب
الماء عن النجف وأي هذه الاوديه أقدم انهر بلخ أو النيل أم الفرات ام
دجله أو جيحان أم سيحان أم مهران وأين تراب هذه الاوديه وأين
طين ما بين سفوح الجبال الى أعاليها فى أى بحر كانت وأى هبطه

(١) الثور الرجل الفاسد الهالك الذى لا خير فيه اهـ كتبه مصححه

أشحب وكم نسأ لذلك من أرض وحدث من عين حلف فذلك من
أبو حرهم ومن رهط الدجال وهل نعرف له سببها أين طوس
وما قصه ابن صائد ومن سوسي المسطر (وحدثني) عن هرمس أهو
ادريس وعن أرميا أهو الخضر وعن يحيى بن زكريا أهو إيليا وعن
ذي القرنين أهو الاسكندر ومن أبوه ومن امه ومن فرى وعرى
ومن جلندى وبن أولاد الناس من السعالى وما الحوس من الال
(وحدثني) عن قحطان ألعابر هو أم لاسماعيل وعن قضاعة ألمعد بن عدنان
أم لملك من حمير ومن تحرعت خزاعة وبي طوب المناهل طيء ومن
ابن نصر وما بال السديل وما قصة الزهرة وما شأن سهيل وما القول
في هاروت وماروت وما شأن الارنبة وما قصة المأرة وحرم الورعة
وما احسان الحمامة وما مرتبط القطاة وما حصب الضفادع وما تسبيح
الصرد وما عداوة ما بين الديك والغراب وما صداقة ما بين الحي والارضة
ومن ابن لها الماء وما بلغ من عمل الهدهد وأين بر أمه ولم ناب ريحه
(وحدثني) عن الامة التي مسخت ثم فقدت ممن كانت والى اي شيء
صارت آحدث برا ام بحراً فان كانت بحرية أفهي الجري وان كانت برية
أفهي الضباب وما آوى وما حين وما عرس وما اوبر وما وردان وما
قصة الطراثيث وما بال كون السابر وما علة خلق الخنزير وكيف
احتمع في الدبابة سم وشفاء وكيف لم يقبل الافعى سمها وكيف لم يحرق
السمندل اعتد فرضها (وحدثني) عن الابدال اهم القوم بالعرج أم سيسان
أم كما كانوا معرفين (وحدثني) أكلهم والان ام كلهم عرب أم هم أخلاط

وما فعل صاحب انطا كيه ولم أقم سلمان بعد بلال أومن حمل بعد سلمان
ومن عسائرهم وأين دورهم وأين أهلوهم وكيف لم يسدموهم و سمعدوهم
وكيف صارت سان لسان الارض يوم الما ـه وكيف صارت كبد
الحوت أول طعام أهل الجنه ولم يسمى يوماً وهل الرحمه من حركته
وهـل الزلزله من سفله و ا الخسف وكيف ساهـدت المسح على طول
الايام الغلب حلقهم أم صار ذلك ضربه واحده وهل عاشوا أم ا نسوا
أو بركوا ، دنيا بم أنطلوا وهل كانوا يعارفون بعد المسح ويعرفون
بعض ما قد نزل بهم بعد العاب (وحبرنى) عن بحار سطس وعن قدس
وعن الاصم وعن المظلم وعن حبل الماس وعن الباكى وعن قاف وأين
كـ ـب عام الجحاف ومد كم كان زمن المطحل وأين كان ملك الارد
وأين كان من ملك الاسكان وأين كان من ملك بنى ساسان وأين كان
حرم اردسير بناسيف وأين كان ابرويز بن انوشروان وأين حديثه
من سعَ وأين القَبجَبَ من تهره وأين بعور بن قيصر (وحبرنى) عن
الفراعنه اهم من نسل العمالقه وعن العمالقه أهم من قوم عاد (وحبرنى) اهم
من عاد الأولى أو بن عاد الأخرى (وحبرنى) عن عطارد الهندى
وجوابه لعطارد السماوى حين هبط اليه بن فلكه وهل جرى بينهما الا
ماسمعنا ومد كم كان ذلك (وحبرنى) كيف كان أصل الماء فى ابتدائه فى
أول ما أفرغ فى إنائه أكان بحرا احاجا استحال عذبا زلالا أم كان زلالا
عذبا استحال أجاجا بحراً (حبرنى) كيف صار الما ابعد من الفلك ولا يكون
الا فى بطن الارض وهو أشبه بالهواء كما أن الهواء أشبه بالنار وكيف

يكون أحق بالوسط والارض أبعد ن سه الفلك وكيف طمع حعلت فداك الدهرى فى مسئلة العلاه والمطرفه وفى السصه والدحاجه مع سادم ميلادك ومرور الاسماء على يدبك وكيف كان بدئ أمر البد فى الهند وعباده الاصنام فى الأمم وقصه عمرو بن لحى فى العرب (وحبرنى) عن عاقب بنى آدم وعن يسره وميسره وعن ميمه و يمينه وعن بهيا وطيحا ومد كم عمرت حريره العرب و مد كم بادت يونان وعن فصل ما بين السند والهند والهندوالبد وعن جميع بن هلك بالرعاف وعن من أفناهم النمل وعن بن أجحف بهم السيل وعن أصحاب الفيل كم صنفهم وما يقول فى الرجم السماوى أ كان بن عظام البرد أم كحجارة الطير الابابيل التى حلفت بن سجيل (وحبرنى) عن معنى الغراب على حمه وصدقه وعن نضوب البحر وعن نقص الارض ولم عمل الملك فى هذا العالم وليس سهما سببه وهلا عمل فيه بقدره بيه وهل يجوز ان يعمل شئ فى شئ الا والآخر يعمل فيه (وحبرنى) مذ كم كان الناس أمه واحده ولغاتهم متساويه ومذ كم نطق اسود الزنجى وابيض الصقلى ولم صار اللون أسرع نقصاً بن الجمود ولم كان الولد يجئ على سبه مانى أبيه من الامور الحادثه فى بدنه عن غير القديمه فى أصل تركيبه ومع ذلك لم يولد صبى قط فى العرب مجنونا و ا هذه الخاصه التى منعت من هذا المعنى وفى كم تمت لكل فرقه بعد البلبل لغتها واستفاض لسانها (حبرنى)حعلت فداك أيما اطول عمراً الناس أم غير الغابه أم الحيه أم الضب و ى تستغنى الحية عن الغذاء و ى تقنع الضب بالنسيم ومتى تنقطع الاسر عن السفاد

وكيف صار البغل لا ينسل وهو ولد الرمكة من العير وكذلك السمع
لا ينسل وهو ولد الضبع من الذئب والراعبى ينسل وهو ولد الحمام من
الورشان والنحى ينسل وهو من ولد العراب من الفوالج ولم نسمع فى
الظلف اذا اختلف ولم نسمع فى الحافر ولا فى الخف اذا اختلف (وخبرنى)
عن الزرافة أمن ولد الناقة أم من الضبع وعن السبوط أمن ولد النبى من
الزجر (وخبرنى) اعنقاء مغرب وما أبوها وما أمها وهل حامت وجدها
أم من ذكر وأنثى ولم جعلوها عقيما وجعلوها انثى وبم عهد لذلك الصبى
ولم نطل بجناحيها سبعة الايام ولم نأتى فى فيها اللجام ولم نباع له
الكبريت الاحمر ونساق اليه خيل الناس (وخبرنى) عن بناء سور الابلة
وعمن حفر الحيرة ومن أنشأ بنيان مصر ومن صاحب كرد بنداد ومدينة
سمرقند (وخبرنى) عن البناء الذى يضاف بالمدائن الى سام أهو لسام وعن
تدمر اهو لسليمان وأين ملك اجناد بن عمرى بن ملك نمرود الخاطئ
وأين وقع ملك ذى القرنين من ملك سليمان وقد كنت أطال الله بقاك
فى الطول زاهداً وعن القصر راغباً وكنت امدح المربوع واحمد الاعتدال
ولا والله ان يوم خبر الاعتدال يسر قصر العمر ولا جمال المربوع عما
يفوت من منفعة العلم فاما اليوم فانى كنت اقصر منك واصوى وانقل
منك وأوهى وانس دعائى لك بطول البقا طلباً للزيادة ولكن على جهة
التعبد والاستكانة فاذا سمعتنى اقول أطال الله بقاك فهذا المعنى أريد
واذا رأيتنى اقول لا أخلى الله مكانك فالى هذا المعنى اذهب وقد زعموا
خطب فداك ان كل ما طال عمره من الحيوان زائد فى سده الاركان وفى

طول العمر وصحه الابدان كالورسان والصاب وحمر الوحش وكلحم
النسر لمن أكله ولحم الحيه لمن استحله فان كان هذا الامر حقا وكان
هذا العلاج نافعا وكنت له مستعملا وفيه مقدما ويراه رأيا وان كنت
عنه غبيا أحدنا منه نصيب ونعلقنا به نسب وكفى لي بذلك وأنا صغير
الاذن واذنك اذن أبي سهل وأنا دقيق الساق وعنقك عنق قاسم التمار
وأنا صغير الرأس ورأسك رأس جالوت وفيك أمران غريبان وشاهدان
بديعان جوار الكون والفساد عليك وتجاوز النقصان والزياده اياك
جوهرك فلكيّ وتركيبك أرضي فيك طول البقا وفيك دليل الفناء
فأنت عله للمتضاد وسبب للمتنافى وما ظنك بخلق لا نصره الا حاله ولا
نفسده النافص خلق فداك مالي منك الذهب واي بلاء دخل بك
على القمر كانا شيهان بطول العمر وبهجان بقاء الحسن وبان الدهر يحدث
لهما الجده اذا احدث لجميع الاشياء الحلوقه فلما أرى حسنك على حسنهما
وعمر طول عمرك أعمارهما دلا بعد العز وهانا بعد الكرامه و الى فيك
قول الا قول الاعرابي حين أضل الطريق في الظلمه فلما عرف قصده
عند طلوع القمر رفع رأسه شاكراً وهو يقول ما أقول أقول رفعك
الله وقد رفعك ام اقول جملك الله وقد جملك ام اقول عمرك الله وقد
عمرك ولكن أقول وهل أنطق ان نطقت الا رجيما وأقول اطلب الا
لغوا وقد زعم ناس ممن ينتحل الاعسار ويعاطى الحكمه واطلب أسرار
الامور انس شيء مما يساكن الانسان في منزله وربعه وفي داره و وضع
مملته الا والانسان يفضله في طول العمر وفي النماء على وجه الدهر

كالحمام والدجاج والسنانير والكلاب والبقر والغنم والحمير والجمل والجواميس والابل وزعموا ان أقصرها أعماراً العصافير وان أطولها أعماراً البغال وأن العلة فى طول بقاء البغل قلة السفاد وفى قصر عمر العصافير كثرة السفاد وأن مما يقضى بهذه العلة ويثبت هذه القضية مانعم الخصيان من طول العمر ونعم الفحولة من قصر العمر وما أرى حفظك الله بهذا القياس بأساً فى ظاهر الرأى وما أجده بعيدا فى أغلب الظن ولو كنت أملك ذلك علما واعلمه يقينا لكان أحب الامور الىّ ان يكون لى فيه سلف صدق وامام لا يغالط وان احكيه عن عدل وأسنده الى مقنع فقل نسمع وأيسر شىء يجدى جعلت فداك منك بعض الشهرة وذيك فى عيار الحشوية اسماء نفسك وصونا لصدرك وترفه بما أعطيت وثقة بالذى اوتيت وما أقل بحمد الله ماسبقك به الناس وما أيسر ما فاتك به آدم فزاد الله شاكرك نعمه وناصرك عزه وقد ذكرت الرواة فى المعمرين أشعارا وصنعت فى ذلك أخبارا ولم نجد على ذلك شهادة قاطعة ولا دلالة قائمة ولا نقدر على ردها بجواز معناها ولا على تثبيتها اذ لم نكن معها دليل يثبتها وقد نعرف ماقى الشك من الحيرة وماقى الحيرة من القلق وما فى القلق من النصب وماقى النصب من طول الفكرة وما فى طول الفكرة من الوحشة وما فى طول الوحشة من التعرض للوساوس والخفة وماقى اتعاب القلب واتصاء النفس من كلال الحد وما فى الالحاح من دواعى الضجر وما فى الجهل من النقص وما فى نزاع النفس من الكد وافسح لنفسك بابا تستريح اليه وأقم له علما تقف عنده فقد علمت ماذكروا من

عمر نابعه بى جعده ومالك ذى الرقيه ونصر بن دهمان وابن نقيله الغسانى والربيع بن ضبع ودويد بن نهد وأنت أبقاك الله تعرف ميلاد آبائهم وأجدادهم ووفاتهم وعمائرهم وأصولهم وأجداثهم (لحدتنى) أ كذبوا أم صدقوا أم اقتصدوا أم أسرفوا فأما ما رووا لاجسام الناس من الطول والعرض وسوا انهم من السمن والعظم والضخم سوى ماتطق به الكتاب عن أجسام عاد فالشاهد على كذبهم حاضر والدليل على فساد عقولهم ظاهر كالذى رأينا من أقدار سقوف الاشراف وأرجه رماح الفرسان وكسحان الملوك التى فى الكعبه وكعقى أبوابهم وقصر سمك عتب درجهم فى قصورهم العاديه ومدنهم القديمه ويدل على ذلك الخروق التى كانت مغارهم وأبواب مدافنهم فى بطون أرضهم وسعف حالهم و ظامرهم ومواضع فادبل كنائسهم ومجالسهم وسوف عاداتهم بلا عهم من ثم رؤوسهم ولو حصرنا من الشواهد على ما ادعوا من اعمارهم مثل الذى حصرنا من الشواهد على تكذيبهم فى طول قاماتهم اذا لما عبناك ولا اسدلناك وعلى انه لو كان الشأن فى طول قاماتهم وضخم أبدانهم بقادم ميلادهم وجدة قوة الارض قبل ان تخلق وشبابها قبل ان تهرم لكان سعى لمن كان قبلهم أن يكون اعظم منهم ولكان نقصان من بعدهم ممن يلى عصرهم ومن يلى أولئك على حساب ذلك (وحدثنى) أبقاك الله من كان بانى ريام ومن أنشأ كعبه نجران ومن صاحب غمدان ومن بانى تدمر ومن صاحب الهرمين ومبدكم نيسمارت وأين كان الابلق الفرد من المشقر وأين قصر الورهار من قصر سنداد ومن صاحب عقرقوف

ولم فصات حعلب فـداك لجمعه الانادنه على بت الحس ولان شرنه على شهي وللمحار على ان النطاح ولان الـكدس على ان لسان الحمـره وأن كاب الرباء من ملـكه سبا وأن حانون من نوران وأن حلندي ن اساد وأن مريم من امعي وان كان لمم ن لمان وأن كان كرز ن علقمه من محرز المدلجي وأن كان رافع المحس من دعـ مص الو ل (وحدثني) عن عطامه أقالم الحـراب وعن حـلاء سوى الحبوب ادلك قائم د دار الملك وكان النمو أو الدول سهما مقسومـه والايام علهما موقوفه ولم فدمت اقلم دوس لي اقام نا لى (وحدثنى) عن السهب أ يكون نهاراً أم يكون لىلا ولم فد ـب الروم في الصنعه على أهل الصين ولم فدمت بت على الرائح ولم فصلت السكون على الحـركه ولم حعلت الـكون فسادا والافتراق احتماعا قد وحدتك حعلت فداك حقب ان نكون ان صائد وزحوب ان يكون الدجال واملك دابه الارض وما أدرى لعلك سوى ولست بحمد الله الخضر والا ى لا أسـك قد أنك عمر المسيح وأطر روحك روح سمره بل روح لمعنوب بل روح دلالا وانك الاركون المـطر واحـمل لى مسئله واحده ولا أعود وسأحعلها طوله ولا أريد كم بن ود وسواع ويغوث ويعوق و بن ماه والعـزى والصعب وعائم و بن ماف ونهم وسعدونه وهب ومد كم ـكح أساف نائله ومد كم مسحا في الـكعبه (وحدثنى) عن برهوت وباهوت وعن الحانه وموضع الطاعه وعن سبب الصاعقـه ومن ألجى ذلك الى الرافضـه وما كان مال قارون وما كان كنز النطف ولمن كانت اللبهه ـا فرط مارنه و ا أصل مال ان

حدعان وكيف كان مسوره أمه (وحدثنى) عن ذلك المال الذى ن أحد
منه ندم ومن تركه ندم حطب فذاك قد شاهدت الاس قد حلفوا
ورأيت الحق قل أن يحصوا ووجدت الاسباء مسلك خالصه وممزوجه
واعفالا وموسوقة وسالمه ومدحوله فما يخفى عليك الحجه من الشبهه ولا
السقيم من الصحه ولا الممكن من الممتنع ولا المستعمل من المستهم ولا
النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامه النعمة من علامة
الرتبه وحتى صارت الاقسام عندك محصوره والحدود محفوظه والطبقات
معلومه والدنيا بحذافيرها مصوره ووجدت السبب كما وجدت المسبب
وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت العلل وهى تولد
والاسباب وهى تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقه من التمويه
فما يقول فى الرأى وما يقول فى الرؤيا وما يقول فى اكسير الكيمياء وما
يقول فى كموس الصنعه وما يقول فى الزجر وما يقول فى الفراسه وما
يقول فى الفأل وما يقول فى الطيره وما يقول فى عمت الطلم وما يقول في
معنى البركه وما يقول فى النجوم وما يقول فى الخذلان وما يقول فى
أسرار الكتب وما يقول فى النظر فى الاكتاف وما يقول فى قرص
الفأره وما يقول فى الخاج الحمسا وما يقول فى دوائر الرأس وفى اوضاح
الخيل وفى الشمس والسؤر وفى الديك الافرق والسنور الاسود وفى القول فى
النفوس (١) وفى الاطلاع فى عادى الآثار وفى النوم بين الناس وما يقول

(١) ا مو مصحف ترب فى الارض كـ لا مخرج من وضع آخر ؟ ه مصححه

في التمه وفى الرتمه[1] وفى تعليق كعب الارنب وفى حلى السليم وفى الدلانا والولانا وما سول فى الهامّ والاستمطار بالسلع والعشر وما سول فى سق البرقع وفى حذر الرداء وفى كى الصحيح عن ذى العر وفى فقوء العين للسواف وفى برع المسر للعاره وما سول فى الآمر والناهى والمتربص وفى النطيح والقعيد والسانح والبارح وماسول فى وطى المقلات للمبلى وفى دماء الملوك للكلبى وما سول فى صرع الشيطان وفى تلون الغيلان وفى عزيف الجان وفى ظهور الهار وفى طاعنهم للرائم وفى رئىّ المأمور الحارثىّ وعبد الله بن الحارث اليربوعى وما فصل ما بين العراف والكاهن والحازى والمسوع وما سول فى تحول ابليس فى صوره سراقه المدلجى وفى صوره الشيخ النجدى (وحرنى) عن شقاق وشقشان وعن سملقه ورونعه وعن المذهب والسعلاه وعن بركو بر ودركاداب وأين كان سحل سطان الاعشى بن عمرو سطان المخبل فقد والله عافانا الله نك واسلى وأنعم نك وانعم فدحا لمن زهد فيك وسقيا لمن رغب الدك وويل لمن جهل فضلك بل الويل لمن انكر فضلك انك جعلت فداك كما لم تكن فكنت كذا لا تكون بعد أن كنت وكما زدت فى الدهر الطويل فكذا تنقص فى الدهر الطويل اذ كل طويل فهو قصير وكل ساه فهو

(١) الرتم تجمع على رتائم ورتام والرتم محركه نبات كان من رقبه شبه بالرتم زهر كالخيرى بر كالعدس وكلاهما شئ هو ولامانع اخر ذكرهافي القاموس الى ان قال وكان بن اراد سفرا تعمد الى شجر تعقد غصنين منها فان رجع وكانا على حالهما قال اهله لم تخنه ولا وحد حانه وذلك الرتم والرتيمه اه باختصار كتبه مصححه

فليل فاباك أن نطن أنك قدم فسكمر وإياك أن نكر انك محدث فسرك فان السلطان فى ملك أطاعا لا نصبها فى سواك ونجد فك عالا لا تجدها فى غيرك ولسب حساب فداك كالناس وقد بعدم الخبر فى بيانه الى انقضاء أمر العالم وفنائه ولولا الخبر لما قدمه علىك ولا ساوسه بك وأسباحق من عدر واول من سبر ولو ظهر لى لما سأله كسؤالى اياك ولما باطله الكلام كما باطلى لك وان كان فى الحادث مثلك فهو فى النصيحه على خلافك ولأنك ان سمعت شيئاً من طريق الأدب او النعوم وهو ان منع سع بالغيب والارصاد وأب على حال سكان ونحن نرجع الى اصل ونلتقى الى أب ونجمع نسا دين (وخبرنى) عن السى وعن وافواق وعن النسناس وعن دوالناى وعن الكركدن وعن عنقاء مغرب وعن الكبريت الاحمر وعن نور الله فى الارض (وحدثنى) عن سعف رضوى وعن حبال حسمى و ى برى الما الاسود والحو الا كلف والطير الازرق وكيف دلك النمر وهل نطأ دلك الاسد وهل باص الحماس وهل آنسب الحبارى و ى علم ماى الحمر ونحكم ياى الزر وما فعل نحل ونار ود ءاح ابى المرقال و ا الحجه فى الرجعه والقول فى الا اسحه و ن أين قلم بالبداء و ن أين جعلتم الا لم فعلا والزياده فلنا وما القول فى النفس (وخبرنى) ما السحر و ا الطلسم وما الدهس وما الخاطر وما المشكل وما الطوالق ر ا فوائهم فى الا ان الذكر وفى مراعاه المسرى ولم يوحشوا ن الناس ولم يأتوا بالبراح وأقاموا وابالخراب راعيلوا بالماءالقراح ولم قدموا التصديق وأخروا الصبره ولم أحابوا أكرموا ولم منعوا وقلوا

(وحدثني) من خالق العرانيص وقاتل سعد يوم الغميصاء ومن الذي استهوى عمرو بن عدي ومن صاحب عمارة بن الوليد ومن يصرع بهم الاصحاء ومن يرئ المردي ويستهوي العقلاء وعن فصل ما بين السلطان والجن وما بين الجن والحن ومن طعامه الجدف [1] (وحدثني) عن أسمار الهاتف وما يسمع بالليل من حوائن الاحجار (وحدثني) عن النمري صاحب الورقة وعن تميم الداري صاحب الردم (وحدثني) عن سعلوق وعن اهرمن وعن كان وكان ومره واندوش وافردس وابرسارس وابرنارس وجوهرت لم وكيف صارت جوهرت هذه أعمر العوالم وأيما أكثر أخوج أم ما أخوج وأيما أقصر وأيما أطول اعماراً وأيما أفضل مسكر أو سكير وأيما أحب هاروت أم ماروت وأي حوت ابتلع يونس وأي حية ابتلعت المهلب و من أي جنة كانت سفينة نوح ولم لا يخرج الحمص ولم طوق الحمامة وما فرق ما بين الطاس والكاس و ما كان سبب اتخاذ الانية و ما سبب صنعة الزجاج وما قصة الرجام أكيمياء أو مخلوق ولم امتنع عمل الذهب والزجاج أعجب منه و من صاحب المنا ويودس الحجارة و من صاحب اللطيف ومن صاحب اليوسادر و ما يقول في السين وما فرانق الاسد وما صداقة ما بين الخنساء والعقرب وما بال السواد يصبغ ولا يصبغ

---

(١) الجدف مالا يغطى من الشراب وهو في حديث عمر رضي الله عنه حين سأل المفقود الذي استهوته الجن ما كان طعامهم فقال الفول وما لم يذكر اسم الله عليه وما كان شرابهم فقال الجدف و قيل هو نبات يكون باليمن لا يحتاج الذي يأكله ان يشرب عليه الماء اه كتبه مصححه

وما بال الناس يصبغ ولا يصبغ ومن صاحب الاصطرلاب ومن صاحب
القرسطون ولم اسألك عن الحداد وانما سألتك عن الفيلسوف وعن علته
فى المد والجزر (وجزرتى) عن جواهر الارض وعن جمع القار أشئ
مفروغ من خلقه أم أرض تستحيل اليه ولم عمل بعض السم فى العصب
وبعضه فى الدم وبعضه فيهما جميعا ولم كان بعضه سم بخار وبعضه سم جهار
ولم صار لا يقبل مع العادة وقيل فبل العادة الا أن الطبائع تنكر الشئ
الغريب أم لانه ضد فى نفسه وكيف صار ع ريق الافعى ريق بعض
الناس فى القتل وفى أيهما سم ولم خالف الناس فى العصب والدم ولم
يقبل العقرب انسانا ويقتله آخر ولم صارت الافعى فاتلة وأكلها الصافد
ولا يضرها وأكلها الاروى فلا يتأذى بها ولم صارت الهندبة يقتل كل
شئ ولا يقتلها شئ ولا يسمرها شئ ولم خالف البسل جميع الادوية فى
النقصان والزيادة ولم يلعب جرسه السمال ولم صار افضاه كادباه ومن
يدال منه ومن يحوله الامام وقد علمت حملت فذلك أن الخبر اذا صح
أصله وكان للناس عليه فى نشره كان فى الدلالة على الحق كالعيان وفى
السماء كالسماع على أن الخبر لا يعرف به مكيف الا ور اكن نعرف به
جمل الاشيا الا خبرك فانك لا تحتاج الى اشارة ولا الى اعادة ولا الى
تفسير حتى تقوم خبرك فى السما وفى كمه النبى مام العيان وقد كنت
أتعجب من محمد بن عبد الملك وأقول ما يقولون فى رجل لم يقل قط بعد
انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو كنت قلت كذا كان أفضل لو كنت
لم أقل كذا كان أمثل فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من

أفصى فكر بكم فلما رأيتك علمت أنك عدات صه الله على كل رفيع ورحمه
انسأها لكل وصع (تحبرنى) ما حرى بيك وبن هرمس فى طبعه
الفلك وعن سماعك من أفلاطون وما دار فى ذلك سك وارسطوطاليس
وأى نوع اعتمدت وأى ئ احترت فقد أب نفسى عرك وأب أن
نسى الا تخبرك ولولا انى ا كلف بروانه الاقاويل وأعرم بمعرفه
الاخلاف ولا أستحر مسألتك عن كل سئ واسدالك فى كل أمر
لما سمعت من أحد سواك ولما انقطعت الى أحد عرك (واعلم) حعلت
فداك انى لم أرد بمزاحك الا صحك سك ولا كان عابتى فلك الا
لأ مق عندك وقد كنت حفت ألا أكون وقفت على حده وأسقمت
من المحاوره لقدره والمزاح باب لبس المخوف فيه التقصير ولا تكون الخطأ
فيه من جهة النقصان وهو باب فى فتحه فائح وطرق له مطرق لم يملك
ن سده مثل الذى يملك ن فتحه ولا يخرج منه بقدر ما كان قدم فى
نفسه لانه باب أصل بنائه على الخطاء ولا يخالطه من الاخلاق الا
ماسخف و ن سأنه التزيد وأن تكون صاحبه مثل التخمط ولم ر سيئاً
أبعد ن سئ ولا أطول له صحبه ولا أشد خلافا ولا أكبر حلطا من
الجد والمزاح والمناظره والمراء قال القعقاع بن سور لبس لمزّاح مروءه
ولا لمار حله وقال معاويه المزاح هو السباب[1] الأصغر وقال الحسن بن
حى المزاح استدراج من الشيطان واختداع من الهوى وعاب عمر

---

(١) السبار بالفتح افتح العيب والعار والامر المشهور بالسمعه وسر عامه تسيراً
عابه والسير ككتف السيئ الخلق والكسر الشر والعبوب كتبه مصححه

د ص العطاء فقال داك رحل فه دعابه وقال الساعر

* وحد القول ىقدمه المزاح *

وقال الآحر

رب كبير ساقه صغير

وقال الآحر

رب حد ساقه اللعب

فان كنت لم أقصر عن الغابه ولم اتجاوز حد النهايه فما أعرف من عنى بكمالك ومن تركه مكاتبك و ن حسن توقيعك وجوده ىقسمك وان كنت قد اخطأت الطريق وجاوزت حد المقدار فما كان ذلك عن جهل فضلك ولا انكار لحقك ولكن حدود الاشياء اذا خفيت و مقاديرها اذا اشكلت ولم تكن مع الناظر فيها ـل ىمامك ولا مع المتكلف لها مثل كمالك دخل عليه من الخلل ىقدر عجزه وىسلم منه ىقدر ىعاده نعم ولو كان من العلماء الموصوفين والادباء المذكورين ومن المزاح جعلت فداك باب مكر وحسن حدع ىىكل المرء فى اساءته الى جلىسه وإسماعه لصدىقه على أن ىقول مرحب وعلى أن ىقول عند المحاكمه امىت وعلى أن ىقول ن ىعصب ن المزاح الاكر الحلق و ن يرغب عن المفاكهه الا ضيق العطن ولعمرى اعذب النفس عذراً كان الى الفسح أسرع ومتى لم ىعد كان عنه أبطأ و ن اسباب الغلط فيه و ن دواعى الخطا انه أن كثيراً ممن ىمازحه ىضحك وان كىت قد أعصبته ولا ىقطع مزاحك وان كنت قد اوجعته وان حمد فى الحمد

الداء وان عجل فذلك البلاء وان قلت فما أدخلك في شئ هذا سبيله وهكذا جوهره وطريقه قلت لأبي حيان أمست عقاب الاساءه ووجب ثواب الاحسان وعلمت أنه نقص الا على العهد ولا نعدب الا على القصد صار الا ن سائما والامل فاسداً وأي عمل أردت وأي متجر أربح مما جمع السلامه والغنيمه والا ن والمثوبه ولو كان هذا دينا لكنت شريكي فيه ولو كان تقصيراً لكنت سببي اليه لان دوام التغافل سببه بالاهمال وترك التعريف يورث الاعمال والعفو المتتابع والستر الدائم يؤمنان من المكافأه ويذهبان بالتحفظ ولذلك قال عتبه بن حفص لعثمان ابن عثمان رضي الله عنه كان خيراً لي لو كنت أرهبني فأمنتني وأعطاني فأعطاني وان كنت اجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا بك وان كنت اخطأت فلم أخطئ بذلك الا لك لان حسن الظن بك والثقة بعفوك سبب الى قلة التحفظ وداعيه الى ترك الحزم وبعد فمن وهب الكثير فكيف يقف عند الصغير ومن لم يزل يعفو العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدري هو الذي عظم ذنبي لكان عظم قدري هو الذي شفع لي ولو استحققت عقابك بافدامي عليك مع حرمتي لك استوجبت عفوك عن اقدامي عليك لحسن ظني بك على اني لو أوجبت لك العفو فقد أوجبت لك الفضل ولو اصبت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف ولا أعلم حال الفضل الا أشرف من حال العدل والحال التي توجب لك الشكر الا أرفع من الحال التي توجب لك الصبر وان كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه لأياديك عندي فان النعمه تشفع

فى النعمه فان لم نعمل ذلك للحر نه فافعله لحسن الاحدوثه وان لم تفعل
ذلك لحسن الاحدوثه فعد الى حسن العاده وان لم تفعله لحسن العاده
فأت ما أنت أهله واعلم انى واياك منى تحاكمنا الى كرمك قضى لى
عليك ومتى ارجعنا الى عقلك حسن العفو عن عبدك وفضل ما بينا
وبينك وفرق مابين تدبرنا وقدرك انا نسىء ونعمر ونذنب وننسى
ونعوج ونهوم ونجهل ونحكم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن
صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف فاذا قلب ا نقدر عليه من
العقاب كتب كمن فعل ما نقدر عليه من العرض وصرف نوعى عن
الشكر كما رغبنا عن التسلم وصار العرض لعفوك بالامل باطلا والعرض
لعمائك بالخوف حقا ورعب عن النبل والبهاء وعن السودد والسناء
وصرت كمن نسى عنطا أو نداوى حقداً أو نظهر القدره أو تحب أن
تذكر بالصوله ولم تجدهم أعانك الله تحمدون القدره الا عند استعمالها
فى الخير ولا تذ ون العجز الا ما تفوت به من اسباب الجميل واني لك
بالعقاب وأنت حسير كلالك و ن ان اعترالك الام واسا امحب الجود
لاهله وهل عندك الاما فى طبعك وكيف لك بخلاف عادتك ولم تسكره
نفسك على المكافأه وطباعك الصفح ولم تكدها بالمنافسه ومذهبها
المسامحه وسبحان من جعل أخلاقك وفق اعرافك وقولك وفق عملك
ومن جعل طبك اكبر من هدنا وفراستك اثبت من عياننا وعفوك
ارجح من جهدنا وبداهتك اجود من تفكرنا وفعلك أرفع من وصفنا
وعبدك أهيب من حضور الساده وغيبك أسد من عتاب الظلمه وسبحان

من حملك نعفو عن المعمد وسحاق عن عقاب المصر وسعافل عن المادئ
وتصفح عن المهاون حتى اذا صرت الى ن دنه نسان ونونه احلاص
وهفونه نكر وسمعه حرمة و ن لا نعرف السكر الا لك والانعام الا
منك ولا العلم الا من نأدنك ولا الاحلاق الا ن نقونك ومن لم
تقصر فى نعض طاعتك الا لما رأى ن احمالك ولا ندى نعض ما تحب
لك الا لما داخله ن تعظمك صرب سوعد بالصرم وهو دلىل كل ىلىه
ونستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكه وقد علمت ان عقابك أسد ن
الصرىمة وأن تأدنك أغلظ ن العقوبه وان عفك اذا منعت فى ورن
اعطائك اذا أعطيت وأن عقابك على حسب نوالك وان حرعى من
حرمانك فى ورن سرورى نفوائدك وأن سين عصك كرين رصاك وأن
موت ذكرى بانقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى لك
وما لى اليوم عمل أنا اليه أسكن ولا سفيع انا به أوثق من سده حرعى
من عتبك وافراط هلعى ن حوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومن
بالعفو لم نكن اصابته منه الا السلامة والا النجاة ن الهلكة بل تسفع
ذلك بالمراتب الرفيعه والعطايا الجزله والعز فى العسيره والهيبه فى الخاصه
والعامه مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكرى القد
والخرط والطول والعرض وما اشبه ذلك فى ذلك ن التساجر والتنازع
والتحاكم والتنافر فان الكلام قد يكون فى لفظ الجد ومعناه معنى الهزل
كما يكون فى لفظ الهزل ومعناه معنى الجد ولو استعمل الناس الدعابه فى
كل حال والجد فى كل مقال وتركوا التسمح والتسهيل وعقدوا أعناقهم

فى كل دمق وحلسل لكان السمه صراحا حـرا لهم والباطل محصا أردّ
عليهم ولـكن اـكل ىٔ قدر واـكل حال سـكان فالصحك فى وصعه
كالسكا فى موصعه والىسم فى موصعه كالعطـوب فى وصعه وكذلك
المىع والبدل والعماب والعفو وجميع القبض والبسط فان دمما المراح فقه
لعمرى ما ىدم وان حمدناه فقه ماىحمد وفصل ما بينه و بين الجد ان الخطأ
الى المراح اسرع وحاله بحال السخف أشبه فاما ان ىدم حى ىكون كالظلم
وسى حى لصىر كالعدر فلا لان المراح مما ىكون مره قبيحا ومرة حسىا
والظلم لا ىكون مره قبيحا ومره حسىا فاذا ملىا الى الجد ورعىا عن الهزل
وىركىا المزح وحاسىا للحكمه فقد أعاىك الله عن الحجه كما سلمك من الشبهه
ولم ىكلفك الاحىجاج كما رعب بك عن الاعىلال فأصبحب لا محىجا ولا
محجوجاً ولا عىلا ولا وسوءاً ولا لىوماً ولا معدوراً ولا ولك احلاف
ولا بك حاجه الى أسلاف ولىس ع العىان وحسه ولا ع الصروره
وجمه[1] ولا درن الىعس وعه وهل فى عامك رىب حى ىعالج بالحجه وهل
رد فصلك جاحـد حى ىىاس بالىاه وهـل لك خصم فى العـلم أو ىد فى
الفهم أو محار فى الحكم اوصد فى الىسرم وهل ىدامك الحسد أو ىصرك
العىن وىسموا اليك الىى أو ىطمع فيك طامع أو ىعاطى سأوك باع وهل
ىطمع فاصل ان ىفوتك أو ىىمى سرىف ان ىقصر دونك أو ىحسع عالم
أن ىاحذعنك وهل عاىه الجمال الا وصفك وهل رىن البلىع الا ىدحك وهل
ىأمل السرىف الا اصطىاعك وهل ىقدر الملهوف الا عىاىك وهل للطول

---

(١) (الوحمه) قال فى القاموس الوجمه بالسكون الاكله الواحده والىحرىك السىه

عرص سواكـ وهل للعوانى مىل عىرك وهل للماىح[1] رحرالا فىك وهل
يحدو الحادى الا ىد كرك فلولا أن ىأحد الواصف ىصىىه مىك ويحصىه
من الصدو وىسهمه من السكر لـكان الاطىاب ءىدهم فى وصفـك لعواً
وكان ىصىو الـكلام عحراً ولـكان ىـكلمه فصلا ومن هدا الدى ىصىعه أن
ىكون درىك ويعىحن ىالىسلىم لكأو ىعد اقراره احساىا وحصوعه انصافا
وهل ىقع الاىصار الا علىك وهل ىعرف الاساره الا اللىك أمن السامه
لك فى مىرلىك السىـ حلف الاحـار وىىىه الا ىرار وأى أمرك لىس
ىعاىه وأى سى مىك لىس فى النهاىه وهل فىك ىىء ىهوو سىئاً أو ىهوىه شىء
أو ىىال لولم ىكن كدا لـكان أحسن ولو كان كدا لـكان أىم وأىن الحسن
الحالص والحمال الفائى والملىح المحص والحلاوه التى لا ىسىحىـل والىمام
الدى لا ىحل الا فىك أو عىدك أو لك أو معك حالصه لك ومقصوره
علىك لا ىلىق الا ىك ولا ىحسن الافىك فلك مىه الـكل وللىاس النعص
ولك الصافى وللىاس المسوىـ هدا سوى الغرىـ الدى لا ىعرفه والىدىع
الدى لا ىىلغه لا ىل أىن الحسن المصمىـ والحمال المفرد والقد المحىـ
والـكمال الغرىـ والملىح المىور والفصل المىهور الا لك وفىك وهل على
طهرها حمىل حسىـ أو عالم أدىـ الا وطىلك أ كىر من ىحصه وطىلك
أ كىر من علمه وأسمك أفصل من معناه وحلمك اىىـ من يحواه
وصمىك أفصىل من فحواه وهـل فى الارص حلم سواك وهـل

---

(١) المىح الاسىـقا وهو مصـدر ىحىـ الدلو ىن ىاىـ ىفع اذا اىـ حرحها والفاعل ماىح و وح اه كىىه مصححه

أطلب الحصراء دا لهجه أصدق لك وهل حملت النساء أحمل منك
ولربما رأيت الرجل حسنا جملا وحلوا لمحا وعتقا رسما وجهما نبلا ثم
لا تكون موزون الاعضاء ولا مقدود الاجزاء وقد تكون أيضاً الاقدار
متساوية وغير متفاوتة ولا متقاربة وتكون قصداً ومقداراً عدلاً وان كانت
دقائق خفية لا يراها الا الالمعي ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكي فاما
الوزن المحض والتعديل المصحح والتركيب الذي لا يفضحه الفرس ولا
يحصره التعب ولا ينال حادثه ولا يطمع في التمويه باعثه فهو الذي
خصصت به دون الانام ودام لك على الانام وكذا الحسن اذا كان حراً
مرسلا وعتقاً طبعاً لا يحكم عليه الدهر ولا يدلله الزمان ولا يحتاج الى
تعليق التمائم ولا الى الصون والكن ولا الى التنافس والتكحل ولو لم
يكن لحسن وجهك الا أنه قد سهل في العيون سهلا وحبب الى القلوب
تحببا وقرب الى النفوس تقربا حتى امتزج الارواح وخالط الدماء وجرى
في العروق ومشى في العظم بحيث لا تبلغه النسم ولا الوهم ولا السرور الشديد
ولا الشراب الرقيق لكان في ذلك المزية الظاهرة والفضيلة البينة ولو لم
يكن لك الا انا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو
أحسن من القمر وأضوء من الشمس وأبهى من الغيث ولهو أحسن من
يوم الحلبة وانا لا نستطيع أن نقول في التفاريق كان عينه أربى فصه وكان
قدمه لسان حيه وكان عنقه ماويه وكان بطنه قبطية وكان ساقه بردية وكان
انامله ورقه وكان أنفه حد سيف وكان حاجبه خط قلم وكان لونه الذهب
وكان عوارضه البرد وكان فاه خاتم وكان جبينه هلالي ولهو اطهر من الما

وأرق طباعا من الهوى ولهو أمضى من النسل وأهدى من النجم لـكان في ذلك من البرهان النير والدليل البين وكيف لا تكون كذلك وأنت الغاية في كل فضل والنهاية في كل شكل وأما قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا * اذا ما زدته نظرا

وقول الدمشقيين ما تأملنا قط بألف مسجدنا ويركب محرابا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التفرس غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وماندرى أجواهر مقطعاته أكرم في الجواهر أم جواهر تنضيد أجزائه في تنضيد الاجزاء فانما ذلك معنى مسروق مني في وصفك و اجود من كثير في مدحك والجملة التي تنفي الجدال وتقطع القيل والقال اني لم أرك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت أجمل الناس في عقب رؤيتك الا ذكرت النار والعجب أيها السامع أني مقصر واذا رأيته علمت اني فيما يجب له مفرط وهو رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشؤه محمود غذى بالنعمة وعاش في الغبطة وأرهفه التأدب وألطفه طول التفكر وخامره الادب وجرى فيه ماء الحياء وأحكمته التجارب وعرف العواقب فأفعاله كأخلاقه وأخلاقه كأعراقه وعادته كطبيعته وآخره كأوله تحكي اختياراته التوفيق ومذاهبه التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التجور ويسأل عن ترك الانصاف ولا يمتنع عليه معرفة المبهم ولا يتلجلج[1] باستنباطه المشكل سحر من الالفاظ أرقها

---

(١) (قوله ولا يتلجلج الخ) اى لا يحتاج الى استنباط الأمور المشكلة الى أحد اه كتبه مصححه

مجرحا ومن المعاني أدمها مسلكا وأحسبها قولا وأجودها وقوعا وأعمها
اطاعا أقوى الكلام وأوجزه وأعدله وأحسنه هلل عدد حروفه ويكثر
عدد معانيه ومن الفعل بعد ذلك أكمله مخصما اذا أمل هساه واذا أدبر
اعساه مع تمكنه وعمله وسعه صدره وبعد ولا نعرف الشك الا في عتره
ولا الغي الا سماعا فمن نطمع في عسك بل من نطمع في فدرك وكيف وقد
أصبحت وما على ظهرها جود الا وهي تعتز باسمك ولا قسه الا وهي تبني
عدحك ولا فاه الا وهي تسكو سارح حبك ولا محجوبه الا وهي سمت
الحروف لمرك ولا عجوز الا وهي تدعو لك ولا عوز الا وقد سبي بك فكم
من كبد حرى مصدعه ومصدوعه مرنه وكم حسا خافق وقلب هائم وكم
عين ساهره وأخرى جاهده واحرى باكيه وكم عبرى ولهه وقتاة معدبه
قد أفرح قلبها الحزن واجهد عينها الكمد قد استبدلت بالحلى العطله وبالانس
الوحشه وبالكحل المزه فاصبحت والهه مبهوته وهائمه مجهوده تعد طرف
باصبع وسن ضاحك وغنج ساحر وبعد أن كانت نارا سوقد وسعله سوهج
وليس حسبك انك الله الذي سي مه بونه أو نصبح مه عمده أو بدوم
معه عهدا أو سب معه عزم أو عهل صاحبه الباس او تسع للحجر أو سهمه
رجر أو سهدده حوف هو أعرك الله سيء سمص العاده وسسح المه وتعجل
عن الرويه وتطرح بالعزى وتسي معه المواقف ولو أدركت ابن الخطاب
اصبع بك أعظم مما اصبع بنصر بن الحجاج ولركبك أعظم مما ركب به جعده
السلمي بل لدعاه السدول بك الى ترك الساعل بهما والعطف عليك الى الرحمه
لهما فمن كان عيب حسنه الافراط والطعن عليه من جهه الزياده كيف برومه

عا ل أو سمصه عالم فلا نعحب ان كسب بهانه الهمه وعانه الا مسه فان
حسن الوحه اذا وافق حسن القوام وحوده الرأى وكبره العلم وسعه
الحلق والمغرس الطب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان البين
والنعمه البهحه والمحرج السهل والحدث الموبق مع الاشاره الحسنه والسل
فى الحلسه والحركه الرسمه واللهحه المصحه والتمهل فى المحاوره والهدعند
المنافله والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحدوف
والايحار يوم الايحار والاطناب يوم الاطناب نل الحر ونصب الفصل
وبلغ بالعفو مااقصر عنه الجهد كان أكبر لتضاعف الحسن وأحق بالكمال
والحمد والتاج بهى وهو على رأس الملك ابهى والياقوت كريم حسن وهو
على حد المراه الحسناء أحسن والشعر الفاخر حسن وهو من فم وان كان
ول الناسد فرنصه ن يحنه وتحسره قصد المع الغانه وقام على النهانه وما
ندرى فى أى الحالين اب أجمل وفى أى المنزلين اب ا كمل اذا فرقا
أو اذا جمعناك واذا ذكرنا كلك أو اذا نا لنا دصك فاما كتبك فهى الا لم
تحلو الا لا مسل والتوقيع وهى التى تحسن تحسينها كل ما اتصل بها وبحال
بها كل ما صار فيها كما أصبحنا وما ندرى الكأس فى ندك أحسن أم العلم
أم الرمح الذى تحمله أم المخصره أم العنان الذى تمسكه أو السوط الذى
تعلقه وكما أصبحنا وما ندرى اى الاثور المتصله برأسك أحسن وأيها أجمل
وأسكل اللمه ام محط اللحيه أم الاكليل ام العصابه أم التاج أم العمامه
أم القناع أم القلنسوه فأما قدمك فهى التى تعلم الجاهل كما تعلم العالم وتعلم
العبد الاقصى كما تعلم القريب الادنى انها لم تحلق الا لمنبر نعر عظيم أو

ركاب طرف كريم وأما فوقك فهو الذى لا ندرى أى الذى سموه به أحسن وأى الذى سدو منه احمل الحدب أم السعر أم الاحجاح أم الامر والهى أم العلم والوصف وعلى أنا ما ندرى أى ألسنتك أبلغ وأى سانك أسوى افامك ام حطك أم لفطك أم اساريك أم عمدك وهل السان الا امط أو حط أو اساره أو عمد وأنت فى دلك فوقهم والحمد لله وواحدهم واعدك بالله وأنت محور الغايه وبهوى النهايه وقد علمنا ان القمر هو الذى يضرب به الامثال وبسبه به اهل الجمال وهو مع دلك سدو صئيلا نصواً أو موحاسحاً (١) وانت أبداً قمر بدر نجم عمر ثم مع دلك يحترق فى السرار ويساءم به فى المحاق ويكون نحساً كما يكون سعداً ويكون نقصا كما يكون صراً ويمرض الكتان ويسحب الالوان ويحم فيه اللحم وأنت دائم التمام ظاهر السعاده تام الكمال شائع النفع يكسو من أعراه ويكسى من أسحفه وعلى انه قد محق حسنه المحق وسانه الكلف والناس ندى بوقد واسعال ولا حالص الساص ولا ملألئ ودلوه برد ويكسوه ظل الارض ثم لا نعرنه دلك الا عند كماله والمحره واحتفاله وكبيراً ما تعتريه الصغار من نجار البحار وانت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر بارى التوقد هوائى الذهن درى اللون روحانى البدن وان احتجوا عليك بالحرر والمد احتججت عليهم بالعلم والحلم وأن طاعتك احسار واعسار وطاعته طباع واصطرار وبان له سيره

(١) قال فى القاموس السحب الذى فى الصامر لا هزالا والسحب ككتب وكريم العام الساطع والسحب الابلغ اه باختصار

قد قصر علها ومارل لامحاورها لاعكنه الدواب ولس فى قواه فصل
للصرف وعلى أن صاءه مسعار من السمس وصاؤك عاربة عىد جمع
الحلو فكم ىںں المعر والمسعر والمس والمحير وبين العالم ومن لا حس
فه ولا رالت الارص ىك مسرفه والدىا عموره ومحالس الحر ٠أهوله
وىسم الهواء طىا وىراب الارص عىفا ان ىىىاب ٠الرشافه والملح وان
ىسكت ٠الرهاىه والاحلاص وان ورىت فهلان دو الهصاب ما
ىحلحل وطاعىك ححلب قداك طاع الحمر الا أىك حلال كىلك
وحوهرك حوهر الدهب الا أىك روح كما أىب وقد حوىب حصال
الىاقوت الا ما رادك الله علىه واحدىب حصال المسرى الا ما فصلك الله
ىه وحمعب حلال الدر الا ما حصصب ىه دوىه فلك ىن كل ىئ صفوىه
ولىاىه وسرفه وبهاؤه وهل ىصر القمر ىىاح الكلب وهل ىرعرع النحله
سقوط البعوضه عليها فأما القول فى المراح فقد ىىى ا كىره و ىى أوله
وقد دهب الناس فى المراح الى عاىں ىصاده وسلكوا مىه فى طرق
محىلفه ورعم ىعصهم ان جمع المراح حىر ىں حمع الحد ورعم آحرون ان
الحىر والسر عاىما ٠مقسوماں وان الحمد والىىم ىىهما ىصفان وسأىى على
حمل هده الاقاويل ىم ىدكر ما ىقول ان ساء الله فأما المحامى على الهرل
والمفصل للمرح فانه قال أول ما أدكر من حصال الهرل ومن فصائل
المرح انه دليل على حسن الحال وفراع البال وأن الحد لا ىكون الا من
فصل حاحه والمرح لا ىكون الا من فصل عىى وأن الحد عصب والمرح
حمام والحد ممعصه والمرح محىه وصاحب الحد فى ىلاء ما كان فىه وصاحب

المزح فى رخاء الى أن يخرج منه والجد مؤلم وربما عرّضك لأشد منه
والمزح لذّ وربما عرضك لألذّ منه فقد شاركه فى التعريض للخير والشر
وبانه يتعجل الخير دون الشر وانما تساغل الناس ليفرغوا وجدّوا ليهزلوا
كما تذللوا ليعزوا وكدوا ليستريحوا وان كان المزاح انما صار معيبا والهزل
مذموما لان صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة القدر ومخاطراً بمودة
الصديق فالجد داعية الى الافراط كما أن المزاح داعية الى مجاوزة القدر
والتجاوز للحق قاطع بين القرينين فى جميع النوعين فقد ساواه المزاح
فيما هو له وباينه فيما ليس له وان كان المزح قبيحا لانه يورث الجد فأقبح
من المزح ما صير المزح قبيحا واذا صار المزح قبيحا لان الذى يكون
بعده الجد ولم يصر الجد قبيحا لان الذى بعده المزح كان الجد فى هذا الوزن
أقبح من المزح وكان المزح على هذا التقدير أحسن من الجد لان ماجعل
الشى قبيحا أقبح من الشى كما أن ماجعل الشىء حسنا أحسن من الشىء
وأما الذى عدل بينهما فانه زعم أن المزح فى موضعه كالجد فى موضعه كما
ان المنع فى حقه كالبذل فى حقه قال ولكل شىء موضع وليس شىء
يصلح فى كل موضع وقد قسم الله الخيرة على المعدلة واجرى جميع الامور
الى غاية المصلحة وقسط اجزاء المثوبة على العزيمة والرخصة وعلى الاعلان
والتقية فأمر بالمداراة كما أمر بالمناداة وجوز المعاريض كما أمر بالافصاح
ووسع فى المباح كما شدد فى المفروض وجعل المباح جماما للقلوب وراحة
للأبدان وعونا على معاودة الاعمال فصار الاطلاق كالحظر والصبر
كالشكر وليس للانسان من الخيرة فى الذكر شىء الا وله فى النسيان

مله ولا فى القطيعه شئ الا وله فى الفعله مثله ولا فى السراء شئ الا وله فى الضراء مثله ولولم يرزق الله العباد الا بالصواب محضاً وبالصدق صرفاً وعزّ الحق صفحا لهلك العوام واستحص أمر الخواص ولو ذكر الانسان كل ما انسه لسقى ولو جد فى كل شئ لاستكت وقد يكون الذكر للهلكه سلما كما يكون النسيان للسلامه سببا وسبيل المزاح والجد كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك يجرى جميع القصص والبسط فهذا وما قبله جمل اقاويل القوم ونحن نعوذ بالله أن نجعل المزح فى الجمله كالجد فى الجمله بل نزعم أن بعض المزح خير من بعض الجد وعامه الجد خير من عامه المزح والحق أن نصحح عن بعض المزح ونحتج لجمهور الجد وكيف انا نذم جميع المزح مع ما نحن ذاكرون (قال الشاعر)

* وذو باطل ان شئت ألهاك باطله *

وقال آخر

أخو الجد ان جددتها من شره * لديه وان تهزل تعاللك باطلهُ

وان كانوا قد تسموا بعابس وعباس وشتيم وكالح وقاطب وحرب ومره وصخر وحنظله وحزن وحجر وفردوحرير فقدتسموا بالضحاك والطال وبسام وهزال وبسيط وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقال كان فيه مزاح وكذلك لا يقال مزّاح وكذلك الائمه ومن هزل فى بعض الحالات من أهل الحلم والوقار فما روى عنه صلى الله عليه وسلم قوله يابا عمير ما فعل النغير وقوله لا يدخل الجنه عجوز وقوله رجل الذى فى عينه بياض وقد كان على رضى الله عنه يمزح وقال عمر انا اذا

حلونا كما كأحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وقد كان زياد مع كلوحه وقطوبه يمازح أهله فى الخلا كما يجد فى الملأ وكان الحجاج مع عتوه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائل أيمازح الامير أهله فقال والله ان يروني الا شيطانا والله لربما رأيتني وانا أقبل رجل احداهن وبعد ذكرنا خير العالمين وجلة من خيار المسلمين وخيارا عبيدا وكافرا لعينا (وبعد) فمن حرم المزاح وهو سعة من سعة السهولة وفرع من فروع الطلاقة وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وامرنا بافشاء السلام والبشر عند التلاقى وأمر بالتوادد والتصافح والتهادى (قالوا) وكان يضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تبدو نواجذه وقالوا كان لا يسترق ضحكا وقال دققوا على صاحبكم وقال هذه ايام أكل وشرب وبعال وسمع جوارى تضرب الكبر (١) عند عائشة فلم ينكر وضحك من فاقة مجزز المدلجى ومن الاعرابى صاحب الجمال قد اعذرنا فى تصنيف الخلاف على تحقيق مرة بالمزح ومرة بالبيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هو أولى بك على انى لم أرد مزاحك الا ضحكت سنك انظر هل هذب الا فى طاعتك وهل أجلت الا ما اه حد مثلك وفى الجملة انا لو تعمدنا ثم صرنا ثم أنكر الكتاب فى فصلك اسعدنا وفى ذكرك ابوحب التغافل عنا فكيف وانما سهونا ثم تذكرنا ثم اعتذرنا ثم أطنبنا بان تمثل حظك أصب وانفسك تطرب وان لم تمثل فاجهد جهدك ثم اجهد جهدك ولا أرى

---

(١) الكبر هنا بن الطبل له وجه واحد وجمعه كبار مثل جمل وجمال اه

الله عليك ان أنسب ولا عما عدك ان عفوت وأقول كما قال أخو بني منقر

فما تقّا عليّ بركمانى * ولكن حصما صرّد النبال

والله لان رميتني سحله(١) لا رميتك بكنانه ولئن نهضت نصالح بن علي لا نهض بأحمد بن خلف وباسماعيل بن عليّ ولئن صلت على بسليمان بن وهب لا دمغتك بالحسن بن وهب ولئن هب علي عبادمه جعفر الخياط لا نهيض عليك بحسه وهب الدلال وأنا أرى لك أن تقبل العافيه وترغب الى الله تعالى في طول السلامه واحذر النبي فان صرعه وخم وابن الظلم فان مرعاه وبيل وإياك أن تعرض لجرير اذا هجا وللفرزدق اذا فخر وللرعه اذا دبر ولقيس بن زهير اذا ما كر وللاعلب اذا كر ولطاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل قدر نفسه لم يعرف قدر غيره وقد رغبت لك حق تدك وحسن سرائك وان كان فوق العقوق ودونه نقض الاخوه وحق بوسائك وان نعيت به ممزوجا فكيف لو نعيت به خالصا وعليك بالجده فانه خير لك ودع الدعابه فانه أمثل لك فاني والله يا أخي نعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار أني أسدمك عقلا وأظهر منك حزما وألطف كيدا وأكثر علما وأوزن حلما وأخف روحا وأكرم عقبا وأقل عيبا وأحسن قدا وأبعد غورا وأنصع ظرفا وأكثر ملحا وأنطق لسانا وأحسن بيانا وأجهر جهاره وأحسن اشاره وأنت رجل تسدو من العلم وتعفق من الاخبار وتموه نفسك وتغر من قدرك وتهنأ بالنسب وتنبل بالمراكب وتحسب بحسن اللقاء لبس

---

(١) سحله جي بالمرس من مد والدسه تحلي محركه مهم حرير اه باختصار

ء سدك إلا دلك فلم براحم البحار بالجداول والاجسام بالاعراض وما لا
ساهى بالجزء الدى لا سحرء فأما الناد والفامه فى نعدل بين الفاه والكره
ومن عثل بين النحله والدكان وبين رحى الطحان وسمف عان وانما نكون
السميل بين أبم الحيرين وأنقص السرين وبين المتقاربين دون المتفاوبين
فأما الحل والعسل والحصاه والحل والسم والغداء والفقر والغنى فهذا ما لا
يخطئ فيه الذهن ولا نكدب فيه الحس والخطأ بلاب خطأ الحس وخطأ
الوهم وخطأ الرأى كل ذلك سبيله البنيه والتذكر والتقويم والتأنيب
والعمد نوع واحد وسبيله القمع والحصر والضرب والقتل وأول ذلك أن
يهجره صاحب الحكمه ولا نطمعه فى وعظ ولا مجالسه وقد رأيت من
نعاند الحق اذا كانت المعرفه به استساطا ولم أر من نعاند الحق اذا كانت
المعرفه به عيانا وأنت لا ترضى بجحد العيان حتى تدعو اليه ولا ترضى بالدعاء
اليه حتى تعادى فيه ولا ترضى بالعداوه فيه حتى تكون لك فيه الرئاسه
ولا ترضى بالرئاسه دون السابقه ولا بالطارف دون التالد ولا بالتالد دون
الاعراق التى تسرى والمواليد التى تنمى ولا ترضى أن تكون أولا حتى
تكون آخراً ولا بالمداراه دون المناداه ولا بالجدال دون القتال وحتى
ترى أن التقيه حرام وان المقصر كافر وحتى لو كتب امام الرافضه انقلب
فى طرفه ولو قلب فى طرفه لهلكت الامه لانك رجل لا عقب لك
والامامه اليوم لا تصلح فى الاخوه ولو صلحت فى الاخوه كانت تصلح
فى ابن العم ثم انها ذهبت من الارحام بعد ذلك فصارت لا تصلح الا فى
الولد وفى هذا القياس انها بعد أعوام لا تصلح الا بقاء الامام نفسه الى

آخر الابد وهـذا هو علـة المناسحه وأنت رافصى ولم تكن هذا عندك
فاهدلى الآن بخالص الوفاء كما أهدت لك باب الناسخ وأنت ترى
الفضل فى حق المعانده سهاده وترى ان مناسـه المصفين فى تعظيم العهود
سعاده وأن الرئاسه فى دفع الحقائق مريبه وأن الاقرار بما تظهر للعيون
صنعه وأن الشهره بالمبالغه رفعه أطهر القوم عندك حجه أرفعهم صوتا وأحلفهم
للتوبه اصلبهم وجها وأحسنهم نعمه أقلهم تحرجا وأكثرهم عندك انصافا
أشدهم سعيا بعسف المجهود وتكلف بالجمـوح وتصابى الوقاح والاذناب
عندك من نعت أخاديب الجلسا واعترض على نوادر الاحوال وعمر فى
فنا الندم وتعصب للعالم وأنقص العاقل واستعمل الطرف وحسد على كل
نعمه واستكر كل حصه حعلت فداك انما احرجك من شئ الى شئ
وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شان الناس ملاله الكثير واستثقال
الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت أن تكون استطرافك
للثانى قبل ان ينقضى استطرافك للماضى لانك فى كتب للشئ سطرا
وله موقعا كان أحظى لما يرد عليك وأشهى لما يهدى عليك وكل سطر
عظم وكل مأ ول كرم وكل ذلك رعه فى الفائده وصبابه بالعلم وكلفا
بالاقتباس وسحا على نصاى منك وصبا بما اؤمله عندك و مداراه لطباعك
واستزاده من نشاطك ولانك على كل حال بشر ولانك متناهى القوه مدبر
(حرى) كيف كانت خدايع المتشين ومخاريق الكذابين ممن قد كان
ترشح للنبى ومن لم يظهر دعوته ومن دعا واجتهد و من أجيب ومن لم
يجب وصف لى أبواب مصايدهم وأجناس كيدهم وحبائلهم وعن اعتمادهم

على المواطأه وعن هدمهم فى الحق وعن من دهب فى طريق النهم وعن أصحاب الزحر والنحيم وعن أصحاب الاسىرحام وعن اطهار الزهد وتحريم الاسماع ومن وافق صورته وحاله نعض ما فى النسارات المتقدمه وفى الكتب الصحيحه ومن اتفق له غير ذلك من السبهه فقل فى سىث ابن آدم وقل فى زرادشت وفى مانى وفى فولس وفيما ادعى لمرفس و ى ولوقا ويوحنا (وحدثنى) عن الاسود العنسى ومسلمه الحنفى وطليحه الاسدى وابن عفان وزنبى وأميه بن ابى الصلت وما قصه الطائر بن الاحصر بن وما كان سأن الرماح (وحدثنى) عن سلامه بن جندل وما قال الهند فى نزول البد وقصه ابن دنصان وما قول عنده الكنان وعاد قوه الهمولى واصحاب النصه ومن عبد النحوم وسب لها الحس والعلم والنفع والضر ومن حمل كل داع الى الله بالصواب والعدل وصله الرحم ونفى الجهل بناً ومن أنكر أصل النبوه البته وما تقول فى حنظله بن صفوان وخالد بن سنان وقل فى الذى آتاه الله آياته فانسلخ منها وهل يجوز أن يكفر نبى أو يشرك أو يضل بعد هدايته ويصير عدواً بعد ولايته ويدل الله على كذبه كما دل على صدقه وكيف صار النبى عندكم يعصى ولا يخطئ والامام لا يعصى ولا يخطئ وكيف ساغ ذلك فى جميع النبيين وأمكن فى جميع المرسلين على كثره عدد النبيين والمرسلين ولم يجز ذلك فى امام واحد مع قله عدد الائمه مذ كانوا (وحدثنى) لم تنصر النعمان ويزيد بن الحارث وبهود ذو نواس و جسب ملوك سبأ وكيف صارت العرب فرقا بين محل ومحرم وأحمسى سوى تفرقهم فى الملل وكيف

لم ير أ ـه وط دهر به وقـد علمنا انه لايجوز أن ىىأ دهري وكيف لم
ىدهر ملك وكيف لم نجد قول الدهريه الا في الخاص والشاذ والرجـل
النادر ولم كان لجمع أهل الاديان مملكه و لملوك الا الزنادقه ولم ملهم جميع
الأمم السالفه ولم قصدت مهذا وقد رأينا المصدقه والدساور ه والمرعريه
فان قلت لان من لم يكن من دينه المال والبأس من عز يزته فهو مسلوب
أو مسترق فما بال الروم منع أن تسترق وأن تسلب وليس من دينهم
قتال ولا جدال ولا مكافأه ولا دفع حعلت فداك أين كان عبد الله بن
هلال الحميرى صديق ابليس من كردناش الهندي واين كان منع منهما
صالح المدىرى وأين عُبدمج من المطبخي واين عبدالوارث بن الهجمي
وأين كان أبو منصور في الحارثي من حرمي وأين نامويه من حسده
وأين قسه اليهودي من كسه وما فضل مابين الكهانه والسعدده ومافضل
ما بين الحاري والعراف وأين كان عرى سامه من سطيح الذئبي وأين
كان الابلق الاسدى من رباح بن كهله وأين كاهن سعد هذيمه من
حاسن الحطاط (وحدثني) عن ساحره حفصه وساحره عائشه امليهما
باقرار منهما أم بمعرفه منهما بكيفيه السحر (وحدثني) عن صاحب حديث
ابن زهير باقرار قبله أم عن معرفه منه بمعنى السحر وهل ثبت جعلت
فداك أن النبي صلى الله عليه وسلم سحر في جف طلعه ووضع تحت
راعوفه البئر أم لا (وخبرني) ما الاجرنای و ما النارنای وما الكرورنات
وما الخواتيم وما المنادبل والسعي والامر الذى كان في خاتم سليمان وما
السكينه التي كانت في التابوت فقد اختلف المفسرون فيها وزعموا انها

كاس رأس هرّ وما سعسف ناسيه وما الفل وما النوحه (وحرى) ما نأويل الرمومه وما هعل المال الدى من أحد مه ندم ومن لم نأحد مه ندم (وحرى) عن فول الحليل فى الوهم القديم (وحرى) حعلت فداك عن قولك فى السعر الدى تنسده فى المنام مما لم تسمع ناحود منه فى اليقظه وعن السعر الدى نحترعه عن مناقله الكلام وموازنه الامور وحال النوم وحال الآفه والنقص وصاحبه معمور أم شبه المعمور ولا يحرى عليه قلم ولا ملام ولا تسكر ولم صرنا نذكر السئ المهم فلا نقدر عليه حتى ندعه فانسانا منه احمع ماتكون أمناً وأحسن ماتكون تذكرا ثم تعارضنا وتحطر على بالنا فى حال سهر أو فى حال نوم وأغنى ماتكون عنه وأقل ماتكون احتفالا به ولم صرنا نسى من القصيده بيتاً أو آيه من جميع السوره او كلمه من جميع كلام الخطبه ولم صار اللقم بالماء أولى منه بالباء ولم كان المره السودا بالجسم أولى منها الحا وكذلك القلب المانع من الحفظ وهل يد للحفظه من حصائص أسباب وأعيان علل والا فقد نحور أن نسى هده القصيده بدل ذلك ولم صار بعض الناس أحفظ للنسب وبعضهم أحفظ للاسناد وبعضهم أحفظ للمعانى وبعضهم أحفظ للألفاظ ولم صرنا لا ننسى الساحه وبالاكتساب عرفناها والعاده أن المكتسب قد ينسى ويجهل وان الضروريات لا تجهل وقل لى لم لم تضرب السامرى ولم لم نعص مانى وعصه ولم لم ترق فى وجه فرعون أما ان الطبعه التى هناك من هسام بن حلف بن قواله الكنانى حين قال على رأس النعمان واب رحل نبان هى التى منعتك من أن ترق فى

وجه فرعون وأنت سمعته يقول وما رب العالمين ولم أزعم أنك رجل يمان لولادة لك في قحطان كيف وأنت أقدم من قحطان ومعد بن عدنان ومن القرون التي حجز الله عن كثرها وعن آبائها وأجدادها ولكنك منهم بالهوى والنصرة ولأنهم كانوا لك أجساما وصنعه ، وقل لم صار جميع الحيوان يسبح الا الانسان والقرد والعقرب والفرس الاغبر وأى شئ عندك في آصف وفي سفر آدم وفي جراب موسى وفي درست وفي سلة وفي كتاب الاسما وفي قولهم دعا فلان باسم الله الاعظم وما يقول في ابن عقب وفي أشج بن عمرو وفي سعب وصالح وفي السمانى وفي الاصفر المحطانى (وحربى) جعلت فداك مذ كم صنعت حساب المسمرج ومن صاحب خطوط الهند وأين كتب قوم صنعة السندهند والاركند وحساب كلاسفر ومذ كم عمل باب الخائع ومذ كم عمل الارتماطيقي ومن سمى الخبز بالخبز والحدر بالحدر والسادر بالبارود والاكدرية من أى شئ اشتقت وما تأويل الدحال وما تأويل الجمل ومن أول من عد الى عشرة وجعل العشرة منتهى وغايته ثم ضاعفها وجعل غايات الاعداد عشر العشرات وعشرات عشرات العشرات أبداً ثم كسر على العشرة مما دون أعدادها لان الاصابع عشرة وكيف لم يجعل الغاية ما له نصف وثلث وربع وسدس وعن أم راى أن التضعيف أبداً لا يكون الا للعشرات فقد نجده في عشر العشرات ام القول الاول الاسماء كلها عشرات واست أعرف جعلت فداك قوله ان الانسان عشرة أسماء كما لم أعرف قول الفزارى أن العقل كرى وقد علمت أن الفلك كرى وأن الراس الذى جمع

الحواس كرئ فأما العلم والقول وما أشبههما فانا لا نعرف هـذه الامور
الا على خلاف الاجرام الموصوله والمقطوعه وقد سدوت من الموسقى ولم
أطع منه سهوتى (فخبرنى) ان كان اقليدس ومرسطوس من فساعورس
وأين تلامذتهما من تلامذته وهلا قدمتم اقليدس مع صنعه الرابط
والمعارف وأين أرسحانس من ورسطس وأين ربوسب من فاهود ولم
قبله وهو فوقه فى الاطراب والصنعه وفى الروايه والرئاسه ولم عنى ساتور
عن قبله بعد اقراره بفضله وقد ان سحب الى الفضله وعزم على اقصاء الحكم
وأين كاب هر وحرسا بن الجرادتين وأبو طبه والرباب من السردان
والمهراس وأين حانه وسلامه بن صاحبى بزيد وأين عزه بن جميله
الحذاء واين حسه من الملاء (وخبرنى) عن غناء الركبانيه المصطلق أحدثه
منه الركبان ام للركبان وهل رجعه بخسر المصطلق وزعمت أن الاهزاج
للنمس وأن النصب للقصاب فلمن السناد (خبرنى) أين كان صنتين بن حرام
من المصطلق بن سعيده ولم جعل المعلم النغم بعد اليونانى ست عشره نغمه
ألانه لم يدرك أكثر منها أم لانه ليس فى الخلقه الا ما ادرك ولم جعل
الزعب للسودا والحزن للبلغم والجرأه للصفرا والسرور للدم ولم فسر
الاوتار على ذلك فجعل الزير للصفراء والمثنى للدم والمثلث للبلغم والبم
للسوداء وقال الزير الطف اوتارى خفيف والمثنى هوائى بين طبعه النار
وهو دون النار فى الخفه وبين طبعه الماء وهو فوق الماء فى الخفه والمثلث
كالماء والبم كالارض وفى المثنى ضعف وزن الزير وفى المثلث ضعفا وزن
الزير وفى البم ثلاثه أضعاف ولم زعم ان من اللحون ما يقلق ويفرق فان

زيد فيه نقص وإن قوى قبل وإن قيها ما يعبر فإن زيد فيه عسى فإن قوى أحمد فإن قوى قبل فجعل لحناً مطلقا يقبل بالاداة وجعل لحنا يقبل بالاجماد ولم وصف اللحون بالاجماد والاصابعه كما يوصف السموم القاتله (حدثنى) عن صنعه البربط للملك [1] أم لرقاشل أم لا فلندس وما يقول فى قولهم إن لمكا عمل العود على صوره فخذ ابنه ساقها وقدمها وأصابعها وانه جعل الصدر الفخذ والساق الابرنق والقدم المسط والاصابع الملاوى والاوتار العصب والعروق جعل فذاك كيف حفظت لكتاب كاوريد وقد حدثنى بعض المتكلمين أنه رأى بسراف مجوسيا يحفظه وهو فى ألف جلد بخط مارب وكيف حفظك لكتاب الطرق وهل لقيت واضعه أيام أدخلك بلاد الروم يزول عطارد (وحدثنى) عن أسرار الهند ألرجل نفسه أم لسورى ولم زعموا أن العموق يورث البرص وهذا مما لا يعرف فى الطب ومن صاحب السطرنج ومن صاحب كليله ودمنه ومن واضع الكوكله ومن طبع الملعه ولم صار الهندى والرومى لا يحفلان بالسندى فى حال الأسر ويرغبان عنه فى حال المال وقد احلفوا علينا فى العال السنديه فزعم قوم أن صاحب كتاب الباه كان قصيراً منكراً وكان بالنساء مستهترا وأنه احتال بها لحسنه حتى وصلها برحله لتكون محبها زائدا فى طوله فلما طالت الايام و صب الدهور ظن من لا علم له أنها احدث للريبه أو لضرب من المرفق

---

(١) (قوله لملك) قال في القاموس لملك محركه هو ابو سيدنا نوح عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام

. وقال آخرون بل انحدرت للمفاوز اسلا وللطش مهارا فلما طال عليها الدهر نسي النسب وذلك أن أكثر الرداع لا نسعرف نحسها واره العسرب لا نكاد بحاورها وقال احرون بل انما أحدثها ملوكها لمكان أصواتها وصرىرها استئذانا على أرواحها وأمهات أولادها وعلى جميع محارمها الحالات نكى عليها وأمور نكى فيها فصار صريرها ندباً واستئذانا وزعم اسماعيل بن علي أنك أنت الذي كنت أمرت بالحادها وأسرت بصبها وأنك تكتم السر الذي فيها وأنك الذي علمهم مصع الناسول ودلع بحمر الاسنان وتطيب النكهه وأكل السعد لما أنت أعلم به والتصندل لما لا يحوز المكانة وأنك أول من احتى هناك واسالك وفرق سعره وعلم الحصاب أهله وكيف وقد زعمت أن الاحتبا انما صار فيهم وفي العرب لان نازله العمد والصحارى وسكان الفيافي والبرارى وكل من ليس لسهاله مرفقه ولا لظهره مسنده ولا لمجده حنه لا بد أن نستكى ظهره اذا طال انتصابه وكثر جلوسه ومن احتاج احتال ومن استغنى تبلد فأخرجت لهم الحيلة للحبوه حتى قامت لهم مكان المتكا والمسند وقد قال لك كسرى فما بال الترك والخزر وجميع أهل الصحارى والعمد لا تعرفون الاحتباء والحاجه واحده والعقول سليمه فلم أمسكت يومئذ عن الجواب ألا أنه استفهم استفهام الراد أو نصبت به على من شهد ذلك المشهد وأنا حلف فداك اعلم انى أسمع ولا اعقل كيفيه السمع واعلم انى أبصر ولا اعقل كيفيه البصر ولا ادرى أ معدن العقل الدماغ أم القلب بانه وطريقه كما أن معدن اللون جميع النفس والنفس بانه

وطريقه أم بعدن العمل القلب دون الدماغ أو لعلهما موصولان عند مقطوعين وقد اعتل قوم للدماغ بأن جميع الحواس في الرأس واعتل قوم بالحس وبما يجدون في قلوبهم من الرعب والاضطراب وغير ذلك فكيف القول فيه وعلام عزمت منه وكيف صار النار تبدى من جهة وان كان نعرف الله فكيف عرفه اباضطرار أم باكتساب وكيف جهل سليمان موضع مملكة سبأ وهي لمكة وشأنها عظيم والجن له مسخرة والطير له برد والريح له أداة وكيف جهل يوسف مكان أبيه وحاله في الحزن عليه حاله وهو ملك نبي وكيف جهل أبوه مكانه وهو نبي وليس أبيه من نبي وملك هذا بالشام والآخر بمصر وما تقول في أهل التيه وعن ترددهم أربعين عاما في مكان واحد وعقولهم معهم وانما يحولون ان يقفوا على الطريق فكيف أصل الجميع الطريق مع ارتفاع الذكر وشدة الطلب (وخبرني) عن كلام عيسى في بطن أمه ثم في المهد وعن عمل يحيى في حال الصبا أكانا في حالهما يعلمان مالا يعلمان أم يعلمان بما يعلمان وكيف علما أسحريه واستنباط وعن تمام أداه وكمال آله أم من طريق الالهام والاخراج من العادة وقد تعجب ناس بن الطالبي و بن كثرة مسألتي وتعجبي بن تعجبهم اشد والذي كان بن أفكارهم أعظم ولو رغبوا في العلم رغبتي ورأوا فيه مثل رأيي وكانوا قرؤا كتابي الملك في شبيبتي وأيام شبابي رغبتي لاستقلوا من ذلك ما استكثروا ولا استقصروا منه ما استطالوا فان ادبت لي أطهريه وان تجد على أعلمه وستقول مادعاك الى التنويه بذكري وتعرف الناس بمكاني وقد تعرف حشمتي وانقباضي

وبعردى واستيحا ى ولولا انك جعلت فداك مسؤول فى كل زمان والغاية فى كل دهر لما بعردتك بهذا الكتاب ولما أطمع نفسى فى الجواب ولكنك قد كتبت أدب فى مثلها لهرمس ثم لأفلاطون ثم لارسطاطاليس ثم أحست معبد الجهنى وغيلان الدمشقى وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وابراهيم بن سيار وعلى بن خالد الاسوارى فترته كمثك والناس يحب حاجتك أحق بذلك وأولى وقد كان يحب أن يكون على ذلك أحرص وبه أعنى (وخبرنى) عن المرائى كيف صارت تُرى الوجوه وتبصر فيها الخلق وكذلك كل أملس صقيل وصاف ساكن كالسيف والودلة [1] والقوارير والماء الراكد حتى الحجر البراق والحدقة السوداء اذا كان الناظر فى الحدقة أبيض والحدقة المُغرة اذا كان الناظر فيها اسود وكيف صار الما الجارى والنار الملتهبة والشمس ذات الشعاع لا تتصل الصورة ولا تبين فيها الخلق وعن قول من زعم انه ليس فى القمر محو ثابت ولا كمد جامد ولا سواد راكد وانما ذلك شئ رآه الناس فيه اذا كان انما ليس صقيلا عما له الارض وما فيها كما ترى بن قابل الحدقة صورة انسان وليس هناك صورة وانما هو شئ يوجد عند المقابلة ولِمَ صار بعض المرائى يرى الوجه والقفا ويرى الراس منكسا ولم كتب لا تجد كتابة السور والمطارح فيها أبداً الا مقلوباً وما تلك الصورة الثابتة فى المرآة أعرض أم جوهر ام شئ وجسمه أم تخيل والذى يرى أهو وجهك أو غير وجهك فان كان عرضاً

---

(١) قوله والودلة قال فى القاموس الودلة كسفينة المرآة والقطعة من الفضة المجلو او اعم جمعه ودل وودايل اه باختصار

فما الدى ولده وما الدى أوجبه والوجه لم حاسه ولم نعمل فيه وهل أبطلت
تلك الصورة المرئية صوره مكانها فى المرآه ولم واب لست براها فى نفس
صفحه المرآه ولم وكانك براها فى هواء خلف جوفها وهل أبطل ذلك
اللون الذى هو فى حال لونك لون المرآه فإن لم تكن أبطله فهناك اذاً
صورتان فى جسم فى حال أولونان فى جوهر واحد وان كان قد أبطل لون
الحديد فكيف أبطله من غير أن تكون عمل فيه وكيف نعمل فيه وجرمه
غير جرمه وهو لا مماسّ ولا متصل ولا مصادم وسوا ذكرنا صفحه
الحديد أم ما خلفها من الهواء وما قدامها من الفرجه كل ذلك جسم ذو
لون فإن اعتللت بالسعاع الفاصل والسعاع يخالف فى الحسّ كذلك الحساس
وكذلك المحسوس وكيف برى المخالف وكيف والسعاع لون وشاص
والنفس الحساسه لا تدرك شيئاً من الحواس وما الفرق بين الاسمان
والاخلاف وعن قول ماس السمون والجمره (وخبرنى) عن الفرسطون
كيف أخرج أحد رأسيه بلا عانة رطل زاد ذلك أم نقص وورن جمعه
ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص وما تقول فى السراب وما تقول فى الصدا
وما تقول فى القوس وما تقول فى طريقه الجمره وفى طريقه الخضره
وكيف اختلفا والهواء واحد وماشابههما واحد وهل ذلك اللون حقيقه
أم تخيل (وخبرنى) عن لون ذنب الطاوس ماهو أتقول بانه لاحقيقه
له وانما يتلون بقدر المقابله ام تقول ان هناك لوناً بعينه والباقى تخيل
وما تقول فى عس الما كيف انسد صوته بلا باب والصوت لا بد
له من هواء واذا انسد فلا بد له من باب وما تقول فى حصر السماء

أهو حصر حلدها كما سول أم دلك لحر الهواء كما سول حصما وهل برعم
أن الافلاك دات لون فان كان لها لون فقد احملت جميع
الاسكال وهدا حلاف ما سولون وان لم سكن داب لون فالسماء اداً
عىر الفلك فهدا هدا وسول أيضاً ان كما لا برى القرى المسطله والبا ان
المحلله من البعد الا مسدبره فلعل السمس مصابه والكواكب مربعه
وما سول فى المد والجزر أمن ملك نصع رحلا و برفع رحلا فان كان كدلك
فلعل بدر الفلك ملك ولعل صوب الرعد صوب رحر ملك فدع الفلسفه
و يأحد سول الجماعه أم برعم أن المد والجزر من نفس الحوادب اداحدب
وادا رفع وما سول فى قول من رعم ان القمر اذا وأسه الكواكب
نطسعه الارص فانما تكون الجزر والمد على مادبر حدبه للما وارساله له
دلك معروف فى منازله ومحاربه نعرف دلك اهل الجزر والمدّ (وحبرنى)
كيف صارب الصافه فى السبه وفى الما والجو وابربه وامسب الصافه
كلفاً وصبعه ولا عرفب بالاسبساط والفكره فىكون لمن نعلم دون من
لم سعلم نجدها فى سى ىدلج بم فى حاص من جسم وكدلك حراعه وهى
فى فرس أقل وهى فى سى أسد اقل والناس هؤلا لاب ولا يجمعهم بلد
والناس فيما بين البلدين فاقه وهل فيهم على هده الصفه وكيف لم يحلفوا فى
اعمهم فسطوا حسبم بالرحبه وا صهم بالسطبه وبعضهم بالممارسه فان قلب
فاروهم المنجم والساعر والبكى والعربر فان الساعر وان كان الفرص عليه
أسهل وهو على القوافى اقدر فانه سروى السعر ونصنعه وسعرد له ويفكر
فيه وكيف صاربه انسان نعاس حسب نعاس النار و وب حسب يموت النار

نصاب علم ذلك فى الحباب وفى العمران ولم صار يبصر النجوم من قعر البئر العميقة ولا يبصرها أبداً الا وهو خالص الظلمة (وخبرنى) عن الظلام أجسم موجود عند زوال الضوء أم نأول قولنا ظلام انما نريد به دفع الضوء فان كان الظلام معنى افتراه اجمع فى الارض وكمن عند انبساط الضوء ودفع السماع أم الارض قرص للظلام كما أن عين الشمس قرص للضيا وان كان قائما فكيف لم يتنافيا وان كانا قد تداخلا فكيف لم نجدهما على خطر الأعين ولو كان الامر كذلك فنحن اذاً لم نر ضياء قط ولا ظلاماً (وخبرنى) جعلت فداك لم زعمت أن الحس للعصب وأن الشعر عصب جامد وأن الرئة لا حس لها وأن من أدام سقى اللبان لم تؤلمه المؤلم وألذته الملذ وكيف يلذ من لا يألم ولو جاز ذلك لعرف الصواب من يجهل الخطأ ولعرف الصدق من يجهل الكذب هذا ما عندى من العلم البرانى وأنت أبصر بالعلم الجوانى ورغم بعض تلامذتك انك تعلم لم كان الفرس لا طحال له ولم صار البعير لا مرارة له ولم كانت السمكة لا رئة لها ولم كانت حيتان البحر لا ألسنة لها ولم خاصت الارنب ولم احترت ولم كان قصبه من عظام ولم كانت علائق أجواف السبع افراداً الا الكلية ورعمت أنك تعرف فى الحماس سمين اعجوبة ونحن لا نعرف الاسبعا وانك تعرف فى الذهب مائة خصلة كريمة والناس لا يعرفون الا عشراً وانك تعرف فى العنبر ألف داء ودواء والاعراب لا تدعى الا مائة داء عشر دوا جعلت فداك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد البيان أن يكون سحراً وقال ان من البيان لسحراً وقال عمر بن عبد العزيز وسمع رجلا تكلم كلام بليغ عجب الطف

روى هـذا والله السحر الحلال وقال الناس لدى المكر والحلابه ولدى
الرفق والتأنى ما هو الا ساحر وقد سحر بكلامه وقالوا للمرأه ساحره
العين وقد ذكر الله السحره فى القرآن وأخبر عن هاروت وماروت
وخبر عن النفاثات فى العقد وقال الناس لهو أفتح من السحر اذا أرادوا
نفس المعنى المشبه به والمعنى المحمول عليه والسحر مشبه وما الذى اشتق
منه هذه الا نال ولم نجدهم أبقاك الله سموا كهان العرب سحره ولا
العراف ساحراً ولا الحازى ولا صاحب الطرق ولا من كان معه رئى ولا
من ادعى تابعه من لدن عمرو بن لحى الى يومنا هذا وما قاله اذا عقد عقداً
أو دفن صوره بالاندلس لرجل بعرفانه واذا صور شمعتين وخرطهما على
مثال انسانين ودفنهما وحفا مكانهما وقابل بين وجوههما بتلاقيا بالموده وان
دابر بينهما تدابرا بالموده وقل لى من يتولى هذا له ومن يقوم له به ومن
يطوع به عليه فان قلت السلطان فلم فعل هذا له وأول شيطنه أن لا
يطيع من هو دونه فان قلت بالعزائم التى لا ترد والايمان التى لا تدفع فقد
عزم الله عليه بالقرآن والتوراه والانجيل فلم نجده يحفل بذلك ولا يرى
له قدراً ولا يكترث له ولا يراه شيئاً (واخبرنى) ما هذه العزيمه التى اذا
سمع بها أجاب واذا طولب له أناب ومن أين عرف الانسان هذه
العزيمه ومن اين وقع عليها ومن له بها أهو صنعها ام صنعت له فان يكن
السلطان هو الذى ابتداه بها فقد ابتدأه اذاً بمعرفة العزيمه قبل أن
يعزم عليه وقد يطوع أعظم الامور بما الذى يحوجه الى العزيمه فى
أصغرها فقل فى هذا وان زعمت ان العازم صاحبه دون السلطان والعازم

مسلم وان كان مسلماً ولذلك أحاب العريمه وعظم الاحلاف فلم يحل له الاصحاء وسل المرصى ولم يحب وسعص ولم سرق س المرء وأهله وس الولد النار وامه ولم يحلب العمائف الى الرياه ولم يعذب وسل وهدا مناقص ولم قبل أعوى من صب وأبر من هره وهما جميعا لا كلان أولادهما ولم عال الذئب اولاد الصبع اذا قتلت أو ماتت حتى قال الشاعر حتى عال أوس عيالها وهل سهم الصبع قولهم حامرى أم عامر وما بال الظبي لا يدخل كناسه الا مستدبراً وهل يحور قولهم فى يوم الدئب (قال الشاعر)

سام باحدى مقلسه وسقى * المنايا أخرى فهو يقظان هاجع

ولم نامت الارنب مفتوحه العينين ولم أكل الذئب صاحبه اذا راى به دماً وما بال الجن والغيلان وما بال الشياطين والوران وهل فى الحيات جان وما معنى قولهم كانما كسر حجر وما تأويل الحديث يؤخذ للجماء من القرناء وتكلف أن تعقد بين شعيرتين ولم زعمت أن عمر نوح أطول الاعمار مع قولك ان جميع الانبياء قد حذرت من الدجال وان الدجال انسان وقد سألتك وان كنت اعلم أنك لاتحسن من هذا قليلا ولا كثيراً فان أردت أن تعرف حق هذه المسائل وباطلها وما فيها خرافه وما فيها محال وما فيها صحيح وما فيها فاسد فالزم نفسك قراءه كتبي ولزوم بابي واسند ... السنه والقول بالنداء واستدل بالرفض الاعتزال وان اسكر معك بعد التمكن والبذل وبعد التقريع والسجد فلا سعد الله الا من ظلم وقد بقيت لى عليك مسائل وهى خاتمه الكتاب ومنتهى المسائل أيهما أحسن قول بقراط مفسراً العمر قصير والصناعه طويله والزمان حديد والتجربه خطأ

والقضاء عسر أم قول أفلاطون مجملا لولا أن في قولي اني لا أعلم شيئا لاني أعلم لقلت اني لاأعلم أم تواضع ارشجانس حيث يقول ليس معي من فضيلة العلوم الا علمي بأني لست بعالم فانظر في آخر هؤلاء ثم انظر في قول ديمقراط عالم معاند خير من عالم منصف جاهل وفي قول تلميذه الاول الجاهل لا يكون منصفاً والعالم لا يكون معانداً وقد يكون العالم معاندا ثم انظر في قول ديمقوس لولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يطلب عمل ولان أدع الحق جهلا به أحب الي من أن أدعه زهداً فيه وان كان الجهل لا يكون الا من نقصان من آلة الحس فان المعاندة لمن زيادة في آلة الشر ولأن اترك جميع الخير أحب الي من أن أفعل بعض الشر ثم انظر في قول ثومقراط العلم روح والعمل بدن والعلم أصل والعمل فرع والعلم والد والعمل مولود وكان العمل لمكان العلم ولم يكن العلم لمكان العمل فالسبب الخالق خير من السبب المخلوق والغالب خير من المغلوب وانظر في قول فلسموس العلم كان من العمل والعمل غايته والعلم رائد والعمل مرسل ثم انظر في قول أرسطاطاليس اناس طلبوا العلم طمعا في بلوغ قاصيته ولا سبيلا الى غايته ولكن التماس مالا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه ثم انظر في قوله قد عرفت الارثماطيقي وأتقنت معرفة الموسيقي وعرفت المساحة فلم يبق الا علم الالاهي و معرفة الاصطلاح ثم انظر في قول ورسطوس عرفت أكثر المقصور وأقل ماتوقف عليه من المبسوط وقليل الكثير كثير وكثير القليل قليل وبدأت بما حاسا له أن يكون مبسوطاً ومرغوبا به أن يكون مقصوراً وهو معرفة الواحد الذي منه كان أول الاعداد واليه يكون

معادى ثم انظر فى قول أفلمون ماأقل منفعة كثير المعرفة مع سرف الطبعه واقتصاد الشهوة ثم انظر فى قول تلميذه الاول علبه الطبعه تبطل المعرفه وتسى العاقبة ولو كانت المعرفه نافعه لكانت هى الغالبه ثم انظر فى قول تلميذه الثانى لبس دلم ما كان معلوماً وليس تفهم ما كان مفهوماً ان لا يكون معلوما الا بالنقص والخبال ولا مفهوماً الا بالعلة والاسقاط ثم انظر فى قول ماسرجس من قصر عن طلب العلم لرغبه او رهبه أو منافسه أو شهوة كان حظه من الرغبه وحظه من الرهبه على مقدار حق الرهبه ومن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانه كان حظه منه بقدر كرمه وقدره واستطاعه به على حسب استحقاقه فى نفسه وقد اختلفوا فى العمل بأكثر من اختلافهم فى العلم فمنعنى من ذكره لك غموضه عليك واستتاره عنك وعلمت أنى لا أقدر ان اصوره لك دون دهر طويل ولا أصفك معه دون نيف كثير هذا الكتاب مرض مع ما فيه من الأخلاط من اشكال واضداد ومن الجد والهزل ومن الخطه والاطلاق ومن الاستئناف والقطع ومن التحفظ والتضييع ومن التسامت والتهاون اذا أريد به ترجيع محب او يكشف تمويه او امتحان مشكل أو تحصيل وقاح أو قمع ممار أو ممارحه طرف أو مسائله عالم أو مدارسه حافظ او نبها على الطريق او تحديداً للذهن والعمل حفظك الله أطول رقدة من العين واحوج الى التحديد من السيف وأفقر الى التعهد وأسرع الى التغير وداؤه أقتل وأطباؤه أقل وعلاجه أعضل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك أكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئاً من حاجته ومن أكثر أسباب العلم كثرة الخواطر

ثم معرفه وحوه المطالب ثم فى الخواطر العث والسمين والفاسد والصحيح والمسرع البك والبطئ عنك والدقيق الذى لا نكاد تفهم والجليل الذى لا تلوى الفهم ثم هى على طبقاتها فى التقدم والتأخر وعلى منازلها فى البيان والتمييز والمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطأ فاسطر كان أسوأ حالا ممن لم يخطأها ولم يسطر وعلى قدر صحه العمل تصح الخاطر وعلى قدر التفرع يكون البنيه هذه جماع هذا الباب وجمهوره واقسامه وجملته ثم من أنفع اسبابه الحفظ لما قد حصل والتفسد للمورد والاسطار لما يرد ولا تخلى نفسك من التفكر الا بقدر جمام الطبيعه وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فصل ما بين طلب العلم للمنافسه والمباهاه وبين طلبه للرغبه والرهبه وان تعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسره ومخزونه إلا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقه جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمه حتى تعطيه خالص المحبه وكان يقال من ساب سبب له وجملته ينبغى أن تعرفها وتصطنعها وتذكرها وتقف عندها وهى أن تبدأ من العلوم بالمهم وان تختار من صنوفه ماأنت له انشط والطبيعه به أعنى فان القبول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العنايه ثم من خاص اسبابه تخليص اخلاطه وتعديل أخلاطه والمعرفه بأقداره حتى تعطى كل معنى حقه من التفرد والرفعه وتسطه من الابعاد والصنعه وحتى لا تشاغل الا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ولا تنفى الا الغث الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تعرف فصل ما بين النظرين ولا صرف

ماس العسن والكسن كلّ الكس والحدق كلّ الحدق أن لا تعجل ولا
تبطئ وان تعلم ان السرعه غير العجله وان تعلم انّ الاناه خلاف الابطاء
وان تكون على ثقة من درك الحق اذا وقته بشرطه وعلى ثقه من ثواب
النظر اذا أعطيته حقه هذه جمله الامر في هذه الرساله وجمله الحجه فيما قدّمنا
من الاقتصار والاطاله فان كنا أصبنا فالصواب اردنا وإلى غايته أجرينا وان كنا
قد أخطأنا فما ذلك عن فساد من الضمير ولا عن قلة احتفال بالتقصير ولعل
طبيعه خانت أو لعلّ علة حدثت أو لعلّ سهواً اعترض أو لعل شغلا منع
حفظ عليك أيها السامع فان الخطاء كثير عام ومشغول غالب والصواب
قليل خاصّ وممنوع شحيح فوجه اللائمه الى أهلها وألزمها من هو
أحق بها فانهم كثير ومكانهم مشهور كتب أتعجب من كل فعل خرج من
العاده فلما خرجت الافعال بأسرها من العاده صارت بأسرها عجباً فدخول كلها
في باب التعجب خرجت بأجمعها من باب العجب وقد ذكر الله تعالى التعجب
في كتابه وقد تعجب رسول الله صلعم في زمانه وفي الناس يومئذ الناقص
والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج قال الله تبارك وتعالى لنبيه
وان تعجب فعجب قولهم وقال بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من
المتعجب القائل الا نصب اللسان ولا من المستمع القائل الا حصه السمع
وأما القلوب فخاوية فاسيه وراكده خامده لا تسمع داعياً ولا تجيب سائلا
قد أعطتها سوء العاده واستولى عليها سلطان السكره فدع عنك ماليس
منه فان فيما أورده عليك شغلا وهما داخلا (أعلم) أن الله تعالى قد مسخ
الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين

فرده أو كما مسخ بعض الامم خنازير لكان قد بقى بعض أمورها وحسن عليها بعض أعراضها كبقية منافع القرد فى ظاهره من سنة الآدمى وبقية منافع الخنزير فى باطنه من سنة البشرى لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخاً مبدعاً ومستقصى مستفرغاً فمن حالها جمع النضاد ومن عيبها غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول فالعجب ممن نصب وهو مغمور ومقول وهو ممنوع فان ضرب عونا عليه مع الزمان فليلة وان أ سكت عنه فقد رفدته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا

التأسيس ولا التعزية وكيف أطلب منك مافقد انقطع سببه

واحسن أصله وقد كان يقال من طلب عيباً وجده

هذا فى الدهر الصالح دون الفاسد فان أنصف

فقد أعتب وان حرب فلم نعد ماعليه الزمان

وهب الله لنا ولكم الانصاف واعاذنا

واياكم من الظلم والحمدلله كما هو

أهله وهو حسبنا ونعم

الوكيل والمعين

❊ تمت الرسالة الرابعة وتليها الرسالة الخامسة ❊

(فى تفضيل النطق على الصمت)

الرساله الخامسة

فى فصل النطو على الصمت

للعلامه السهىر والفهامه الكىىر الاسـ اد ابى عىمان عمرو ىں محىوں
المعروف ىالحاحط رحمه الله ىعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

أمىع الله ىك وأىى ىعمه عىدكـ وحعلك ممں اذا عرف الحو اىقاد له واذا راى الىاطل اىكره وىرحرح عىه ىد ورأىـ كىاىك فىما وصفت من فصىله الصمت وىسرحىـ من مىاقىـ السكوں ولخصىـ من وصوح أسىاىهما وحمدىـ من مىفعه عاقىىهما وحرىـ فى محرى فنوں الاقاوىل فىهما وذكرىـ اىك وحدىـ الصمت أفصل من الكلام فى مواطں كـ ىىره واں كان صواىا والقىـ السكوں أحمد من النطو فى واصع حمه واں كان حقاً ورعمـ ان اللساں ىں مسالك الحىا الحالىـ على صاحىه البلاء وقلىـ إں حفظ اللسانـ أسـل من النورط فى الكلام وسمىـ العى عاقلا والصامىـ حلىما والساكـ ا ىىا والمطرق مفكراً وسمىـ البلىع كىاراً والخطىـ مهداراً والفصىح مرطا والمنطىق مطىا وقلىـ اىك لم ىىدم على الصمت قط واں كان منك عىا واىك ىىدمـ على الكلام مراراً واں كان منك صواىا واحىحاحك فى ذلك ىقول كسرى أىو سروانـ واعىصامك فىها ىما سار من أقاوىل الشـعراء والمىسو من كلام الأدىاء وافراطهم فى مذ ىه الكلام واطىاىهم فى محمده السكوں وأىىـ حفظك

الله على جمع ماذكرت من ذلك ووصف ولخص وشرحت واطلت
فيها وفرطت بالفهم ونصحتها بالعلم وبحث بالحزم ووعب بالعزم فوجدتها
كلام امرئ قد أعجب برأيه وارتطم فى هواه وظن انه قد نسج فيها
كلاما وألف الفاظاً ونسج له معانى على نحو مأخذه ومقصده ان لا يلقى
له ناقصاً فى دهره بعد أن أبرمها ولا يجد فيها منادنا فى عصره بعد أن
أحكمها وان حجته قد لزمت جمع الانام ودحضت حجة قاطبة أهل الأديان
لما سرح فيها من البرهان وأوضح بالبيان وحتى كان القول من القائل نصاً
ورفع الوصف من الواصف تعليلا وكان فى موضع لا ينازعه فيه أحد وفلما
يجد من يخاصمه ولا يلقى أبداً من يناضله وصار فلجاً بحجته أو جدلا فى
لهجته اذ كان محله محل الوحدة والانس بالخلوة وكان مثله فى ذلك من
يخلص الى الحاكم وحده فيفلج بحجته وانى سأوضح لك ذلك ببرهان قاطع
وبيان ساطع واشرح فيه من الحجج ماظهر ومن الحق ما اشتهر بقدر ما أثبت
عليه معرفتى وبلغه قوتى وملكته طاقتى بما لا يستطيع أحد رده ولا يمكنه
انكاره وجحده ولا قوة الا بالله وبه أستعين وعليه اتوكل وإليه انيب رأى
وجدت فضيلة الكلام باهرة ومنفعة المنطق ظاهرة فى خلال كثيرة
وخصال معروفة (منها) انك لا تؤدى شكر الله ولا تقدر على اظهاره
الا بالكلام (ومنها) انك لا تستطيع العبارة عن حاجاتك والأبانة عن
مآربك الا باللسان وهذان فى العاجل والآجل مع أشياء كثيرة
لو تتبعها الانسان لوجدها فى المعقول موجودة وفى المحصول معلومة
وعند الحقائق مشتهرة وفى التدبر ظاهرة ولم أجد للصمت فضلا على

الكلام مما يحمله القياس لانك تصف الصمت بالكلام ولا تصف الكلام ولو كان الصمت أفضل والسكوت أمثل لما عرف للآدميين فضل على غيرهم ولا فرق بينهم وبين شئ من أنواع الحيوان وأجناس الخلق في أصناف جواهرها واختلاف طبائعها وافتراق حالاتها وأجناس أبدانها في أعيانها وألوانها بل لم يكن غير بينهم وبين الاصنام المنصوبة والأوثان المنحوتة وكان لكل قائم وقاعد ومتحرك وساكن ومنصوب وثابت في شرع سواء ومنزلة واحدة وقسمة متساوية اذ كانوا في معنى الصمت بالجملة واحداً وفي معنى الكلام بالنطق متباينا ولذلك صارت الاشياء مختلفة في المعانى مؤتلفة الاشكال اذ كانت في أشكال خلقها متفقة بتركيب أجوادها وتأليف أجزائها وكمال أبدانها وفي معنى الكلام متباينة عند مفهوم تمامها ومنطوق ألفاظها وبيان معالمها وعدل شواهدها مع انى لم أنكر فضيلة الصمت ولم أهجن ذكره الا ان فضله خاص دون عام وفضل الكلام خاص وعام وان الاثنين اذا اشتمل عليهما فضل كان حظهما أكثر ونصيبهما أوفر من الواحد ولعله أن يكون بكلمة واحدة نجاة خلق وخلاص أمة ومن أكثر ما ذكر للساكت من الفضل ويوصف له من المنقبة أن يقال يسكت ليسلم به عن الأثم وذلك فضل خاص دون عام ومن أقل ما يحكم عليه أن يقال عيى أو جاهل فيكون في ذلك لازم ذنب على التوهم به فيجتمع مع وقوع اسم الجاهل عليه ما فرط فيه صاحبه من الوزر والذى ذكر من تفضيل الكلام ما نطق به القرآن وجاءت فيه الروايات عن الثقات في الأحاديث المنقولات والأقاصيص المرويات والسمر والحكايات

وما تكلمت به الخطباء ونطقت به البلغاء أكثر من أن نبلغ آخرها وندرك أولها ولكن قد ذكرت من ذلك على قدر الكفاية ومن الله التوفيق والهداية ولم نر الصمت أسعدك الله أحمد فى موضع الا وكان الكلام فيه أحمد لتسارع الناس الى تفضيل الكلام لظهور علته ووضوح حليته ومنفعة نفعه وقد ذكر الله جل وعز فى قصة ابراهيم عليه السلام حين كسر الأصنام وجعلها جذاذا فقال حكاية عنهم قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون فكان كلامه سببا لنجاته وعلة لخلاصه وكان كلامه عند ذلك أحمد من صمت غيره فى مثل ذلك الموضع لأنه عليه السلام لو سكت عند سؤالهم اياه لم يكن سكوته الا على تقصير وعلم وانما تكلم لانه رأى الكلام أفضل وان من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن وليس من سكت فأحسن قدر أن يتكلم فيحسن واعلم حفظك الله أن الكلام سبب لايجاب الفضل وهداية الى معرفة أهل الطول ولولا الكلام لم يكن تعرف الفاضل من المفضول فى بيان كثيرة لقول الله عز وجل فى شأن يوسف عليه السلام وكلامه عند عزيز مصر فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين فلو لم يكن يوسف عليه الصلاة والسلام أظهر فضله بالكلام والافصاح باللسان مع محاسنه الموفية وأخلاقه الطاهرة وطبائعه السرية لما عرف العزيز فضله ولا بلغ تلك المنزلة لديه ولاحل ذلك المحل منه ولا صار عنده بموضع الأمانة ولكان فى عدا وغيره ومنزلة سواء عند العزيز ولكن الله جعل كلامه سببا لرفع منزلته وعلو مرتبته وعلة لمعرفة فضيلته

ووسيلة لفضل العزيز اياه ولم أر للصمت فضيلة في شيء ولا للسكوت منفعة في شيء الا وفضيلة الكلام فيها أكثر ونصيب المنطق عندها أوفر واللفظ بها أشهر وكفى بالكلام فضلا وبالمنطق منفعة ان جعل الا الكلام سبيل تهليله وتحميده والدال على معالم دينه وشرائع ايمانه والدليل على رضوانه ولم يرض من أحد من خلقه ايمانا إلا بالاقرار وجعل مسلكه اللسان ومجراه فيه البيان وصيره المعبر عنك ما تضمره والمبين عنك ما تحجره والمنبئ عنك مالا تستطيع بيانه الا به وهو ترجمان القلب والقلب وعاء وراع ولم يحمد الصمت من أحد الا توقيا لعجزه عن ادراك الحق والصواب في اصابته المعنى وانما قاتل النبي صلى الله عليه وسلم المشركين عند جحدهم الله تعالى وانكارهم اياه ليقروا به فاذا قالوه حقنت دماؤهم وحرمت أموالهم ورغبت دمنهم ولو أنهم سكتوا صما بدينهم لم تكن سبيلهم الا القطع فاعلم أن الكلام من أسباب الخير لا من أسباب الشر والكلام أنالك الله سبيل التمييز بين الناس والبهائم وسبب المعرفة لفضل الآدميين على سائر الحيوان قال الله عز وجل (ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر) كرمهم باللسان وحملهم بالتدبير ولو لم تكن الكلام لما استوجب أحد النعمة ولا أقام على أداء ما وجب عليهم من الشكر سببا للزيادة وعليه لا تجاز قلوب العباد والشكر بالاظهار في القول والابانة باللسان ولا نعرف الشكر الا بهما والله تعالى يقول (لئن شكرتم لأزيدنكم) فجعل الشكر علة لوجوب الزيادة عند اظهاره بالقول والحمد مفتاحا للنعمة وقد جاء في بعض الآثار لو أن رجلا ذكر الله تعالى وآخر يستمع له كان المعدود للمستمع من الأجر والمذكور

له من الثواب واحد وللمتكلم به عشرة أو أكثر فهل يرى أمالك الله أنه
وجب لصاحب العشرة ذلك وفضل به على صاحبه الا عند استعماله بالنطق
به على لسانه ولم يلزم الصمت أحد الا على حسب وقوع الجهل عليه فأما اذا
كان الرجل منها بمرأ عالما مفوها فالصمت مهجن لعلمه وساتر لفضيلة
كالعداحه لم تستبن نفعها دون برسدها ولذلك قيل من جهل علما عاداه
(فصل منها) ولم أحد الصابت مستمانا به فى شىء من المعانى ولا مذكورا في
المحافل ولم يذكر الخطباء ولا قدمهم الوفود عند الخلفاء الالما عرفوه من
فضل لسانهم وفضيله بيانهم وان أصح ما يوجد فى المعقول وأوضح ما يعد
فى المحصول للعرب من الفضل فصاحتها وحسن منطقها بعد فضائلها
المذكوره وأيامها المشهوره ولفضل الفصاحه وحسن البيان بعث الله تعالي
أفضل أنبيائه وأكرم رسله من العرب وجعل لسانه عربيا وأنزل عليه قرآنه
عربيا كما قال الله تعالى بلسان عربى مبين فلم يخص اللسان باللسان ولم
يحمد بالبرهان الا عند وجود الفضل فى الكلام وحسن العباره عند النطق
وحلاوه اللفظ عند السمع واعلم ان الله تعالى لم يرسل رسولا ولا بعث نبيا
الا من كان فضله فى كلامه وبيانه كفضله على المبعوث اليه فكان النبى
صلى الله عليه وسلم أفصح العرب لسانا وأحسنهم بيانا وأسهلهم مخارج
للكلام وأكثرهم فوائد من المعانى لانه كان من جماهير العرب مولده
فى بنى هاشم وأخواله من بنى زهره ورضاعه فى بنى سعد بن بكر
ومنشأه فى قريش ومتزوجه فى بنى أسد بن عبد العزى ومهاجرته الى بنى
عمرو وهم الأوس والخزرج من الأنصار وقد قال النبى صلى الله عليه

وسلم أنا أفصح العرب بيد أني من قريش ونشأت في بني سعد بن بكر ولو لم يكن مما عددنا هؤلاء الأحياء الا قريش وحدها لكان فيها مسمعى عن غيرها وكفاية من سواها لأن قريشاً أفصح العرب لسانا وأفضلها بيانا وأحضرها جوابا واحسنها بديهة واجمعها عند الكلام فانما ثم للعرب أيضاً خصال كثيرة ومشاهد كثيرة مما بينا كل هذا الباب ويضارع هذا المثال حذف ذكرها وذكرت الطويل منها

(فصل منها) فهذه كلها دليل على دحض حجتك

ونقض قضيتك وانما أرسل الله تعالى رسله مبشرين

ومنذرين الأمم وامرهم بالابلاغ للزومهم

الحجة بالكلام لا بالصمت اذ لا يكون

للرسالة بلاغ ولا للحجة لزوم

ولا للعلة ظهور الا

بالنطق والله أعلم

﴿ تمت الرسالة الخامسة بحمد الله وعونه ويليها الرسالة السادسة ﴾

﴿ في مدح التجار وذم عمل السلطان ﴾

الرسالة السادسة

في مدح التجار وذم عمل السلطان

(للعلامة الشهير والفهامة الكبير الاستاذ أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ)

بسم الله الرحمن الرحيم

أدام الله لك السلامة وأسعدك بالنعمة وختم لك بالسعادة وجعلك من الفائزين فهمت كتاب صاحبك ووقفت منه على بعد في القول وحيف في الحكم وسمعت قوله وهو على حال جائر وطريقه طريقهم وكتبه تشاكل كتبهم وألفاظه تطابق ألفاظهم وكذلك حالنا وحال أصحاب كتابك فيما تسخطه من أمرنا اني لاعذر منه وأستنكف من لانتساب اليه بل استحي من الكتابة وأستنكف بأن انسب اليها من البلاغة أن أعرف بها في غير موضعها ومن السطع أن تظهر في ومن الضعة أن تعرف في كتبي ومن العجب تكثير ما تكون في وقد أنكره ذلك أهل المروءة والأنفة وأهل الاختيار للصواب والصد عن الخطأ حتى أن معاوية مع تخلفه عن مراتب أهل السابقة املى كتابا الى رجل فقال فيه لهو اهون على من ذره او كلب من كلاب الحرة ثم قال امح من كلاب الحرة واكتب من الكلاب كأنه كره اتصال الكلام والمزاوجة وما أشبه السجع ورأى انه ليس في موضعه (فصل منه) وهذا الكلام لا يزال يجيء من حشوة اتباع السلطان فأما عليتهم وخاصتهم وذو البصائر والتمييز منهم ومن فيه الفطنة وازهمه الادب وأرهفه طول التفكير وجرى فيه الحياء واحكمته التجارب فعرف العواقب واحكم

المفصل وسطو عوامض التحصيل فانهم يعرفون فضيلة التجار ويتمنون حالهم ويحكمون لهم بسلامة الدين وطيب الطعمة ويعلمون أنهم أورع الناس أبدا وأهنأهم عيشا وآمنهم سربا لانهم فى أفنيتهم كالملوك على اسرتهم يرغب اليهم أهل الحاجات ويسرع اليهم ملتمسو الساعات لا يلحقهم الذلة فى مكاسبهم ولا يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم وليس هكذا من لابس السلطان بنفسه وقاربه بخدمته فان أولئك لباسهم الذلة وشعارهم الملق وقلوبهم ممن هم لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب وألفها الذل وصحبها ترقب الاحتياج فهم مع هذا فى تكدر وتنغص خوفا من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب وتغير الدول واعتراض حلول المحن فان هى حلت بهم وكثيرا ما تحل فاهلك بهم مرحومين يرى لهم الاعداء فضلا عن الاولياء فكيف لا يغتبط من هذا تمرة احتياره وغاية تحصيله وبين يديه الوفاء والدعة وسلم من البوائق مع كثرة الاراء وصفاء اللذات من غير منة لاحد ولا منة يعتد بها وكم بين من هو من نعم المفضل خلى وبين من قد استرقه المعروف واستعبده الطمع ولزمه ثقل الصنيعة وطوق عنقه الامتنان واسترهن بتحمل الشكر (فصل) منها وقد علم المسلمون ان خيرة الله تعالى من خلقه وصفيه من عباده والمؤتمن على وحيه من أهل بيت التجارة وهي معولهم وعليها معتمدهم وهى صناعة سلفهم وسيرة خلفهم ولقد تعلمك بسائلهم ووصفت لك جلادتهم وتعبت لك أحلامهم وتصدر لك سخاؤهم وضيافتهم وبذلهم ومواساتهم وبالتجارة كانوا يعرفون ولذلك قال كاهنة اليمن لله در الديار لقريش التجار وليس فوقهم فرى كموطهم

هاشمي وزهري وتيمي لانه لم يكن لهم أب يسمى قريشا فينتسبون اليه ولكنه اسم اشتق لهم من التجارة والتقريش فهو أفخم أسمائهم واشرف أنسابهم وهو الاسم الذي نوه الله تعالى به في كتابه وخصهم به في محكم وحيه وشرفه لهم بجعله قرآنا عربيا يتلى في المساجد ويكتب في المصاحف ويجهر به في الفرائض وخطوه على الجدب والخالص ولهم سوق عكاظ (وفيهم يقول أبو ذؤيب)

اذا ضربوا القباب على عكاظ * وقام البيع واجتمع الألوف

وقد عبر النبي صلى الله عليه وسلم وآله برهة من دهره تاجراً وشخص فيه مسافراً وباع واشترى حاضراً والله أعلم حيث يجعل رسالته ولم يقسم الله مذهبا رضيا ولا خلقا زكيا ولا عملا مرضيا الا وحظه منه أوفر الحظوظ وقسمه فيه أجزل الأقسام واشهره أمره في البيع والشراء قال المشركون (مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق) فأوحى الله اليه وما أرسلنا قبلك من المرسلين الا انهم ليأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فاخبر ان الانبياء قبله كانت لهم صناعات وتجارات (فصل منها) وان الذي دعا صاحبك الى ذم التجارة توهمه قلة تحصيله انها تنقص من العلم والادب وتقطع دونهما وتمنع منهما فأي صنف من العلم لم يبلغ التجار فيه غايته أو يأخذوا منه نصيبا او يكونوا رؤساء أهله وعليتهم هل كان في الناس أعلم من سعيد بن المسيب أو أنبل وقد كان تاجراً يبيع ويشتري وهو الذي يقول ماقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي رضوان الله عليهم قضاء الا وقد علمته

وكان أعبر الناس للرؤيا وأعلمهم بأنساب قريش وهو من كان سمى وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واله وهم متوافرون وله بعد علم بأخبار الجاهلية والاسلام مع خشوعه وشدة اجتهاده وعبادته وأمره بالمعروف وجلالته في أعين الخلفاء وتقدمه على الحارث ومحمد بن سيرين في فقهه وورعه وطهارته ومسلم بن يسار في علمه وعبادته واشتغاله بطاعة ربه وأيوب السختياني ويوسف بن عبيد في فضلها وورعهما (فصل في رياضة الصبي) وأما النحو فلا تشغل قلبه منه الا بقدر ما تؤديه الى السلامة من فاحش اللحن ومن مقدار جهل العوام في كتاب كتبه وشعر إن أنشده وشيء إن وصفه وما زاد على ذلك فهو مشغلة عما هو أولى به ومذهل عما هو أرد عليه منه من رواية المثل الشاهد والخبر الصادق والتعبير البارع وإنما يرغب في بلوغ غايته ومجاوزة الاقتصار فيه من لا يحتاج الى تعرف جسيمات الأمور والاستنباط لغوامض التدبير ولمصالح العباد والبلاد والعلم بالأركان والقطب التي تدور عليه الرحا ومن ليس له حظ غيره ولا معاش سواه وعويص النحو لا يجدي في المعاملات ولا تضطر اليه شيء أشر الرأي أن تعمد به في حساب العقد دون حساب الهند ودون الهندسة وعويص ما يدخل في المساحة وعليك في ذلك بما يحتاج اليه كفاة السلطان وكتاب الدواوين وأنا أقول إن البلوغ معرفة الحساب الذي يدور عليه العمل والتوفيق فيه والسبب اليه أرد عليه من البلوغ في صناعة المحررين ورؤوس الخطاطين لأن في أدنى طبقات الخط مع صحة الهجاء بلاغا وليس كذلك حال الحساب ثم حده شعر ثم خرج الكتاب

وتخلصهم باللفظ السهل القريب المأخذ الى المعنى الغامض وأدبه حلاوة الاختصار وراحة الكفاية وحذره التكلف واستكراه العبارة فان أكرم ذلك كله ما كان ابهاما للسامع ولا يحوج الى التأويل والتعقب ويكون مقصوراً على معناه لا مقصراً عنه ولا فاضلا عليه فاخير من المعانى ما لم يكن مستوراً باللفظ المتعقد مغرقا في الاكثار والتكلف فما أكثر من لا يحفل باستهلاك المعنى مع براعة اللفظ وغموضه على السامع بعد أن يتسق له القول وما زال المعنى محجوبا لم تكشف عنه العبارة فالمعنى بعد مقيم على استخفائه وصارت العبارة لغواً وظرفا خاليا وشر البلغاء من هيأ رسم المعنى قبل أن يهيئ المعنى عشقا لذلك اللفظ وشغفا بذلك الاسم حتى صار يجر اليه المعنى جراً ويلزقه به الزاقا حتى كان الله تعالى لم يخلق لذلك المعنى اسما غيره ومنعه الافصاح عنه الا به والآفة الكبرى أن يكون ردئ الطبع بطئ اللفظ كليل الحد شديد العجب ويكون مع ذلك حريصا على أن يعد في البلغاء شديد التكلف لانتحال اسم الأدبا فاذا كان كذلك حتى عليه فرق ما بين اجابته الألفاظ واستكراهه لها وبالجملة ان لكل معنى شريف أو وضيع هزل أو جد او حزم أوضاعة ضربا من اللفظ هو حقه وحظه ونصيبه الذي لا ينبغي أن يجاوزه أو يقصر دونه ومن قرأ كتب البلغاء وتصفح دواوين الحكماء ليستفيد المعانى فهو على سبيل صواب ومن نظر فيها ليستفيد الالفاظ فهو على سبيل الخطأ والخسران هاهنا فى وزن الربح هناك لان من كانت غايته انتزاع الالفاظ حمله الحرص عليها والاستهتار بها الى ان يستعملها قبل وقتها

ونصبها في غير مكانها ولذلك قال بعض الشعراء لصاحبه أنا أشعر منك
قال صاحبه ولم ذاك قال لاني أقول البيت وأخاه وأنت تقول البيت وابن
عمه وانما هي رياضه وسياسه والرفق مصلح والآخر مفسد ولا بد من
هدي وطبيعه مناسبه وسماع الألفاظ ضاره ونافعه فالوجه النافع أن
تدور في مسامعه وتغيب في قلبه وتختم في صدره فاذا طال مكثها
تناكحت ثم تلاقحت فكانت نتيجتها أكرم نتيجه وثمرتها أطيب ثمره لانها
حينئذ تخرج غير مسترقه ولا مختلسه ولا مغتصبه ولا داله على فقر اذ لم
تكن القصد الى شيء بعينه والاعتماد عليه دون غيره وبين الشيء اذا عشش
في الصدر ثم باض ثم فرخ ثم نهض وبين أن يكون الخاطر مختاراً واللفظ
اعتسافا وغصبا فرق بين ومتى اتكل صاحب البلاغه على الهوينا
والوكال وعلى السرقه والاحتيال لم ينل طائلا وشق عليه النزوع واستولى
عليه الهوان واستهلكه سوء العاده والوجه الضار أن يحفظ ألفاظا
بأعيانها من كتاب بعينه أو من لفظ رجل ثم يريد أن يجد لتلك الالفاظ
قسمها من المعاني فهذا لا يكون مخلا فقيراً وخائنا سروقا ولا يكون الا
مستكرها لالفاظه متكلفا لمعانيه مضطرب التأليف منقطع النظام فاذا
مر كلامه بنقاد الالفاظ وجهابذه المعاني استخفوا عقله وبهرجوا علمه ثم
اعلم ان الاستكراه في كل شيء سمج وحيث ما وقع فهو مذموم وهو
في الطرف أسمج وفي البلاغه أقبح وما أحسن حاله ما دامت الالفاظ
مسموعه من فمه مسروده في نفسه ولم يكن مخلده في كتبه وخير
الكتب ما اذا أعدت النظر فيه زادك في حسنه أوقفك على حده

الرساله السابعه

في العشق والنساء

لمؤلفها العلامه الدهر والفهامه الكبير الاستاد أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

إنا لما ذكرنا في كتابنا هذا الحب الذي هو أصل الهوى والهوى الذي يتفرع منه العشق والعشق الذي يهيم له الانسان على وجهه أو يموت كمداً على فراقه وأول ذلك ادخال الضيم على مروءته واستشعار الذله لمن أطاف بنفسه ولم نطنب في ذلك في ذكر ما تشعب من أصل الحب من الرحمه والرقه وحب الاموال النفيسه والمراتب الرفيعه وحب الرغبه للأئمه وحب المصطنع لصاحب الصنيعه مع اختلاف مواقع ذلك من النفوس ومع تفاوت طبقاته في العواقب احتجنا الى الاعتذار من ذكر العشق المعروف بالصبابه والمخالفه على قوة العزيمه ليحمل ذلك العذر عنه دون من حاول الطعن على هذا الكتاب وسخف الرأي الذي دعا الى تأليفه والاشاره بذكره اذ كانت الدنيا لا تملك من حاسد باغ ومن قائل متكلف ومن سامع طاعن ومن منافس مقصر كما انها لا تملك من ذي سلامه مسلم ومن عالم معلم ومن عظيم الخطر حسن المحضر شديد المحاماه عن حقوق الادباء قليل التسرع الى اعراض العلماء وانما العشق اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه حب وليس كل حب يسمى عشقا وانما العشق اسم للفاضل عن ذلك المقدار كما ان السرف اسم لما زاد على

المقدار الدى نسمى حودا والنحل اسم لما سمص عن المقدار الدى نسمى امصادا والحس اسم لما مصر عن المقدار الدى نسمى سحاعه وهدا القول طاهر على السه الأدباء مسعمل فى سان الحكماء وقد قال عروه بن الرسر والله إنى لاعشـق السرف كما نعسق المرأه الحسناء ودكر نعص الناس رحلا كان مـدقعا محروما ومنحوس الحظ ممنوعا فقال ما رأس أحدا عشق الررق عسقه ولا أنعصه الررق نغصه فدكر الاول عسق الشرف ولس الشرف بامرأه ودكر الآخر عسق الررق والررق اسم حامع لجمع الحاحات وقد تسعمل الناس الكنابة وربما وصعوا الكلمـه بدل الكلمه يريدون أن نطهروا الدى بانس اللفظ إماسونهاواماقصلا كما سموا المعـرول عن ولاىه مصروفا والمنهرم عن عدوه متحارا نعم حى سمي نعصهم النحل مقصدا ومصلحا وسمى عامـل الخـراج المتعدى نحو السلطان مستقصيا ولمـا رأنا الحب من اكبر أسـباب جماع الخير ورأنا النعص من اكبر أسباب الشر احببنا أن ندكر أبواب السبب الحالب للخير ليفرق بىنه وبين أبواب السبب الحالب للسر حى ندكر أصولهما وعللهما الداعـيه اليهما والموجـبه لـكونهما فتأملنا سأن الدنيا فوحدنا أكبر نعمها وأكمل لداتها ظفر المحب بمحبته والعاسـق نطلبته ووحـدنا شهوه الطالب المـكدى وعمه فى ورن سعاده الطالب المنجح وسروره ووحدنا العسق كلما كان أرسح وصاحبه به اكلف فان موقع لده الظفر منه أرسح وسروره بدلك ابهج فان رعم راعم ان موقع لده الظفر بالعدو المرصـد أحسن من موقع لده الظفر من العاسـق الهائم

لعشقته فلما انا قد رأينا الكرام والحلماء وأهل السودد والعظماء ربما حادوا بفضلهم من لذة سفاء الغيظ ويعدون ذلك زيادة فى نبل النفس وبعد الهمة والقدر ويجودون بالنفائس من الصامت والناطق وبالثمين من العروض وربما خرج من جميع ماله وآثر طيب الذكر على الغنى والثروة ولم نر العاشق يسخو بمعشوقه ولا يجود لشفيق نفسه ولا لوالد ولا لولد بار ولا لذى نعمة سابغة يخاف سلبها وتصرف احسانه عنه بسببها ولم نر الرجال يهبون للرجال الا ما لا بال له فى جنب ما يهبون للنساء حتى كان العطر والصبغ والخضاب والكحل والسفّ والقص والتحذيف والحلق ويجويد الثياب وتنظيفها والقيام عليها وتعهدها مالم يتكلفوه الا لهن ولم يقدموا فيه الا من اجلهن وحتى كان الخيطان الرفيعة والابواب الوثيقة والستور الكثيفة والخصيان والظؤورة والحشوة والخواص لم تتخذ الا للصون لهن والاحتياط بما يجب من حفظ النعمة فيهن (فصل منه) وباب آخر وهو أنا لم نجد أحداً ممن عشق والدته ولا ولده ولا من عشق مراكبه ومنزله كما رأيناهم يموتون من عشق النساء الحرام قال الله تعالى (زين للناس حب الشهوات من النسا والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث) فقد دل تبارك وتعالى على جملة أصناف ماخولهم من كرامته ومن عليهم من نعمته ولم نر الناس وجدوا بشئ من هذه الاصناف وجدهم بالنساء ولقد قدم ذكرهن فى هذه الآية على قدر تقديمهن فى قلوبهم فان قال قائل فقد نجد الرجل الحليم والشيخ الركين يسمع الصوت المطرب من المغنى

المصب فسمله دلك الى طبع الصدان والى أفعال المحاسن فسق حسه ويمص حونه وىمد ى عره وىرمص كما ىرقص الحدب العرىر والشاب السمه ولم ىحد أحدا فعل دلك عىد رؤىه معسوقه فلىا إما واحده فاىه لم ىكں لىدع الشاعل لسمها وىوسمها واحصاها وىعىل قدمىها والمواصع الى وطىٔت علىها وىشاعل بالرقص المىاں لها والصراح الشاعل عىها فاما حل الحىوه والىدحصرا عىد رؤىه الحىىة فان هدا ما لا ىحىاح الى د كره لوحوده وكىره اسعىالهم له فكىف وان هو حلا ىمعسوقه قطں ان لده العىاء ىسعل ىمقدار العسر من لدىه ىل رىما لم ىحطر له دلك العىاء على ىال وعلى ان دلك الطرب ىحار عىر لاىث وطاعں عىر معىم ولده المعاسىقں راكده للأىد مقىمه عىر طاعىه وعلى أن العىاء الحسں من الوحه والىدں الحسں أحسں والعىاء السهى من الوحه السهى والىدں السهى أسهى وكدلك الصوت الىاعم الرحىم من الحارىه الىاعمه الرحىمه وكم ىں ان ىعدى ادا ساع فىك الطرب مملوكك وىں ان ىعدى أمىك وكم ىں ان ىسمع العىاء من فم ىسىهى أن ىعىله وىں فم ىسىهى ان ىصرف وحهك عىه وعلى أن الرحال دحلاء على العىاء فى العىاء كما رأىىا رحالا ىىوحىون فصاروا دحلاء على النوائح وىعد فاىما أحسں وأملح وأسهى وأعحى ان ىعىىك حلى ملىف اللحىه كىف العارصىں أو سىح مىحلع الاسىان معصن الوحه ثم ىعىىك ادا هو ىعى ىسعر ورفاء ىں رهىر

رأىىت رهىراً ىحت كلكل حالد ... فأوىلت أسعى كالعحول أىادر

أم ىعىىك حارىه كأىها طاقه ىرحس أو كأىها ىاسمه او كاىها

حرطب من نافونه أو من قصة مجلوه نسعر عكاشه ن محصن

من كف حارية كأن ساهما | من فصه فد طرفت عاناا
وكأن عمـاها اذا نطقت به | ألف على بده الشمال حاانا

(فصـل) منه فأما الغناء المطـرب في السـر العرل فانما دلك من حقوق النساء وإنمـا سمى ان نغنى نأسعار العرل والنشدب والعسق والصبانه بالنساء اللواتى فهن نطقت تلك الاسـعار وبهن شبت الرحال ومن أحلهن تكلفوا القول فى التشبيب ونعد فكل شئ وطنه وسكله ولفقـه حى تخرج الامور مورونه معدله ومساونه مخلصـه ولو أن رحلا من أدمث الناس وأسدهم تلخيصا لكلامه ومحاسبه لنفسه ثم حلس مع امرأه لا رن سطق ولا تعرف تحسن حدىث ثم كان نفسها لسانح سهما من الاحادىث وللافح سهما من المعانى والالفاظ ما كان لا يحرى نس دعمل ن حنطله و نس نسار ن الحمره وانما هذا على قدر تمكن العرل فى الرحل (فصل) منه والمرأه انصاً أرفع حالا من الرحل فى أمور منها انها الى تخطب وىراد وتعسـى وتطلب وهى الى تفدى وتحمى قال عنبسـه ابن سعيد للحجاج ن يوسف نفدى الامير أهله قال والله ان تفدونى الا سطانا والله لربما رانى أمل رحل احداهن (فصل) منه وانمـا تملك المولى من عـده ندنه فأما قلبه فليس له عليـه سلطان والسلطان نفسـه وان ملك رقاب الا ـه فالناس تختلفون فى حهه الطاعه فمنهم من نطبع بالرغبه ومنهم من نطيع بالرهبـه ومنهم من تطبع بالمحبـه ومنهم من نطيع الدىانه وهده الاصناف وان

كان أفضلها طاعه الديانه فان تلك المحبه مالم يعارضها هوى لم تقو على صاحبها قوه العشق وفي الأثر المستفيض والمثل السائر ان الهوى يعمى ويصم فالعشق مثل (فصل منه) ومما يستدل به على عظم شأن النساء أن الرجل يستحلف بالله الذى لا شئ أعظم منه وبالمشى الى بيت الله وبصدقه ماله وعتق رقبته فيسهل ذلك عليه ولا يأنف منه فان استحلف بطلاق امرأته ربد وجهه وطار الغضب في دماغه وامتنع ويعصى ويغضب ويأبى وان كان المحلف سلطاناً مهيباً ولم يكن يحبها ولا يستكثر منها وكانت نفسها سمجة المنظر دميمة الحسن حسيمة الصداق قليلة النشب ليس لهامن ذلك الا ما قد عظم الله تعالى من شأن الزوجات فى صدور الازواج

﴿فصل منه فى ذكر العشق﴾

ورجلان من الناس لا ينشآن عشق الاعراب احدهما المفكر المدقع فان قلبه يشغل عن التوغل فيه وبلوغ اقصاه والملك الضخم الشأن لان فى الرياسة الكبرى وفى حوار الأمر ونفاذ النهى وفى ملك رقاب الأمم مايشغل شطر قوى العقل عن التوغل فى الحب والاحتراق فى العشق (فصل منه) كثيراً مانرى العشاق والمحبين غير المحترقين كالرجل يكون له جاريه وقد حلت من قلبه محلا وعكفت منه مكانا لا يجب أصل ذلك الحب العصبة بعرض وكثرة التأذى بالخلاف يكون بها فيجد الفترة عنها لبعض هذه الحالات التى تعرض فيظن انه قد سلا أو يظن انه فى عزائه عنها على فقدها محتملا بيعها ان كانت أمه أوطلاقها ان كانت زوجه فلا يلبث ذلك الغضب ان يزول وذلك الاذى أن ينسى ويحرك له الدفائن ويثير ذلك

العرس فدمعها فلبه فاما أن نسترجع الأمه من مساعها باصعاف ثمنها أو نسترجع الروجه بعد ان نكحت فان نصبر وأمكنه الصبر لم يزل معدنا وان أطاع هواه واحتمل المكروه فهذا هو العاقل والنكس فليحذر الحازم المصره تجدها فى حب حدبه والعصبه التى نسيه عواقب أمره (فصل منه) قال ابراهيم بن السندى حدثنى عبد الملك بن صالح قال له سا عيسى ابن موسى قد خلا نفسه وهو قد كان استكثر من النساء حتى انقطع اذ مرت به جاريه كأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها جماره وكأنها قضيب فضه فتحركت نفسه وخاف ان تتجدد له قوله ثم طمع فى القوه لطول الترك واجتماع الماء فلما صرعها وجلس منها ذلك المجلس خطر على باله عن عجز كيف تكون حاله فلما فكر فتر فاقبل كالمخاطب لنفسه فقال انك لتطلبنى هذا المجلس وتحملنى على هذا المركب ثم تخذلنى هذا الخذلان وتمشى مثل هذا الذل ولولا خزيه الخجل لما استعمل ما فعل وذلك انه حين رأى ان أبلغ الخجل فى بوهمها ان العجز لم يكن من قبله أن تقول لها تعرضين لى وأنت هله ثم لا تروحين بادنك ولا تستهدفين لسيدك ولا تثنين على نفسك حتى كأنك عبد عبد نسيك أو سوقه لا قدر الا على ملك اما لو كنت من بنات ملوك العجم لا لقاك سيدك على اجود صنعه وعلى أحسن طاعه اذ كل رجل ينشط للممتنع مع البذل (فصل منها) ولم أسمع ولم أر فى الاحاديث المولده فى شأن العشاق فى القلوب والاكباد والاحشاء والزفرات والحنين وفى الذله والوله ومتى تسعد الدمعه ومتى تورث العين الجمود (فصل منه) ونحن وان رأينا ان فضل الرجل على المرأه فى

حمله القول فى الرجال والنساء أكثر وأظهر فليس ينبغى لنا ان لا نقصر فى
حقوق المرأه وليس ينبغى لمن عظم حقوق الآباء أن يصغر حقوق
الأمهات وكذلك الاخوه والاخوات والبنون والبنات وانا وان كنت
أرى ان حق هذا أعظم فان هذه أرحم (فصل من احتجاجه للاماء) قال
بعض من احتج للعله التى من أجلها صار أكثر الاماء أحظى عند الرجال
من أكثر المهيرات ان الرجل قبل أن يملك الامه قد تأمل كل شئ منها
وعرفه ماخلا حظوه الخلوه فاقدم على ابتياعها بعد وقوعها بالموافقه والحره
انما تستشار فى جمالها النسا والنساء لا يبصرن من جمال النساء وحاجات
الرجال وموافقتهن قليلا ولا كثيرا والرجال بالنساء أبصر وانما تعرف
المراه من المراه ظاهر الصفه وأما الخصائص التى تقع بموافقه الرجال فانها
لا تعرف ذلك وقد تحسن المرأه ان تقول كان أنفها السيف وكان عينها
عين غزال وكان عنقها ابريق فضه وكان ساقها جماره وكان شعرها العناقيد
وكان أطرافها المدارى وما أشبه ذلك وهناك أسباب أخرى بها يكون الحب
والبغض (فصل منه) وقد علم الشاعر وعرف الواصف ان الجاريه الفائقه
الحسن أحسن من الظبيه وأحسن من البقره وأحسن من كل شئ تشبه ولكنهم
اذا أرادوا القول شبهوها بأحسن ما يجدون ويقول بعضهم كأنها الشمس
وكأنها القمر والشمس وان كانت بهيه فانما هى شئ واحد وفى وجه الجاريه
الحسناء وخلقها ضروب من الحسن الغريب والتركيب العجيب ومن يشك
ان عين المرأه الحسناء أحسن من عين البقره وان جيدها أحسن من جيد
الظبيه والأمر فيما بينهما متفاوت ولكنهم لو لم يفعلوا هذا وشبهه لم يظهر

بلاعهم وقطعهم

﴿ فصل منه ﴾ ورأيت أكثر الناس من أهل البصر بجواهر النساء الذين هم جهابذة هذا الأمر يقدمون المجدولة والمجدولة من النساء تكون في منزلة بين السمينة والممشوقة ولا بد من جودة القد وحسن الخرط واعتدال المنكبين واستواء الظهر ولا بد من ان تكون كاسية العظام بين الممتلئة والقضيفة وانما يريدون بقولهم مجدولة جودة العصب وقلة الاسترخاء وان تكون سليمة من الزوائد والفضول ولذلك قالوا خمصانة وسيفانة وكأنها جان وكأنها جدل عنان وكأنها قضيب خيزران والتأني في مشيتها أحسن ما فيها ولا يمكن ذلك الضخمة والسمينة

وذات الفضول والزوائد على ان النحافة في المجدولة أعم وهي

بهذا المعنى أعرف ولم أر المجدولة (١) أعم وهي بهذا الذي يحسن

على أصحاب السمان الضخام وعلى اصحاب الممشوقات

والقضاف كما يحسن هذه الاصناف على

أصحاب المجدولات ووصفوا المجدولة

بالكلام المنثور فقالوا اعلاها

قضيب وأسفلها كثيب

******

﴿ تمت الرسالة التاسعة في العشق والنساء ﴾

(وتليها الرسالة العاشرة في الوكلاء)

---

(١) قوله ولم ار المجدولة اعم هذه الجملة كأنها كتبت حاشية على الكتاب فادخلها النساخ في الاصل

الرساله الثامنه

في الوكلاء

لمولفها العلامه الشهير والفهامه الكبير الاستاذ ابى عثمان عمرو بن محبوب المعروف بالجاحظ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

وفقك الله للطاعه وعصمك من الشبهه وأفلجك بالحجه وختم لك بالسعاده عرفت أصلحك الله تعالى أرمان وأنت عندى ممن لا يعصى القول الا بعد التثبت ولا يخرج الكتاب الا بعد التصفح وكنت حريا بهيئة الرأى المطير حذراً ان تمل نفسك عامه التفريط ولولا كثره مرور أيام المطالبه عليك لما ثقل عليك التثبت ولولا قصر أيام التحصيل لما وثقت بأول خاطر ولولا سوء العاده لما كذبك رائد النظر واتهمت الرأى واعتزام الغضبان تهور الاعمار فان الغضبان اسوأ اثراً على نفسه من السكران ولولا ان نار الغضب تخبو قبل افاقه المعتوه وضباب السكر ينكشف قبل انكشاف عزوب عقل المدله وان حكم الطاعن خلاف حكم المقيم وقصه الحمار خلاف قصه المالك لكانت حال الغضبان أسوء معه وجهله أوفى على ان الحكم له الرجم والناس له ألوم وما أكثر ما تقحم الغضب المقاحم التى لا تبلغها جنايه الجنون وفرط جهل المصروع

فصل منه وان الغمر لا تكون الا عدم الآله منقطع الماده برى الغى رشداً والغلو قصداً فلو كنت اذ جنت لم تقم على الجنايه واذ عزمت على القول لم تخلده فى الكتب واذ خلدته لم تظهر الدجج به

والاستبصار فيه كان علاج ذلك اليسر وكاشأنا سمهلك انصر فأحرى
الله التصميم الا مع الحزم والاعتزام الا بعد التثبت والعلم الا مع القريحة
المحموده والنظر الا مع استقصاء الرويه وأحلق بمن كان في صفتك وأحر
بمن جرى عن درسك ان لا يكون سبب تسرعه وعله تشجعه الا من
ضيق الصدر ، وجميع الخير راجع الى سعه الصدر . وقد صح الآن ان سعه
الصدر أصل وما سوى ذلك من أصناف الخير فرع وقد رأيتك حفظك
الله تعالى جوّابت جميع الوكلاء وجربهم وسهب على جميع الوراقين
وظلمهم وعمت جميع المعلمين وهجوتهم وحفظت مساويهم ونسيت
محاسنهم واقتصرت على ذكر مثالب الأعلام والجلة حتى صوبت نفسك
عند السامع لكلامك ولقاري كتابك انك ممن ينكر الحق جهلاً أو
تتركه معانده له وقد علم الناس ان من تركه جهلا به أصغر إثما ممن تركه
عمداً ولعمري ان العلم لطوع بذلك والمتصرف مع خواطرك والمستملي
من بديهتك كما تستملي من غيره فكرك والمحصل من رويتك ولكن
الرأي لك ان لا تثق بما يرسمه لك العلم في الخلا وتوفاه في الملا اعلم انك
متى تعرضت بعلمك استرسلت اليه ومتى اتهمت نفسك على بواجم خواطرك
فقد امكنت العدو من ربقة عنقك وثنيه الطائع وركبت العوس والذي
جرت عليه العاده إهمال النفس في الخلا واعمالها في الملا فمتوقف عند العاده
واتهم النفس عند الاسترسال والامنه قال ابن هرمه

ان الحديث تغر القوم خلوته حتى يكون له عيّ واكثار

وانس السيئ العجب وحسن الظن بالبديهه واعلم ان هذه الحال التي

ان نصبها لشأنك هي أسة العدو وبهره الخصم ومتى أبرزت كتابك على هذه الصوره وأفرغته هذا الافراغ ثم سكنه هذا السك فليس لعدوك حاجه الى الكذب عليك وقول الزور فيك لانك قد مكنه من عرضك وحكمه في نفسك ونعد فمن نعجز عن ء ب كتاب لم يحترس بالتثبت ولم يحصن بالتصفح ولم نعتّ بالمعاودة والنظر ولم تقلب فيه الطرف من جهة الاشفاق والحذر فكيف يوفق الله تعالى الواثق بنفسه والمستبد برأيه والتارك لأدب ربه ولما وصى به نبيه صلى الله عليه وسلم حين قال لرجل خاصم عنده رجلا فقال في بعض كلامه حسبي الله فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم ابل الله من نفسك عذراً فاذا غلبك أمر فقل حسبي الله ورعمت في أول تشنعك عليهم فقلت قال يعقوب بن عبد لبعض ولده حين قال له في مرضه أي شيء تشتهي قال كبد وكبل وقد كان ترك التجاره من سوء معاملتهم وخبث ضمائرهم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

﴿ تمت الرسالة الثامنة في الوكلاء ﴾

(وتليها الرسالة التاسعة في استنجاز الوعد)

الرسالة التاسعة

في استنجاز الوعد

لمؤلفها العلامة الشهير والفهامة الكبير الاستاذ أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

قد شاع الخبر وسار المثل بقولهم اطلبوا الحاجات من حسان الوجوه فإن كان الوجه انما وقع على الوجه الذي فيه الناظر والسامع والسائل والدائن اذا كان حسناً جميلا وفسيحاً بهياً فوجهك الذي لا يحسد عن أحد كماله ولا يخفى جماله وان كان ذكر الوجه انما يقع على حسن وجه الطلب وجماله على جهة الرغبة وان ذلك على طريق المثل وعلى سبيل اللفظ المشتق من اللفظ والفرع المأخوذ من الأصل فوجه الطلب اليك أفضل الوجوه وأسناها وأصوبها وارضاها وهو المنهج الفسيح والمتجر الربيح وجماله ظاهر ونفعه حاضر وخيره عامر الا ان الله تعالى قرنه مع ذلك باليمن وسهله باليسر وحسنه بالبشر الحسن ودعا اليه لبس الحجاب وأظهر في أسمائكم وأسماء آبائكم وفي كناكم وكنى إخوانكم من برهان الفأل الحسن وبين الطيرة السيئة ما جمع لكم به صنوف الأمل وصرف النكم وجوه المطالب فاجتمع فيكم تمام القوام وبراعة الجمال والبشر عند اللقاء ولين الحجاب والكنف للخلطاء وفيه المدح بالمرتبة الرفيعة والزيادة في الانصاف عند النعمة الحادثة لحمل الناس وعدكم من أكرم الوعد وعقدكم من أوثق العقد وإطماعكم من أصح الانجاز وعلموا انكم تؤيسون

فى مواضع البأس ويطمعون فى مواضع الضمان وان الامور عندكم موزونه
معدله والاسباب مقدره محصلة هذا مع الصوله والتصميم فى موضع التصميم
والنقة أحزم والصفح اذا كان الصفح اكرم والرحمه لمن استرحم والعقاب
لمن صمم ثم المعرفه فرق ما بين اعتزام الغمر واعتزام المستبصر وفصل
ما بين اعتزام الشجاع والبطل وبين إقدام الجاهل المتهور وقد علم الناس بما
شاهدوه منكم وعاينوه من تدبير وعرفوه من تصرف حالا بكم انى لم
اتزيد لكم ولم اتكلف فيكم ما ليس عندكم وخير المديح ماوافق حال
الممدوح وأصدق الصفات ماشاكل مذهب الموصوف وشهد له أهل
العيان الظاهر والخبر المتظاهر ومتى خالف هذه القصه وجانب الحقيقه
صار المادح ولم يقع الممدوح هذا الى الثبات على العهد وإحكام العقد مع
الوفاء المحض والراي المصيب وتمام ذلك وكماله وسناء ذلك وبهائه وكثره
الشهود لكم واجماع الناس على ذلك فيكم ومن قيل لنفسه مديحاً لا يعرف
به كان كمادح نفسه ومن أثاب الكذابين على كذبهم كان شريكهم فى
إثمهم وسفههم في سخفهم بل كان المحتمل لكثره المحتمل لوزره اذ كان
المثيب عليه والداعي اليه معاذالله ان نقول الا معروفا غير مجهول ونصف
الا صحيحاً غير مدخول أو نكون ممن يتودد بالملق ويقتحم على أهل
الاقدار شرها الى مال أو حرصاً على قربة وابعد الله الحرص وأخزى
الشره والطمع فان شك شاك او توقف مرتاب فليعترض العامه وليتصفح
ماعند الخاصه حتى يتبين الصحيح وقالوا فى تأديب الولاة وتقديم تدبير
الكفاة اذا أبردتم البريد فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم فكيف اذا

قارن حسن الوجه وحسن الاسم كرم الضريبة وشرف العرق . وأعيان الأعراق الكريمة والاخلاق اذا استجمعت هذا الاستجماع واقترنت هذا الاقتران كان أتم للنعمة وادعى للفضيلة وكانت الوسيلة اليها أسهل والأخذ نحوها أقرب والأسباب امتن فاذا انتظمت في هذا السلك وجمعها هذا النظم كان الذي يرد المزيد أولى بها من المزيد وكان ممنوع البلاد أحق بها من حاسديه الكفاة اذ التأميل لا يجمع وجه الصواب ولا يحصي مخارج الأسباب ولا يظهر برهانه ويقوى سلطانه حتى يصيب المعدن ولن يكون موضع الرغبة معدنا الا بعد اشتماله على ترادف خصال الشرف وبعد ان سوابق الله معانى الكرم بالاعراق الكريمة والعادات الحسنة عن حادث تشهد لقادم وطارف يدل على تالد فاذا كان الأمل يخبر بالحسب فالحسب ثابت والمجد راسخ وان كان الشأن في صناعة الكلام وفي القدم والرياسة وفي خلف نابه عن سلف وآخر لماه عن أول كان فيكم مالا يذهب عنه جاحد ولا يستطيع جحده معاند

﴿ فصل منها ﴾ وأسماؤكم وكناكم بين فرح ونجح وبين سلامة وفضل ووجوهكم وفي أسمائكم وأخلاقكم وفي اعراقكم لم تضرب التفاوت فيكم بنصيب وبعد هذا فاني استعمر الله تعالى من تفريطي في حقوقكم واستوهبه طول رقدتي عما فرضه لكم ولا ضير إن كان هذا الذي قلنا على اخلاص وصحة عهد وعلى صدق سريرة وثبات عقد نبو السيف وهو حسام ويكبو الطرف وهو جواد وينسى الذكور ويغفل الفطن ونعوذ بالله تعالى من العمى بعد التبصرة والحيرة بعد لزوم الجادة كان أبو الفضل اعزه الله تعالى

على ما قد تلمسك من التبرع بالوعد وسرعه الانجاز وتمام الضمان وعلى الله تمام النعمه والعافية وكان أبده الله تعالى في حاجتي كما وصف زيد الخيل نفسه حين يقول

ومو عدتى حق كان قد فعلتها ... متى ما أعد شيئاً فانى لغارم

وبقول العرب من أشبه أباه فما ظلم بقول لم يضع الشبه الا في موضعه لانه لا شاهد أصدق على غيب نسبه وخفي محله من الشبه القائم الظاهر عليه وقد نقلت أبناك الله شبحك خلقه وخُلقه وفعله وعزمه وعزّ الشهامة والنفس التامه ومرجع الافعال الى الطبائع ومدار الطبائع على جوده النفس وقوه المنه وبهما تتم العزيمه وتنفذ البصيره هذا مع ما قسم الله لك من المحبه ومنحك من النعمه وسلمك عنه من الذمه والله لولم تكن فيكم من خصال الحرمه وخلال النفوس الأبيه الا انكم لا تدينون بالنفاق ولا تعتدون بالكذب ولا تستعملون الموازنه في موضع الاستقامة وحسب مجتنب النعمه ولا تكون حظ الاحرار بالمواعيد صرفاً ولا تتكلون على ملامة الطالب ولا عجز الراغب اذا استنفد أيامه وعجزت نفسه ومات أسبابه بل تعجلون لهم الراحه عند تعذر الامور والكم بالايناس وتحققون اطماعهم عند امكان الامور لكم بالانجاح

﴿ فصل منها ﴾ وانك والله أيها الكريم المأمول والمستعطف المسؤول لا تزرع المحبه الا وتحصد الشكر ولا تكثر المودات الا اذا كثرت للناس الأموال ولا تشبع لك طيب الاحدوثه وجمال الحال فى العسره الا بتجرع مرار المكروه ولن تنهض بأعباء المكارم التى توجبها النعمه وتفرضها

المرسة حى تستشعر المكر فى التخلص الى إعانتهم والقيام بحسن طبهم

وحى يرحمهم من طول الانتظار ويرق عليهم من موت

الأمل واحياء القنوط وحى سعلمل في دالك الجمل

اللطيفه والعبارة السديدة الشريعه وحى سوحى

الساعات وسهر المرض فى الحالات

ويتخير من الألفاظ أرقها

مسلكا وأحسنها قولا

وأجودها وقعا

والله تعالى

أعلم

﴿ تمت الرسالة التاسعه فى استنجاز الوعد ﴾

﴿ ويليها الرسالة العاشره فى بيان مذاهب الشيعه ﴾

الرساله العاشره

في بيان مذاهب الشيعه

لمؤلفها العلامه الشهير والفهامه الكبير الاستاذ أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ رحمه الله تعالى

اعلم يرحمنا الله تعالى واياك ان شيعه علي رضي الله تعالى عنه زيدية ورافضة وبقيتهم بدد لا نظام لهم وفي الاخبار عنهما غنى عمن سواهما قالت علماء الزيدية وجدنا الفضل في الفعل دون غيره ووجدنا الفعل كله في أربعة أقسام أولها القدم في الاسلام حين لا رغبة ولا رهبة الا من الله تعالى واليه ثم الزهد في الدنيا فان أزهد الناس في الناس أرغبهم في الآخرة وآمنهم على نفائس الأموال وعقائل النساء وإراقة الدماء ثم الفقه الذي به يعرف الناس مصالح دنياهم ومراشد دينهم ثم المشي بالسيف كفاحا في الذب عن الاسلام وتأسيس الدين وقتل عدوه واحياء وليه فليس فوق بذل المهجة واستفراغ القوة غاية يطلبها طالب أو يرغب فيها راغب ولم نجد قولا ثانيا فيذكر فلما رأينا هذه الخصال مجتمعة في رجل دون الناس كلهم وجب علينا تفضيله عليهم وتقديمه دونهم وذلك أنا سألنا العلماء والفقهاء وأصحاب الاخبار وحمّال الآثار عن أول الناس اسلاما فقال فريق منهم عليّ وقال قوم زيد بن حارثة وقال قوم خباب ولم نجد قول كل واحد منهم من هذه الفرق قاطعا لعذر صاحبه ولا ناقلا له عن مذهبه وان كانت الرواية في تقديم عليّ أشهر واللفظ به أكثر وكذلك اذا سألناهم عن الذابين عن الاسلام بمهجهم والماشين الى الأقران

لسبوقهم وحدناهم مختلفين فمن قائل بقول علي رضي الله تعالى عنه ومن
قائل بقول ابن عفراء ومن قائل بقول محمد بن مسلمه ومن قائل بقول
طلحه ومن قائل بقول البراء بن مالك على ان لعلي من فضل الأقران
والفرسان ما ليس لهم فلا أقل من أن يكون علي في طبقتهم وان سألناهم
عن الفقهاء والعلماء رأيناهم يعدون عليا ممن كان افقههم وعمر وعبد الله بن
مسعود وزيد بن ثابت وأبي بن كعب على ان عليا كان أفقههم لانه كان
يُسأل ولا يسأل ويفتي ولا يستفتي ويُحتاج اليه ولا يحتاج اليهم ولكن
لاأقل من ان يجعله في طبقتهم وكأحدهم وان سألناهم عن اهل الزهاده
وأصحاب التقشف والمعروفين برفض الدنيا وخلعها والزهد فيها قالوا على
وأبو الدرداء ومعاذ بن جبل وأبو ذر وعمار وبلال وعثمان بن مظعون على
ان عليا أزهدهم لانه شاركهم في خشونة الملبس وخشونة المأكل والرضا
بالتيسير والبلغ بالحقير وظلف النفس ومخالفة الشهوات وفارقهم بأن ملك
بيوت الأموال ورقاب العرب والعجم فكان يصحح بيت المال في كل جمعة
ويصلي فيه ركعتين ورقع سراويله وقطع ما فضل من ردائه عن اطراف
أصابعه بالشفرة في أمور كثيرة مع أن زهده أفضل من زهدهم لانه أعلم
منهم وعبادة العالم ليست كعبادة غيره كما أن زلته ليست كزلة غيره فلا
أقل من أن نعده في طبقتهم ولا نجدهم ذكروا لأبي الدرداء وأبي ذر
و بلال مثل الذي ذكروا له في باب الغناء والذب وبذل النفس ولم نجدهم
ذكروا للزبير وابن عفراء وأبي دجانة والبراء بن مالك مثل الذي ذكروا
له من التقدم في الاسلام والزهد والفقه ولم نجدهم ذكروا لأبي بكر

وربد وحباب مثل الذى د كروا له من بذل النفس والعناء والذب بالسيف ولا د كروهم في طبقة الفقهاء والزهاد فلما رأينا هذه الامور مجتمعة فيه متفرقة في غيره من أصحاب هذه المراتب وهذه الطبقات علمنا أنه أفضلهم وان كان كل رجل منهم قد أخذ من كل خير بنصيب فانه لن يبلغ ذلك مبلغ من قد اجتمع له جميع الخير وصنوفه

﴿ فصل منه ﴾ وضرب آخر من الناس همج هامج ورعاع منتشر لا نظام لهم ولا اختيار عندهم اعراب أخلاف وأشباه الاعراب لا يعرفون لا يدفع صولتهم اذا هاجوا ولا تؤمن هيجانهم اذا سكنوا ان أخصبوا طغوا في البلاد وان اجدبوا آثروا الفساد ثم هم موكلون ببغض السادة واهل الثراء والنعمة يتمنون النكبة ويشمتون بالعثرة ويسرون بالجوبة ويترقبون الدائرة وهم كما وصفوا الطغام والسفلة وقال علي رضى الله تعالى عنه في دعائه نعوذ بالله من قوم اذا اجتمعوا لم يملكوا واذا افترقوا لم يعرفوا فهؤلاء هؤلاء وضرب آخر قد فقهوا في الدين وعرفوا سبب الامامة واتبعهم الحق وانقادوا له بطاعة الربوبية وطاعة المحبة وعرفوا المعدن ولكنهم قليل في كثير ومغمار كل زمان وان كثروا فهم أقل عدداً وان كانوا اكثر فقها فلما كان الناس عند علي وأبي بكر وعمر وأبي عبيدة وأهل السابقة المهاجرين والانصار على الطبقات التي نزلنا والمنازل التي رتبنا وبالمدينة منافقون يتربصون عليهم الأنامل من الغيظ وفيها بطانة لا يألونهم خبالا لا يخفى عليهم موضع السدة واشهار الفرصة وهم في ذلك على نية واقوى ذلك ارتداد من حول المدينة من العرب وتوعدهم بذلك

في شكاه النبى صلى الله عليه وسلم وصح به الخبر ثم الذى كان من اجتماع الأنصار حيث انحازوا من المهاجرين وصاروا أحزابا وقالوا منا أمير ومنكم أمير فأشفق علىٌّ أن تظهر ارادة القيام بأمر الناس مخافة أن تتكلم متكلم أو تشغب شاغب ممن وصفنا حاله وبينا طريقته فيحدث بينهم فرقه القلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا وأهل الردة على ما أخبرنا ومذهب الأنصار على ما حكينا فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافى عن الامور وعلم أن فصل ما بينه وبين أبى بكر فى صلاحهم لو كانوا أقاموه لا تعادل العزيز بالدين ولا تفى بالخطار بالأنفس لان فى التهييج النائرة وفى فساد الدين فساد العاجلة والآجلة فاغتفر الخمول صيانة بالدين وآثر الآجلة على العاجلة فدل ذلك على رجاحة حلمه وقلة حرصه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحة وإصالة رأيه ومتى سخت نفس امرئٍ عن هذا الخطب الجليل والامر الجزيل نزل من الله تعالى بمنازل الدين وانما كان غايتهم فى أمرهم أربح الخالص لهم وأعود المقصودين عليهم واعلم ان هلكتهم لا تقوم بإزاء صرف ما بين حاله وحال ابى بكر فى مصلحتهم

﴿ فصل منه ﴾ وانما ذكرت لك مذهب من لا يجعل القرابة والحسب سببا الى الامامة دون من يجعل القرابة سببا من أسبابها وعللها لانى قد حكيته فى كتاب الرافضة وكان ثم اوقع وبه اليق وكرهت المعاد من الكلام والتكرار لان ذلك نهى عن ذكره فى هذا الكتاب وهو بمسلك واحد وسبيل واحد وانما قصدت الى هذا المذهب دون مذهب

سائر الزنادقه في دلائلهم وحججهم لانه أحسن شيء رأته لهم وانما أحكى لك من كل نحله قول حذاقهم وذوى أحلامهم لان فيه دلالة على غيره وغنى عما سواه وقالوا وقد يكون الرجل أفضل الناس ويلي عليه من هو دونه في الفضل حتى يكلفه الله تعالى طاعته وتقديمه اما للمصلحه واما للاشفاق من الفتنه كما ذكرنا وفسرنا واما للتغليظ في المحنة وتشديد البلوى والكلفة كما قال الله تعالى للملائكة اسجدوا لآدم والملائكه أفضل من آدم فقد كلفهم الله تعالى أغلظ المحن وأشد البلوي اذ ليس في الخضوع أشد من السجود على الساجد والملائكة أفضل من آدم لان جبريل وميكائيل واسرافيل عند الله تعالى من المقربين قبل خلق آدم بدهر طويل لما قدمت من العبادة واحتملت من ثقل الطاعه وكما ملك الله تعالى طالوت على بني اسرائيل وفيهم يومئذ داود النبي صلى الله عليه وسلم وهو نبيهم الذي أخرجه كما في القرآن وقال لهم نبيهم (ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا) ثم صنع النبي صلى الله عليه وسلم حين ولى زيد ابن حارثه على جعفر الطيار يوم مؤته وولى اسامه على أكابر المهاجرين وفيهم أبو بكر وعمر وسعد بن عمرو بن نفيل وسعد بن أبي وقاص ذوو أخطار واقدار من البدريين والمهاجرين والسابقين الاولين

﴿ فصل منه ﴾ ولو ترك الناس وقوى عقولهم وجماع طبائعهم وعلة شهواتهم وكثرة جهلهم وشدة نزاعهم الى اهوائهم ونظيمهم حتى يكونوا هم الذين يختارون من كانوا أفسدهم بقدر قواهم وحتى يقفوا على حد الضار والنافع ويعرفوا فصل ما بين الداء والدواء والاغذيه والسموم

كان قد كلفهم شططاً وأسلمهم الى عدوهم وشغلهم عن طاعته التي هى
إحدى الامور عليهم وأنعمها لهم ومن أجلها عدّل التركيب وسوّى البنية
وأخرجهم من حد الطفولة والجهل الى البلوغ والاعتدال والصحة وتمام
الاداة والآلة ولذلك قال عز ذكره (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)
ولو ان الناس تركهم الله تعالى والتجربة وخلاّهم وسبر الامور وامتحان
السموم واختبار الاغذية وهم على ما ذكرنا فى ضعف الحيلة وقلة المعرفة
وغلبة الشهوة وتسلط الطبيعة مع كثرة الحاجة وللجهل بالعاقبة لأتت
عليهم السموم ولأفناهم الخطار ولأجهز عليهم الخبط ولتولدت الادواء
وترادفت الأسقام حتى تصطلمهم قاتلة وتجتوها مهلكة اذ لم يكن عندهم الا
أحدها والجهل بحدودها ومبلغ ما يجوز منها والزيادة فيها وقلة الاحتراس
من تولدها فلما كان ذلك كذلك علمنا ان الله تعالى حيث خلق العالم
وسكانه لم يخلقهم الا لصلاحهم ولا يجوز صلاحهم الا بمعرفتهم ولو لا الامر
والنهى ما كان للمعرفة وتعديل الفطرة معنى ولما أن كان لابد للعباد من ان
يكونوا مأمورين منهيين بين عدو عاص ومطيع ولى علمنا ان الناس
لا يستطيعون مدافعة طبائعهم ومخالفة أهوائهم الا بالزجر الشديد والوعيد
بالعقاب الأليم في الآجل بعد التنكيل فى العاجل اذ كان لابد من أن يكون
لكونهم مأمورين منهيين من العمل معجلا والجزاء الا كثر مؤجلا وكان
شأنهم ايثار الادنى وتسويف الاقصى واذا كانت عقول الناس لا تبلغ
جميع مصالحهم فى دنياهم فهم عن مصالح دينهم أعجز اذ كان علم الدين مستنبطا
من علم الدنيا واذا كان العلم مباشرة أو سببا بالمباشرة وعلم الدين غامض

لا تخلص الى معرفة الا بالطبيعة الفائقة والعناية الشديدة مع تلقين الائمة ولأن الناس لو كانوا يبلغون بأنفسهم غاية مصالحهم فى دينهم ودنياهم كان إرسال الرسل قليل النفع يسير الفضل واذا كان الناس مع تفقههم بالعاجل وحبهم للبقاء ورغبتهم فى النماء وحاجتهم الى الكفاية ومعرفتهم بما فيه من السلامة لا يبلغون بأنفسهم معرفة ذلك واصلاحه وعلم ذلك جلى ظاهر بينه بعضه ببعض كدرك الحواس وبالاتفاق فيهم عن التعديل والتجوير وتفصيل التأويل والكلام فى تحمل الاخبار وأصول الاديان أعجز وأجدر ان لا يبلغوا منه الغاية ولا ينالوا منه الحاجة لان علم الدنيا أمر ان اما شئ يلي الحواس واما شيء يلي علم الحواس وليس كذلك الدين فلما كان ذلك كذلك علمنا أنه لا بد للناس من امام يعرفهم جميع مصالحهم ووجدنا الائمة ثلاثة رسول ونبي وامام فالرسول نبي امام والنبي نبي امام وليس برسول والامام ليس برسول ولا نبي وانما اختلفت اسماؤهم ومراتبهم لاختلاف المقومات والطبائع وعلى قدر ارتفاع بعضهم عن درجة بعض فى العزم والتركيب وبعد الزمان بعد العرض وتبدل الشريعة فأفضل الناس الرسول ثم النبي ثم الامام فالرسول هو الذى يشرع الشريعة ويبتدئ الملة ويهم الناس على حمل مراشدهم اذ كانت طبائعهم لا تحمل فى ابتداء الأمر أكثر من الحمل ولولا أن فى طاقة الناس قبول التلقين وفهم الارشاد لكانوا هملا ولتركوا نشراً وحشرا ولسقط عنهم الامر والنهي ولكنهم قد يفصلون بين الامور اذا أوردت عليهم وكفوا مؤنة التحرية وعلاج الاستنباط ولن يبلغوا بذلك القدر قدر المستغنى بنفسه المستبد برأيه

المكتفى بفطنته عن ارشاد الرسل وتلقين الأئمة وانما جاز أن يكون الرسول مرة غريبا ومرة نجيبا وليس له بيت يحظره ولا شرف يشهر موضعه لانه حين كان مبتدئ الملة ومخرج الشريعة كان ذلك أشهر من شرف الحسب المذكور وانه من البيت المقدم ولانه يحتاج من الأعلام والآيات والاعاجيب الى الظاهر المعقول والواضح الذي لا يحتمل أن يشهر مثله في الآفاق ويستفيض في الاطراف حتى تصدع عمل الغي وتصدع طبع الغافل وتقص عزم المعاند وتنبه من طول الرقدة وتحصم الرقاب وتصرع الخدود حتى تتواضع له كل شرف وتذل له كل أنف فلا يحتاج حاله معه الى مال ولا قدره الى حسب وعلى قدر جهل الامة وغباء عقولها وسوء رغبتها وخبث عادتها وغلظ طبائعها وشدة جبريتها تكون الآيات كفلق البحر والمشي على الماء واحياء الموتى وقصر الشمس عن جريها لان النبي الذي ليس برسول ولا مبتدئ ملة ولا منشئ شريعة انما هو للتأكيد والبشارة كبشارة النبي بالرسول الكائن على غابر الأيام وطول الدهر ويؤكد المبشر يحتاج من الاعلام الى دون ما يحتاج اليه المبتدئ لأصل الملة والمظهر لفرض الشريعة الناقل للناس عن الضلال المقدم والعادة السيئة والجهل الراسخ فلذلك اكتفى بشهرة اعلامه وشرائعه من شهرة نسبه وشرف حسبه لانه لا ذكر الا وهو خامل عند ذكره ولا شرف الا وهو وضيع عند شرفه والله أعلم

﴿ تمت الرسالة الفاخرة في بيان مذاهب الشيعة ﴾

(ويليها الرسالة الحادية عشرة في طبقات المغنين)

الرسالة الحادية عشرة

في طبقات المغنين

لمولفها العلامة الشهير والفهامة الكبير الاستاذ أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ رحمه الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم انا وجدنا الفلاسفة المتقدمين في الحكمة المحيطين بالامور ومعرفة ذكروا ان أصول الآداب التي منها تفرع العلم لذوي الألباب أربعة فمنها النجوم وبروجها وحسابها التي تعرف بها الأوقات والازمنة وعلمها مزاج الطبائع وايام السنة ومنها الهندسة وما اتصل بها من المساحة والوزن والتقدير وما أشبه ذلك ومنها الكيمياء والطب اللذان بهما صلاح المعاش وقوام الابدان وعلاج الاجسام وما تشعب من ذلك ومنها اللحون ومعرفة اجزائها وقسمها ومقاطعها ومخارجها ووزنها حتى تستوي على الايقاع وتدخل في الوزن وغير ذلك مما اقتصرنا من ذكره على اسمائه وجمله احسانا للتطويل وتوخيا للاختصار وقصدنا للامر الذي اليه اسهبنا واياه أردنا والله الموفق وهو المستعان ولم يزل أهل كل علم فيما خلا من الازمنة يركبون منهاجه ويسلكون طريقه ويعرفون غامضه ويسهلون سبيل المعرفة بدلائله خلا الغناء فانهم لم يكونوا عرفوا علله وأسبابه ووزنه وتصاريفه وكان علمهم به على المجاز وعلى ما يسمعون من الفارسية والهندية الى ان نظر الخليل البصري في الشعر ووزنه ومخارج ألفاظه وميز ما قالت العرب منه وجمعه وألفه ووضع فيه الكتاب الذي سماه

العروض وذلك أنه عرض جميع ماروى من الشعر وما كان به عالما على الاصول التي رسمها والعلل التى منها فلم يجد أحداً من العرب خرج عنها ولا قصر دونها فلما أحكم ذلك وبلغ منه مالم يبلغ أحد فى تفسير النغم واللحون فاستدرك منه شيئاً ورسم له رسما احتذى عليه من خلفه واستتمه من عني به وكان اسحاق بن ابراهيم الموصلى أول من حذا حذوه وأمثل هذبه واجتمعت له في ذلك آلات لم تجتمع للخليل بن أحمد مثلها منها معرفته بالغناء وكثرة استماعه اياه وعلمه بحسنه من قبيحه وصحيحه من سقيمه ومنها حذقه بالعزف والايقاع وعلمه بوزنها وألف فى ذلك كتبا محكمة وسهل له فيها ما كان مستصعبا على غيره فصنع الغناء بعلم فاصل وحذق راجح ووزن صحيح وعلى أصل مستحكم له دلائل واضحة وشواهد عادلة ولم يرا احدا وجد سبيلا الى الطعن عليه والعيب له وصنع كثير من أهل زمانه أغانى كثيرة بها حسن طبعهم والاتباع لمن سبقهم فبعض أصاب وجهل صوابه وبعض قصر فى بعض واحسن فى بعض ووجدنا لكل دهر دولة للمغنين يحملون الغناء عنهم ويتطارحون به فيان زمانهم وجوارى عصرهم وكان يكون في كل وقت من الاوقات قوم يادمون يستحسنون الغناء ويعرفون رديه من جيده وصوابه من خطائه ويجمعون الى ذلك محاسن كثيرة فى آدابهم واخلاقهم ورووائهم وهيآتهم فلم يجد هذه الطبقة ذكروا ووجدنا ذكر الغناء وأهله باقيا وحصصنا فى أيامنا وزماننا بفتية أشراف وخلان ظراف اشطم لهم من آلات الفتوة وأسباب المروة ما كان محجوبا عن غيرهم معدوما من سواهم فحماى

الكلف بهم والموده لهم والسرور بخلد نحوهم ونشيد ذكرهم والحرص على تقويم أود ذي الاود منهم حتى يلحق بأهل الكمال في صناعته والفضل في معرفته على غير طبقته منهم وتسميه طبقة أهل كل طبقة بأوصافهم وآلاتهم وأدواتهم والمذاهب التي نسبوا اليها أنفسهم وأخذ ملهم أحوالهم عليها وخلطنا جداً بهزل ومزحا بعرضنا بعرض ولم يرد أحد ممن سميناه بسوء ولا تعمدنا فاضحاً ولا تجاوزنا حداً ولو استعملنا غير الصدق لفضلنا قوما وخاسنا آخرين ولم نفعل ذلك تجنباً للحيف وقصدا للانصاف وقد نعلم ان كثيراً منهم سيبالغ في الذم ويحمل في الشتم ويذهب في ذلك غير مذهبنا وما أيسر ذلك فيما يجب من حقوق الصناعة وبه يكثبهم والله حسب من ظلم عليه يتوكل وبه نستعين وهو رب العرش العظيم ٠ولم نقصد في وصف من وصفنا من الطبقات التي صنفنا منهم الا لمن أدركنا من أهل زماننا ممن حصل بمدينة السلام دون من خرج عنها ونزع الى الصدوه بعد النوبه والى أخلاق الحدثه بعد الحنكه وذلك في سنة خمس عشره ومائتين فرحم الله أمرأ حسن في ذلك أمرنا وجدنا فيه حدونا ولم نحل الى دمنا ودعا بالمغفره والرحمه لنا وقد تركنا في كل باب من الابواب التي صنفنا في كتابنا فرجا لزياده ان زادت أولا جمه ان لحقت أو نابته ان نبت ومن عسى ان ينقل به الحذق من مرتبته الى ماهو أعلى منها أو نحو به التقصير عماهو عليه منها الى ماهو دونها فينقل الى مكانه الذي اليه نقله ارتفاع درجته أو انحطاطها ومن لعلنا نصير الى ذكره ممن غرب عنا ذكره وانسينا اسمه ولم نحط علمنا به فنصيره في موضعه

وتلحقه بأصحابه وليس لاحد ان يثبت شيئاً من هذه الاصناف الا بعلمنا ولا يسند بأمر فيه دوننا ويورد ذلك علينا فنصححه ونعرفه بما عنده ونصير الى رشده في المرتبة التي نستحقها والطبقة التي يحملها فلما استتب لنا الفراغ مما أردنا من ذلك خطر ببالنا كثرة العابثين من الجهال برب العالمين فلم نأمن أن يسرعوا بسعة رأيهم وخفة أحلامهم الى نقض كتابنا وتبديله وتحريفه عن مواضعه وازالته عن أماكنه التي عليها رسمنا وان يقول كل امرئ منهم في ذلك على حاله ويقدر هواه ورأيه وموافقته ومخالفته والميل في ذلك الى بعض والذم لطائفة والحمد لاخرى فيهجنوا كتابنا ولحقوا بنا ماليس من شأننا وأحببنا ان نأخذ في ذلك بالحزم وان نحتاط فيه لانفسنا ومن ضمنه كتابنا وبادر الى تصيير نسخه منها ونصيرها في أيدي الثقات والمستبصرين الذين كانوا في هذا الشأن ثم خصوا ذلك بالعزلة والتوبة منه كصالح بن أبي صالح وكأحمد بن سلام وصالح مولى رشيده فعلنا ذلك وصيرناه أمانة في أعناقهم ونسخه باقية في أيديهم ووهبنا لهم أمناء ومستودعين وحفظة غير مضيعين ولا متهمين وعلمنا انهم لا يدعون صيانة ما استودعوا وحفظ ما علمنه ائتمنوا فان سبق به شوب بخالفه وأضيف اليه ما لا لائمه رجعنا الى النسخة المصونة والاصول المخلفة عند ذوي الامانة والثقة واقتصرنا عليها واستدللنا بها على المبطلين ورفعنا به أدغال المدغلين وتحريف المحرفين وزيغ المرتدين ان شاء الله ولا قوة الا بالله العظيم

﴿ تمت الرسائل ﴾

الحمد لله الذي أنشأ الخلق من العدم ونثر عليهم من بحر احسانه فرائد النعم والصلاة والسلام على قطب رحى الفصاحه. ونقطه دائرة الكرم والجود والسماحه. وعلى آله وأصحابه فرسان البيان ومشيدي أركان الدين المبين باللسان والسنان ما تمايلت اغصان الأشجار في الخمائل وتحركت الاقلام على الطروس في انشاء الرسائل وسلم تسليماً كثيراً (وبعد) فقد تم بعون الله وتأييده وتوفيقه وتسديده طبع رسائل امام الفصحاء وقدوة البلغاء أفضل كتاب عصره بلا منازع وخير مترسلي وقته بلا مدافع أبي عثمان عمرو بن بحر المعروف بالجاحظ تغمده الله برحمته وأسكنه بحبوحة جنته وهي عبارة عن جملة رسائل من أمهات رسائله التي أنسأها وأعجز كل كاتب نابغ عن مضارعته فيها وكان بزوغ بدرها وتمام طبعها في مطبعة (السعاده) المشهوره بالاتقان والاجاده الكائنه بجوار محافظة مصر بنفقة مجدد ربوع الفضل بعد اندراسها ومظهر آثار الآداب بعد انطماسها حضرة الفاضل الاديب واللوذعي اللبيب (الحاج محمد افندي ساسي المغربي التونسي) كان الله له ولسائر المسلمين عونا ومعينا وكان

الفراغ من طبعها في شهر شوال من شهور

سنة ١٣٢٤ هجريه على صاحبها

أفضل صلاة وأزكى تحيه

والحمد لله أولا

وآخراً

﴿فهرس الرسائل التي في الكتاب﴾

صحيفه

﴿تم الفهرس﴾